إلفات النظر

إلى

وجوب تصحيح العقيدة لرب البشر

تأليف المدرس المتقاعد

محمد بن عبد الله الحجي

الناشـــر

مكتبة العلوم والحكم
المدينة المنورة
ت : ٨٢٦٣٣٥٦
ص.ب : ٦٨٨

مكتبة دار البخاري
ببريدة
ت : ٠٦٣٢٤٣٦١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الرقم ٤٣٤٤/٥ ٥/١٢٠٩
التاريخ ٢٩/٣/١٤٠٩هـ
المرفقات مسودة كتاب

الموضوع ....

الأخ المكرم/محمد بن عبد الله الحجي العنوان: بريدة مكتب الانجاز العقاري قرب تقاطع شارع التغيره مع الصناعه تلفون (٠٦٣٢٣٦٧٧٩) المكتب(٠٦٣٢٣٨٢٤٩) المنزل سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإجابة لرسالتكم المؤرخة فى ١٤٠٩/٢/٢هـ ومرفقها مسودة كتابكم الموسوم ب (إلفات النظر الى وجوب تصحيح العقيدة لرب البشر) والتى قمتم بتأليفها وترغبون الاذن فى طبعها ونشرها..الخ أفيدكم بأنه تمت دراستها دينياً وتبين أنها تضم عدة فصول ومباحث كلها تدور حول تصحيح العقيدة فقد تحدثتم عن بيان توحيد الربوبية والالوهيه والأسماء والصفات مع توضيح ما ينافى كمال التوحيد كالتوسل بالأموات والدعاء عند القبور وبيان السحر والرقي والتمائم مع ذكر مذهب بعض الفرق الضاله كالمعتزلة والقدرية والصوفية وبيان مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة وقد جاء ذلك بطريقة مختصرة لكنها مفيدة ان شاء الله. وعليه فإنه لامانع دينياً من طباعتها فى حدود الصفحات المختومة بالختم الرسمى للرئاسة على أن توافونا ببروفتين للطباعة مدثياً مع الأصل المختوم للمطابقة والتأكد من صحة وسلامة الطبع وعلى ضوء ما يتضح لنا بعد المطابقة نوافيكم بالاجراء الدينى المناسب ان شاء الله لتقوموا بعد ذلك بطبع الكمية التى ترغبون.

وأرجو اهتمامكم شخصياً بسلامة طباعة الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفه والتأكيد على المطابع بضرورة الاهتمام بذلك وتجدون المسودة المذكورة بجزئيها مختومه برفقه وفق الله الجميع لما فيه رضاه وخدمة شرعه المطهر انه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

ابراهيم
٣/٢٠

مدير الادارة العامة
لشؤن المصاحف ومراقبة المطبوعات
٢/٢٠
عبد الله بن ردن البداح

إلفات النظر

إلى

وجوب تصحيح العقيدة لرب البشر

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

﴿ الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفواً أحد . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بلّغ رسالة ربه فدعا إلى توحيد الله وحذر عن الشرك وقاتل من أجله ليكون الدين كله لله وما ترك أمته إلا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . وارض اللهم عن صحابته الذين ترسموا خطاه وسلكوا منهجه ، منهج الدعوة إلى الله .

وارحم اللهم التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين ، الذين اقتفوا هذا الطريق فجاهدوا فى الله حق جهاده فقاموا بما أوجب الله عليهم من إبانة الحق ولم يخافوا فيه لومة لائم وصبروا على ما أصابهم تجاه ذلك راجين ثواب الله .

وبعد : فهذه وريقات سودتها بما نقلته من كتب أهل العلم والإيمان فى العقيدة ، وجعلت ذلك فى ثلاثة عشر مبحثاً وكل مبحث تحته فصولاً لأستكمل ما يجول بنفسى من الكلام على المواضيع التى حددتها وهذه المواضيع هى فى العقيدة . وقمت بهذا العمل الجليل وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان ، لكنى أحببت أن أفوز بمشاركة أهل العلم فى نشره ، وأخترت الألفاظ السهلة المعانى

فإن كان فيما نقلته خطأ فذلك منى ومن الشيطان وإن كان صواباً فالفضل لله ثم لأهل العلم لأننى لم أعمل إلا النقل من كتبهم وعملت هذا العمل وقمت بهذا الجهد المتواضع لغرضين :

الأول : رغبتى الأكيدة فى الاستفادة من كتب أهل العلم ، لأن ما يقرأ ويكتب يكون أفيد مما يقرأ فقط .

الثانى : إفادة من ليس على مستوى عال من العلم والثقافة .

وأسميت هذه المباحث [**إلفات النظر إلى وجوب تصحيح العقيدة لرب البشر**] .

قال المزنى صاحب الإمام الشافعي :

لو عورض كتاب سبعين مرة لوجدنا فيه خطأ وأبى الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كل من قرأه أو سمعه وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

انتهيت من كتابه هذه الأحرف صبيحة يوم الجمعة الموافق سابع من شهر الله المحرم عام تسع وأربعمائة وألف من الهجرة .

محمد بن عبد الله الحجى

المبحث الأول فى التوحيد - وفيه فصول

الفصل الأول
فى توحيد الألوهية

التوحيد هو إفراد الله بألوهيته وبأفعاله وبأسمائه وصفاته ، هذا هو التعريف العام للتوحيد عند أهل السنة ، وعند المعتزلة هو نفى الصفات .

وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

فالأول من أقسام التوحيد هو توحيد الألوهية ، وهو الذى تدل عليه كلمة الإخلاص : لا إله إلا الله ، إذ أن معناها لا إله مستحق للعبادة فى الوجود بحق إلا الله .

وإلا الله مثبتة التأله والعبادة لله وحده ؛ لأنه هو الإله الحق الذى يستحق العبادة . وتوحيد الألوهية هو توحيد العبادة لله أى إخلاصها له .

والعبادة هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ويدخل فى ذلك كل ما أمر الله به فيفعل وكل ما نهى عنه فيترك ويدخل فى ذلك ما أمر به الله من أفعال القلوب ، كالخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة والتوكل ويدخل فى ذلك أيضاً الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ، ومن ذلك الصلاة والزكاة والحج وأعماله من طواف وسعى ورمى ووقوف بعرفة ومبيت بمزدلفة ومنى كل ذلك يفعل بقصد التعبد لله فيجب على المسلم أن يستشعر ذلك فى جميع أعماله التى أمر الله بها فى حج أو غيره ويستشعر فى ترك المنهيات أنه طاعة لما نهى الله عنه وهى إمتثال إما لأمره بالفعل أو لنهيه بالترك وبذلك يكون العبد عبدالله حقاً

ومن الأدلة على هذا القسم قول الله تعالى ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ فتقديم المفعول فى هذه الآية يدل على اختصاص العبادة لله ومنها الاستعانة بالله وحده وإسناد الفعل نعبد ونستعين إلى ضمير الجمع يدل على أن جميع من كلفوا بالعبادة مأمورون بأن يخلصوها لله. وقال تعالى : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ ومعناها : اعبد وتذلل له بطاعته حتى يأتيك الموت. وقال تعالى : ﴿ **وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله** ﴾ وقال :﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله** ﴾ . وقال : ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله** ﴾ .

فكل هذه الآيات أوامر من رسل الله إلى أممهم بالعبادة وذلك امتثال منهم لأوامر الله بذلك . وقال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ، ومعنى العبادة التذلل والخضوع بفعل المأمورات واجتناب المنهيات لله تعالى . وقال تعالى : ﴿ **وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه** ﴾ ، ومعناها أن الله أمر وأوجب وحكم بأن لا تتذللوا لأحد بشيء من أنواع العبادة إلا لله فإنه هو المستحق لذلك .

وهذه الآية تفيد معنى لا إله إلا الله فكلمة لا تعبدوا تفيد – لا إله – وكلمة إلا إياه تفيد – إلا الله .

وقال الرسول ﷺ لمعاذ : « أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ فقال معاذ : الله ورسوله أعلم . فقال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » .

ومعنى الحديث أن الله جعل على العباد حقاً واجباً مفروضاً وهو عبادته وعدم الإشراك به وجعل الله على نفسه حقاً واجباً أوجبه هو على نفسه تفضلاً منه وإحساناً لعباده إذا عبدوه ولم يشركوا به شيئاً أن لا يعذبهم .

الفصل الثانى

فيما يفعله كثير من الناس من الشرك المضاد للتوحيد

من ذلك تعظيم غير الله بالطواف على القبور أو التمسح بها طلباً للبركة ، أو دعاء الأموات أو النذر لهم أو رجاؤهم لشفاء مريض أو رد غائب أو كشف كرب أو دفع ضر أو قضاء حاجة كل ذلك شرك أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة . ومن ذلك التمسح بجدران الكعبة التى لم يشرع مسحها والتعلق بأستارها رجاء التبرك بذلك .

ومن ذلك التمسح بالمقام وبحجرة النبى ﷺ وغسل الأقمشة بماء زمزم ليلبسها أو لتكون كفناً اعتقاداً أن فى ذلك نفعًا له كدفع الضر مادام لابساً لهذا القماش أو أن ذلك ينجيه من العذاب إذا تكفن به ، كل ذلك لا يجوز وبدعة وشرك لأن فيه اعتقاداً سيئًا . وهو اعتقاد أن الضر والنفع يملكه غير الله ، فاعتقاد أن غير الله ينفع ويبارك هذا كله شرك .

ومن الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله إلا بالتوبة ومآل صاحبه إلى النار . قال الله تعالى : ﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو** ﴾ فإذا اعتقد الإنسان بأن هناك من يضر وينفع غير الله فإنه يكون بذلك مشركاً سواء دعا ذلك الغير الذى يزعم أنه يضر أو ينفع أو لم يدعه إذا كان يعتقد فيه ذلك .

فلا يسترزق إلا الله ، ولا يستكشف الضر إلا منه ، ولا يطلب النفع

والبركة إلا منه ، ولا يتجه بقضاء الحوائج إلا إليه كطلب الغنى أو شفاء المريض أو رد الغائب أو إنجاب الولد أو غير ذلك . قال تعالى : ﴿ **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة** ﴾ فالمدعو لا يستجيب لمن دعاه بل لا يسمعه حتى ولو دعا إلى يوم القيامة . فياليت شعرى تعقَّل الناس فيمن يدعون وتفكروا وتبصروا فى أمر مدْعُوِّيهم أنه لو كان هذا المدعو أياًّ كان نوعه يستطيع أن يجلب نفعاً لغيره لجلبه إلى نفسه أو يستطيع أن يدفع ضراً ويمنعه لمنعه عن نفسه .

وهذا المدعو إما أن يكون عاقلاً أو غير عاقل فإن كان عاقلاً فإنك تراه يمسه الضر بنفسه ولا يستطيع أن يدفعه عنها وتراه يريد الخير والنفع لنفسه فلا يستطيع أن يجلبه إليها فهو يجوع ويعطش ويتألم من المرض وتصيبه المصائب المقدرة عليه . ومع ذلك لا يستطيع أن ينقذ نفسه منها أو حتى من بعضها وتراه يتاجر ويكدح ويعمل ، ومع ذلك لا يأتيه من الخير والنفع إلا ما كتبه الله له ولو أن بيده شيئاً من الضر أو النفع لنفع نفسه وأراحها من الأعمال والاشتغال .

وإن كان المدعو غير عاقل كالشجر والحجر فكيف يطلب النفع منه وهو لا يعقل ثم إنه يمسه السوء ولا يمنعه عن نفسه فتراه إن كان شجراً يموت وييبس وتعصف به العواصف يمنة ويسرة وقد تجتثه من أصله ويصيبه البرد والثلوج وإن كان حجراً فأنت تأخذه وتضرب بعضه ببعض وتسيء إليه بالكلام وحتى تكسره فما تراه يدافع عن نفسه .

فعجباً لأمر من يطلب ويدعو ويرجو ويخاف غير الله وذلك الغير لا يستطيع المدافعة عن نفسه .

ومن ذلك دعاء الموتى أو الخوف منهم أو خشيتهم أو رجاؤهم .

وخلاصة قولى أن من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله أياًّ كان نوعه فهو مشرك شرك أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة الصادقة إلى الله والرجوع إليه، وصاحب ذلك إن مات فهو مخلد فى النار لايخرج منها أبداً قال الله تعالى: ﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ .

* * *

الفصل الثالث

الغلو فى قبور الأنبياء أو غيرهم من الصالحين محرم وكبيرة من كبائر الذنوب ومؤد إلى الشرك

الغلو لغة الزيادة واصطلاحاً : تجاوز الحد المشروع إلى غيره سواء كان فعلاً أو قولاً فهو تجاوز لحدود الله وتعدٍّ عنها إلى مالم يشرعه . فالشريعة المحمدية قد حدد الله لها حدوداً فلا يجوز للمسلم المتعبد بشريعة محمد ﷺ تجاوزها ، لأن الله سبحانه قال : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

وقال النبى ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

فالمشروع[1] فى القبور أن لا يزاد عليها أكثر من ترابها ، وأن لا يبنى عليها قباب أو غيرها ، وأن لا يكتب عليها ، وأن لا يصلى عندها ، وأن لا يفعل أى عبادة لله عندها إلا ما ورد من الدعاء من سؤال الرحمة والمغفرة من الله لأصحابها . وأن لا يقرأ القرآن عندها إلا ما ورد من قراءة الفاتحة على القبر فى الصلاة عليه لمن لم يصل عليه ، وأن لا يذبح عندها أو توف النذور أو تعط الصدقات ولو كان ذلك كله لله فإنه لا يجوز ومحرم وكبيرة من كبائر الذنوب لأنه يوهم أن ذلك مافعل إلامن أجل أصحاب القبور فيكون وسيلة إلى الشرك.

ومن هذا إنارتها بالمصابيح أو إقامة الحراس على قبور الزعماء والرؤساء

---

(١) سيأتى زيادة بيان وتوضيح لهذا الموضوع فى الفصل الثامن .

والملوك أو غيرهم ، أو وضع الزهور عليها أو حتى جعل وقتاً معيناً لزيارتها ، أو شد الرحل وإنشاء السفر لزيارتها .

كل ذلك جاءت الشريعة بمنعه . ومالم يرد منعه صريحا فهو بمعنى الممنوع . ولم يفعله الصحابة ولا من بعدهم من سلف الأمة ومما ورد من النصوص فى ذلك مع التعليق عليها وتوضيح المعنى فى بعضها قول الرسول ﷺ : « اللهم لاتجعل قبرى وثناً يُعبد من دون الله ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

ومعنى الحديث أن الرسول ﷺ يدعو ربه بأن لا يجعل قبره وثناً من الأوثان وذلك بعبادته . وقد استجاب الله دعوة رسوله ﷺ فمنع الناس من عبادته وذلك بإحاطته بجدران ثلاثة . وقد ذكر ذلك الإمام ابن القيم فى نونيته حيث قال :

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثـــة الجدران

ودل الحديث بمنطوقه أن قبر الرسول لو عُبد من دون الله لكان وثناً فما رأيك بالقبور الأخرى وأربابها التى يتمسح بها ويتبرك بها ويرجى النفع ودفع الضر منها . مارأيك وما يقول عبادها لو قيل إنهم مشركون بالله ولو قيل إن هذه القبور أوثان تُعبد من دون الله لاشك بأنهم يقولون لو وجدوا منكراً إنه تنقص للصالحين وللأولياء والعظماء والرسول ﷺ يصرح بهذا الحديث أن قبره لو عُبد من دون الله لكان وثناً وما من ريب أن هذا من تزيين الشيطان وإضلاله فهو يريد إهلاك بنى آدم بأى وسيلة كانت والقرآن يشهد بذلك . ثم قال فى الحديث عظم غضب الله على قوم جعلوا قبور أنبيائهم مساجد أى يصلون عندها وسواء بنى مساجد عليها أم لم يبن لأن العبرة فى الصلاة فكل أرض يصلى فيها تسمى مسجداً ولذلك الرسول ﷺ يقول : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » .

فإذا صلى الإنسان قاصداً القبر فإنه يكون من هؤلاء الذين كبر وعظم غضب الله عليهم . والمراد بأولئك اليهود والنصارى . وما أخبر الرسول بغضب الله على أولئك إلا من أجل أن تتخذ أمته حذرها من ذلك فلا تتخذ القبور مساجد .

ويقول الرسول ﷺ فى تحريم إنارة القبور : لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج . ومعنى الحديث أن الرسول ﷺ يدعو بالطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى اللائى يزرن القبور ويذهبن إليها فيحصل بذهابهن معاصٍ كثيرة .

منها : إرتكاب نهيهن عن ذلك .

ومنها : إظهار الجزع والتسخط وعدم الرضا بقضاء الله .

ومنها : اختلاط الرجال والنساء . وقوله : والمتخذين عليها المساجد والسرج أما اتخاذ المساجد على القبور فتقدم معناه . وأما اتخاذ السرج عليها فمعناه إضاءتها بالمصابيح والقناديل والثريات الكهربائية فإن فى ذلك ارتكاب للمعصية حيث أن من فعل ذلك فإن الرسول دعا عليه باللعن والطرد والإبعاد عن رحمة الله . وفيه أيضاً فعل للغلو فى القبور المنهى عنه . وفيه إضاعة للمال المنهى عن إضاعته .

ودليل منع الدعاء عند القبر ما روى على بن الحسين أنه رأى رجلاً يجىء إلى فرجة عند قبر النبى ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه . ثم قال ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ قال : « لا تتخذوا قبرى عيداً » .

ومعنى هذا الحديث أن على بن الحسين مستقر عنده تحريم الدعاء عند القبور ، حتى ولو كان قبر رسول الله ﷺ . ثم استدل على قوله ، وإنكاره على ذلك الرجل بقوله : ألا أحدثكم ... إلخ .

وقول الرسول ﷺ : « لا تتخذوا قبرى عيداً » أى لا تجعلوا قبرى مزاراً يتكرر مجيئكم إليه كما يتكرر مجيء العيد فى وقت معين .

ولذا أقول إنه لايجوز أن يجعل لزيارة القبور وقتا معينا ومحددا فى السنة أو الشهر أو الأسبوع فمتى ما أراد الإنسان أن يزور القبور للإتعاظ والعبرة ، وتذكر الموت وما بعده ؛ فليس له أن يجعل وقتاً معيناً متكرراً فى السنة أو الشهر أو الأسبوع بل إنه يذهب إليها وقت ما شاء وبدون نظر إلى الزيارة الماضية فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا دخلوا المسجد يقولون : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وهم فى طريقهم متجهين إلى المكان الذى يريدون أن يصلوا فيه ولم يكن من عادتهم أنهم يتجهون إلى القبر للسلام على الرسول ﷺ .

والدليل على تحريم الزيادة على القبر أكثر من ترابه والبناء عليه وتجصيصه ما روى مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه .

وروى أبو داود أن النبى ﷺ نهى عن تجصيص القبور وأن يبنى عليها وأن يجلس عليها . وفى رواية : أن يزاد عليها أكثر من ترابها المحفور .

وقد أجمع العلماء على تحريم البناء على القبور .

وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم القباب على القبور ، ويكفى فى ذلك إجماع العلماء على تحريم البناء على القبور ، فقد قال الرسول ﷺ : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » .

ودليل تحريم الكتابة على القبور ما روى أبو داود عن جابر من حديثه الذى رواه مسلم ، وأن لا يكتب عليها .

فلو أن إنساناً أوصى بشيء مما ذكرنا أعنى من البناء على القبور أو إنارتها بالسرج أو تجصيصها ، أو أن يفعل شيء من العبادة عندها فإن وصيته باطلة للنهى عن

ذلك ، فالنهى يقتضى الفساد وعدم الصحة .

وقد ذكرت أدلة صريحة الألفاظ واضحة المعانى لمن أراد أن يرجع إلى شريعة محمد ﷺ ، ويعمل بها فتسلم عقيدته ويكون متبعاً لمنهج الرسول ﷺ ؛ فما قال الرسول ﷺ هذه الأحاديث التى أوردتها فى هذا الباب وأخبر بها أمته إلا ليدلها إلى ما فيها خيرها وسلامة لتوحيدها مما ينقص ثوابه أو ينافيه بالكلية .

فعليك ياأخى المسلم أن تنجو بنفسك ولا تغتر بكثرة السواد الذين هم على غير هدى محمد ﷺ وساروا على هذا الطريق البعيد عن تعاليم المرشد الأمين ، الناصح لأمته ، الرؤف الرحيم بها ؛ فإنهم والله هالكون ضالون عن طريق الحق والصواب .

وقد ذكر الله سبحانه فى محكم تنزيله أن أكثر من فى الأرض على غير الهدى فقال تعالى : ﴿ **وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾ وقال : ﴿ **ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾ .

والقرآن مملوء بالأدلة على أن أكثر الخلق على غير الطريق المستقيم .

ولو أنك يا أخىَ المسلم تتبعت أحوال بنى آدم وقارنت بين عدد المسلمين وغيرهم لوجدت أن غير المسلمين أكثر من المسلمين ، والمقصود أن الحق ضالة المؤمن فأينما وجده أخذ به ولا يلتفت المرء إلى الجمع الكثير

* * *

الفصل الرابع

فيما زينه الشيطان للقبوريين

من اتخاذ الوسطاء بين الخالق والمخلوق

مما غرر الشيطان به كثيراً من الناس وزيّنه لهم وأضلهم فيه إتخاذ الوسطاء بين الله وبين خلقه .

فقد زين لكثير منهم أنه لا يستجاب لهم دعاء ، ولا يشفى لهم مريض ، ولا يرد لهم غائب ، ولا يقضى لهم حاجة ، ولا يزال عنهم مكروب إلا إذا توسلوا بشيء من المخلوقات ، فتارة يزين الشيطان بأن هؤلاء الوسطاء أنبياء أو ملائكة ، وتارة يزين لهم بأنهم أولياء لله صالحون ، وتارة يزين لهم بأن لهم كرامات فيعتقدون أن الله لايحقق مطلوبهم إلا إذا توسلوا بهم ، وتارة يزين لهم بأنهم ذووا قرابة للرسول ﷺ أو صحبة وبسبب ذلك حصل التوسل .

والتوسل : التقرب إلى الغير بعمل . والوسيلة : فعل عمل ما يتقرب به إلى الغير ويتوصل بها إلى المقصود هذا فى الأصل ويراد بها المنزلة عند الملك والدرجة .

وقد يرد ويراد به طلب الدعاء من الأحياء للغير وحكمه جائز فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمر حينما أراد أن يعتمر : « لا تنسنا يا أخى من دعائك » .

وثبت عن الصحابة من بعده وأجمعوا عليه فثبت عن عمر بن الخطاب

أنه قال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا . أى بدعائه وشفاعته فى حياته وقد وجد ذلك بمجمع من الصحابة .

ومن هذا الباب حديث الأعمى الذى رواه الترمذى والنسائى ، وفيه أن النبى ﷺ قال للأعمى : « إن شئت صبرت وهو خير لك وإن شئت دعوت لك فقال : بل أدعه فأمر النبى ﷺ الرجل الأعمى أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه فيقضيها اللهم فشفعه فى » .

قلت : فهذا الأعمى قد توسل بدعاء النبى ﷺ لربه فى حياته وهذا مما لا نزاع فيه بين العلماء .

أما التوسل بالأموات سواء كانوا أنبياءاً أو أولياءاً أو غيرهم فلا يخلو إما أن يقول المتوسل أتوسل بك إلى الله أن يشفينى الله أو يرزقنى أو يسعدنى . فهذا محرم ولا يجوز لأنه لم ينقل عن النبى ﷺ ولا عن أحد من الصحابة ولا عن غيرهم من سلف الأمة . وإما أن يقول المتوسل أتوسل بك أن ترزقنى وتشفينى وتقضى حاجتى فهذا شرك أكبر ؛ لأنه دعاء لغير الله وصرف للعبادة لغير الله كما أن فيه اعتقاداً أن غير الله يملك الرزق ويكشف الضر وهذا مناف لتوحيد الربوبية .

أما التوسل بالأعمال الصالحة فهذا لا بأس به للحديث الصحيح الذى ورد فى قصة أصحاب الغار الثلاثة الذى آووا إليه فتوسلوا بما عملوه لربهم من الأعمال الصالحة فأفرج الله عنهم .

إذا علمت ذلك يا أخى المسلم فاعلم أن الله جلت قدرته لم يشرع اتخاذ الوسطاء بينه وبين خلقه أما تمعن نظرك حينما تقرأ كتاب الله وتتدبر آياته حينما

أوردت الأسئلة على رسول الله فى سورة البقرة تجد أن الله أمر رسوله بالإجابة عليها حيث لا مساس لها فى العقيدة فسئل عن المحيض فأمره الله بالإجابة بقوله تعالى : ﴿ **قل هو أذى** ﴾ . وسئل عن الخمر فأمره الرب بالإجابة بقوله تعالى : ﴿ **قل فيهما أثم كبير** ﴾ الآية . وسئل عن ماذا ينفقون فأمره الله بالإجابة بقوله تعالى : ﴿ **قل العفو** ﴾ وسئل عن الشهر الحرام فأمره الله بالإجابة بقوله تعالى : ﴿ **قل قتال فيه** ﴾ فجعل الله سبحانه رسوله محمداً واسطة بينه وبين خلقه فى الإجابة على تلك الأسئلة وما شابهها حيث لا صلة لها بالعقيدة .

أما حينما سألوه عن الله فلم يكل الله سبحانه وتعالى الجواب إليه حيث أن ذلك عقيدة كل ذلك إبعاد عن إتخاذ الوسطاء بينه وبين خلقه فقال الله تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان** ﴾ .

وكل ذلك من أجل تثبيت عباده على العقيدة الصحيحة السليمة فالله يحب صوت المضطرين إليه والمستغيثين به . فما عليك ياأخى المسلم إلاّ أن تجتنب وتبتعد عن كل الأشياء التى تخل بعقيدتك وتضعف إيمانك وتوحيدك أو تزيله بالكلية .

ثم اعلم ياأخى المسلم أنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه لما قال بعض الصحابة : قوموا بنا إلى رسول الله فنستغيث به من هذا المنافق فقال : لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله مع ماله من الفضل والشرف والكرامة وعلو المنزلة عند الله . وقال ذلك أيضاً فى حياته مع أن الاستغاثة بالمخلوق الحى القادر على الغوث جائزة ولا محذور فيها ولكن قال ذلك كله سداً للذريعة عن الشرك. أما لو كان ميتاً فإن الرسول لا يقدر على الغوث لاهو ولا غيره من المقبورين ولذلك يأمر الله نبيه محمداً بأن يقول للناس : ﴿ **قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعاً** ﴾ وهذا أيضاً فى الحياة فكيف بعد الممات .

ويقول أيضاً لنبيه محمد ﷺ حينما قال للقوم الذين شجوا رأسه : « لا يفلح قوم شجوا نبيهم » فعاتبه الله بقوله تعالى : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ .

فإذا كان الرسول لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً حتى ولا لنفسه وهو حي فكيف يتوخى ذلك من غيره بعد مماته . وإذا كان الرسول مع فضله وشرفه عند ربه على سائر خلقه عاتبه بقوله : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ فكيف يلتمس طلب الخير والرزق والشفاء وغير ذلك مما يفعله القبوريون ويتوسلون به عند القبور مع أن هؤلاء المقبورين ليس لهم شيء فى أمر الكون وأن الأمر كله لله وحده والضر والنفع بيده سبحانه .

* * *

الفصل الخامس

شبهات المتوسلين فى القبور والرد عليها

الشبهة الأولى : كون المقبورين لهم صلة قرابة أياً كان نوعها برسول الله ﷺ وإن من المشروع محبة قرابة رسول الله ﷺ ومودتهم ، وإن من ذلك زيارة قبورهم وتعظيمهم والاستشفاع بهم مستدلين بقوله تعالى : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى** ﴾ . وقالوا إذا لم يتوسل بقرابة رسول الله ﷺ وهم أطهر الناس وأفضلهم نظراً لقرابتهم من النبى ﷺ فبمن يكون التوسل وزادوا أنهم لا يمكنهم التوسل إلى الله والتقرب إليه إلا بتوسيط هؤلاء بينهم وبين الله لأنهم ملوثون بالمعاصى والذنوب فلا يمكنهم الطلب من الله وهم على تلك الحال إلا بتوسيط هؤلاء .

والجواب عن هذه الشبهة أننا نقول : إن هذه الدعوى باطلة فلا تتم لهم هذه الدعوى إلا لو أن الخطاب فى الآية عام ويكون معناها على هذا الإدعاء أن النبى ﷺ أمره الله بتبليغ الرسالة إلى أمته وأن لا يسألها أجراً على ذلك التبليغ وإنما يطلب من عموم أمته مودة قرابته أحياءاً وأمواتاً . ولكننا نقول إن الخطاب لقريش وخاصًّا للذين كانوا يؤذونه من الكفار منهم وخاصًّا بالذين حاصروه فى شعب أبى طالب ثلاث سنين ومنعوا عنه أصحابه والزاد والماء وأن المراد بالقربى صلة القرابة والرحم التى بينه وبينهم ويكون معنى الآية على هذا القول الصحيح فيها أن الله أمر رسوله أن يبلغ كفار قريش من قرابته وأنه لا يسألهم على تبليغ ما أرسله الله به إليهم أجراً إلا أنه يسألهم أن يراعوا ما بينه وبينهم من قرابة وأن

يحبوه ويودوه بدل أن يعادوه ويؤذوه هو وصاحبيه . وهذا القول هو الذى ارتضاه البخارى فى صحيحه وساق عليه حديث ابن عباس يفسر به الآية على ما ذكرناه فخطأ المتوسلين بقرابة رسول الله ﷺ من وجوه ثلاثة :

الأول : أنهم حملوا الآية على عموم قرابة رسول الله ﷺ وخصوا منهم أولاد على رضى الله عنه ، ولم يكونوا موجودين حين نزول الآية فإن سورة الشورىٰ نزلت فى أوائل ما نزل من القرآن فنزلت قبل الهجرة بزمن طويل ولم يولد لعلى إلا بعد الهجرة .

الثانى : أنهم حملوا القرابة على قرابة الرسول ﷺ عموماً ، والقول الصحيح إن المراد بالقرابة قرابته الذين كانوا يؤذونه .

الثالث : أنهم حملوا المودة فى القربى على التوسل والاستشفاع بقرابة الرسول ﷺ والمراد بها الصلة التى تكون بين الأقارب .

وفى الآية أقوال كثيرة أصحها ما تقدم ويليه فى القوة لولا أن حديث ابن عباس المتقدم يرده ، وهو أن الخطاب عام للأمة ويكون المعنى قل يامحمد لأمتك لا أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة وإنما أطلب منكم أن تصلوا أرحامكم وأقاربكم ومن ذلك مودتهم .

الشبهة الثانية : قد يستدل المتوسلون بأحاديث لا صحة لها وإنما هى مكذوبة على رسول الله ﷺ من ذلك ما أخرجه الحاكم وابن حبان وصاحب الدر المنثور فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبى ﷺ قال: « لما أذنب آدم الذنب الذى أذنبه بالأكل من الشجرة نظر فرأى مكتوباً على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال : اللهم إنى أتوسل إليك بمحمد وآل محمد إلا ما غفرت لى خطيئتى فقال الله عز وجل : ياآدم من أين

علمت بمحمد حتى تسألنى به ، قال : نظرت فرأيت مكتوباً على باب الجنة فعلمت أنك لم تقرن اسمك إلا بأحب الأسماء إليك فقال : قد غفرت لك » وهذا الحديث مع خلو الكتب الستة منه قد صححه الحاكم على عادته فى عدم تأكده فى تصحيح الموضوعات . قال الحافظ بن حجر فى تهذيب التهذيب فى الكلام على عبد الرحمن بن زيد الذى عليه مدار الحديث ولم يرو عن غيره قال عنه : سئل مالك بحضرة الشافعى عن عبد الرحمن بن زيد فقال مالك إذا أشكل عليكم إسناد حديث فأتوا به عبد الرحمن فإنه يحدثكم به عن أبيه عن جده عن نوح عليه السلام وهذا أبلغ ما يقال فى تكذيب الإنسان وكذبه الشافعى وأحمد وعامة أهل الحديث فهذا الحديث لا يحتج به فهو باطل لأنه كذب .

الشبهة الثالثة : وهى من أقوى الشبهات وهى ما أخرجه الترمذى عن عثمان ابن حنيف رضى الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ وقد كف بصره فقال له إدع الله أن يعافينى فقال النبى ﷺ : « إن شئتَ احتسبتَ عند الله وإن شئت دعوتَ لك فرد الله بصرك » قال فادعه : فقال رسول الله ﷺ : « قم فتوضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم إنى أتوسل إليك بنبيك نبى الرحمة أن ترد علىَّ بصرى » . ثم قام رسول الله ﷺ فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا له فرد الله عليه بصره . رواه الترمذى وغيره والحديث حسنه الترمذى وصححه .

والحديث فى آخره زيادة عند غير الترمذى منسوبة إلى عثمان بن حنيف وهو أنه علَّم رجلاً آخر هذا الدعاء فى عهد عثمان بن عفان وأن عثمان رضى الله عنه كان لا يسمع شكواه ولا يقضى له حاجته فلما فعل الرجل ما علَّمه عثمان بن حنيف قضى له عثمان حاجته هذه الزيادة مكذوبة بدليل أن عثمان من الخلفاء الراشدين المهديين وهذا الفعل لا يليق بعثمان رضى الله عنه إذ لو فعل ذلك لكان ظالماً من أنه لا يسمع شكواه ولا يقضى حاجته . وأما صدر الحديث فإنه يفيد أن الأعمى توسل بالدعاء من الرسول فى حياته وهذا مما لا نزاع فيه بل إنه

مجمع على جواز التوسل بطلب الدعاء من الأحياء . وأما ما تفيده هذه الزيادة فى آخر الحديث عند غير الترمذى من جواز التوسل بالنبى ﷺ بعد وفاته فهذه الزيادة مكذوبة ولم يصح ثبوتها .

الشبهة الرابعة : ما يستدل به المتوسلون بالأموات ما رواه ابن ماجة أن النبى ﷺ قال : « اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا الحديث » وهذا الحديث مع كونه فى غاية الضعف فإنه لو صح لم يفد الاستدلال بالتوسل بالأموات شيئاً فإن حق السائلين المذكورين هو فضل الله ورحمته على من دعاه بالإجابة لدعائه وهو المعنىُّ فى قول الله تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان** ﴾ فيكون توسلاً بفضل الله وهو صفة من صفاته ولا نزاع فى ذلك فأين هذا من التوسل بالمخلوق الميت .

الشبهة الخامسة : مايستدل به المتوسلون بالأموات قول الله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ فيقول أولئك الذين يدعون يطلبون إلى ربهم التوسل بالأموات أيهم أقرب عند الله بتوسلهم وهم يرجون رحمته ويخافون عذابه . هذا ما يقوله المتوسلون فى معنى الآية .

والجواب : أن معنى الآية الصحيح أولئك المقربون الذين يدعون وينادونهم غير المقربين . هؤلاء المقربون يطلبون القربة إلى الله بما شرعه لهم ويرجون رحمته ويخافون عذابه فحقيق بهؤلاء الذين يدعون غير الله ويتوسلون به أن يعلموا ويفهموا أن هؤلاء المقربين عند الله الذين يدعونهم ويتوسلون بهم هم أنفسهم يطلبون التقرب إلى الله بما شرعه لهم ويرجون رحمته ويخافون عذابه وليس من العقل السليم أن من يخاف أحداً ويرجوه أن يدعى أو يتوسل به . لأن الخائف والراجى لايستطيع جلب نفع أو دفع ضر لنفسه أو عنها إذ لو كان مستطيعاً لذلك لم يخف ولم يرج . ومادام كذلك فإنه لايدعى ولايرجى ولايتوسل به .

الفصل السادس

إيجاز لما تقدم من التوسل

التوسل : هو طلب القرب والوصول إلى المقصود .

فإن كان فعل طاعة لله يريد بها القرب إليه فلا شك ولا نزاع فى مشروعيته .

وإن قال لله : أتوسل إليك ياالله بإيمانى وبصلاتى وبصيامى وبدعائى فهذا أيضاً لا بأس به لحديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة وهم فى الغار .

وإن توسل بمخلوق فإن كان ميتاً فهذا لا يخلو من ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن يقول أتوسل بك إلى الله أن يشفينى ويرزقنى إلى غير ذلك ، فهذا لا شك فى أنه بعد عن الحق والمنهج المستقيم الذى كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته فهو بدعة وضلال ومحرم وكبيرة من كبائر الذنوب . فالله سبحانه لم يشرع لعباده اتخاذ الوسطاء بينه وبينهم ولم يفعله الرسول ولم يأمر بفعله . وقال النبى ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . ولم يعمله أحد من صحابته .

الأمر الثانى : أن يصرف للمخلوق نوعاً من أنواع العبادة فيدعوه ويتوسل به ويطلب منه شيئاً كجلب نفع أو دفع ضر أو قضاء حاجة أو هداية أو غير ذلك فهذا شرك أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة والرجوع إليه . والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين** ﴾ أى المشركين . وقوله : ﴿ **إن الذين تدعون من دون**

الله عباداً أمثالكم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ﴾ إلى قوله : ﴿ قل أدعوا شركاءكم ثم كيدونى فلا تنظرون إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴾ .

والقرآن ملىء بالأدلة الصريحة الواضحة على أن دعاء غير الله شرك والمجال لا يتسع لسرد الأدلة أو ذكرها أو ذكر أكثرها ، والمسلم العاقل يكفيه دليل واحد من الكتاب أو السنة . والله الهادى والموفق إلى سواء السبيل .

الأمر الثالث : أن يتوسل إلى حى بأن يدعو له وهذا لا بأس به لقول النبى ﷺ لعمر لاتنسنا ياأخى من دعائك .

* * *

الفصل السابع

فى تحقيق توحيد الألوهية

المراد بتحقيق هذا التوحيد تصفيته وتنقيته مما يشوبه ويكدر صفوه من السلامة من الشرك بأنواعه ومن السلامة من ترك الواجبات وفعل المحرمات وذلك هو معنى العبودية الحقة لله تبارك وتعالى ، فلا تتحقق هذه العبودية إلا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه . ولهذا الغرض وهذه الغاية خلق الله الجن والإنس . قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ أما إذا لم يكن العبد كذلك فإنه يكون عبداً لنفسه وهواه قال الله تعالى : ﴿**أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا** ﴾ والعبادات تتنوع إلى أنواع : عبادات قلبية ، وعبادات قولية ، وعبادات فعلية ، وعبادات مالية .

وهذه العبادات بأنواعها الأربعة يجب أن تصرف لله وحده لا شريك له .

* * *

الفصل الثامن

فى ذكر أنواع العبادات الأربعة

النوع الأول : العبادات القلبية وهى التى ترجع إلى عمل القلب وحده .

وهى أهم أنواع العبادات وتعتبر أساساً للعبادات القولية والفعلية والمالية ومن ذلك المحبة قال الله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾

قال ابن القيم رحمه الله فى تفسير هذه الآية : إن من أحب من دون الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً فهذا ند فى المحبة لا فى الربوبية ولا فى الألوهية . وقال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ فجعل علامة محبة الله أن يتبعوا رسوله وتكون أهواؤهم تابعة لما جاء به رسوله فإذا علمت أن محبة الله عبادة بل هو أساس العبادات كلها . فاعلم أنه لا يصح شىء منها إلا مع كمال الحب لله وحب شرعه فلا يصح أن يحب العبد شيئاً أعظم من محبة الله أو مثلها لأن هذا شرك فى المحبة لكن لا يمنع أن يحب الشخص شيئاً دون محبة الله إذا كان مباحاً كالمال والتملك ، أو يحب شخصاً دون محبة الله إذا كان أهلاً للمحبة كأولياء الله وأهل طاعته فيحبه لله . فمحبة أولياء الله وأهل طاعته من تمام محبة الله ومن كمال التوحيد . وهذا هو الحب فى الله والبغض فى الله وفرق فى المحبة فى الله ومع الله فالمحبة لله من تمام التوحيد والمحبة مع الله شرك .

وأما محبة الوالد والولد والمال دون محبة الله ، فهى محبة طبيعية لا بأس بها لكن لا تجوز محبة ذلك أعظم من محبة الله ، بل إن هذا شرك قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين** ﴾ .

ومن العبادات القلبية الخوف قال الله تعالى : ﴿ **فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾ فيجب أن يكون الخوف الكامل من الله لا من أحد سواه .

أما الخوف الطبيعى كالخوف من الأسد أو البرد فجائز لكن لا يكون مثل الخوف من الله مساوياً له . ومن ذلك أيضاً الخشية قال الله تعالى : ﴿ **أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون** ﴾ إلى غير ذلك من الأدلة التى تدل على أن أكمل الناس إيماناً وأكملهم عبادة لله أعظمهم خوفاً وخشية له .

ومن هنا يتضح ضلال من زعم أنهم من أولياء الله وأحبائه ، وأنهم لا يعبدون الله خوفاً من ناره ولا طمعاً فى جنته كما يذكر ذلك عن بعض الصوفية .

ومن هذا المنطلق فالواجب على المسلم أن يخاف من عذاب الله ويرجو رحمته فإن الله أمر عباده بذلك وامتدح الذين يدعونه رغباً ورهباً ويرجون رحمته ويخافون عذابه فواجب المسلم الجمع بين الخوف والرجاء فلا يتمادى العبد فى الخوف حتى يخرجه إلى اليأس والقنوط من رحمة الله فيتعاظم ذنوبه أمام رحمة الله بل عليه أن يرجو رحمة الله ولا يتمادى فى المعاصى والضلال رجاءاً لرحمة الله فإن عذاب الله شديد قال الله تعالى : ﴿ **أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾ .

كما يجب على العبد المسلم أن يرجو رحمة الله ولاييأس ويقنط ويقطع الأمل منها مهما عمل من المعاصى مالم تكن شركا فإن الله قد يغفرها ويتجاوز عنها وخاصة إذا تاب العبد منها وتوفرت شروط توبته ، بل أن الله قد يغفر ويتجاوز عن عبده فلا يؤاخذه على سيئاته وذنوبه حتى ولو لم يتب منها ومات عليها ما لم تكن شركاً وكفراً . قال الله تعالى : ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾ ومن ذلك الإخلاص فى العبادة وهو أن يريد بها ثواب الله . قال الله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ فإن أراد الإنسان بعبادته قول أو فعل سوى الله فإن عبادته غير مقبولة لأن العبادة لا تكون مقبولة إلا بشرطين :

الأول : الإخلاص فى العبادة وهو ما ذكرته وقد يكون عدم الإخلاص ظاهرياً أو باطنياً .

الثانى : ظاهرى وهو المتابعة فى العبادة على ماشرعه الله من غير زيادة ولانقص.

ومنها : التوكل ، وهو تفويض الأمور دقيقها وجليلها إلى الله والثقة به والاعتماد الكلى عليه واعتقاد أن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن مع الأخذ بالأسباب التى جعلها الله سبباً . موصلة بقدرة الله وإرادته إلى الغاية والسعى الذى يسعاه العبد داخل فى مقدور الله والله هو الذى أقدر العبد عليه وطلبه منه كما أمره الله بتوقى الشرور والهلكة وأخذ الحذر والحيطة مما قد يضره بسبب تهاونه وغفلته فقال الله تعالى : ﴿ **وتزودوا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ فالتوكل على الله فقط مع عدم الأخذ بالأسباب نقص فى العقل وتعطيل لأوامر الله بالسعى حيث يقول الله تعالى : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾ . ويقول : ﴿ **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾ .

ويقول الرسول ﷺ : « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وترجع بطاناً » فلم يقل فى الحديث هذا أنها جلست فى أوكارها ولم تأخذ بالأسباب الموصلة إلى المطلوب بقدرة الله وبذلك يظهر أن ما يدعيه الجهلة من المتصوفة وغيرهم أن الأخذ بالأسباب ينافى التوكل ، وأن كمال التوكل عندهم هو الجلوس وترك العمل وهذا غلط وفحش وجهل بحقيقة التوكل وطعن فى الإسلام . فالإسلام أمر بالتوكل على الله كما قال تعالى : ﴿ **فاعبده وتوكل عليه** ﴾ . وقوله : ﴿ **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ . وقوله : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ . والآيات كثيرة فى هذا وسيأتى بيان وتوضيح أكثر فى هذا الموضوع إن شاء الله . ومنها الصبر وهو حبس اللسان عن التشكى ، وحبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس الجوارح عن فعل المحرمات ، وعلى أداء الواجبات نظراً لأوامر الله بذلك ولما أعد الله للصابرين من الثواب وتكفير السيئات وهو ثلاثة أقسام :

صبر على فعل الواجبات وأدائها امتثالاً لأوامر الله ورجاءاً ورغبة فى ثوابه .

وصبر على ترك المعاصى والابتعاد عنها امتثالاً لنهى الله وخوفاً من عقابه ورغبة فى ثوابه .

وصبر على ما قدره الله على العبد من المصائب والمكروهات فيرضى بها إيماناً بقضاء الله وقدره ويسلم الأمر لله لينال الثواب وتكفير السيئآت والذنوب من الله عز وجل . قال الله تعالى : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله وبقضائه وقدره فيرضى بها ويسلم .

ومن ذلك يتبين أن الصبر لازم للعبد وملازم له فى جميع أحواله ولذلك كان الصبر بمنزلة الرأس من الجسد ، وكلما عظمت مصيبة العبد عظم أجره .

قال رسول الله ﷺ : « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم » . فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط وما يصاب به العبد من المصائب دليل على محبة الله له إذا كان راضياً بها ، كما أن من صبر عليها نال رضا الله ومن لم يرض بها استحق سخطه كما يفيده الحديث الذى تقدم والأدلة على الأمر بالصبر وترتب الأجر عليه كثيرة . قال الله تعالى : ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وبشر الصابرين** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم** ﴾ إلى قوله ﴿ **أولئك لهم عقبى الدار** ﴾ .

والأدلة على وجوب الصبر وفضله من الكتاب والسنة والعبادات القلبية كثيرة إذ أن كل عبادة قولية أو فعلية أو مالية لا تخلو منها وملازمه له ولكن اقتصرت على بعض العبادات القلبية المحضة .

النوع الثانى العبادات القولية

العبادات القولية كثيرة جداً فمن ذلك الدعاء وهو ينقسم إلى قسمين :

الأول : دعاء ثناء على الله وهو ذكره وتسبيحه وتعظيمه وتمجيده بأسمائه الحسنى وصفاته العلى غير مقترن بطلب شيء ، وهو من أفضل العبادات لأنه هو المعين على فعلها وأدائها وقد أمر الله به فى كتابه فقال تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة لذكرى** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ ومن ذلك قول الإنسان : ياحى ياقيوم يابديع السموات والأرض ياحنان يامنان ياذا الجلال والإكرام لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وقال رسول الله ﷺ : « أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا

والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له » . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كان أكثر دعاء النبى ﷺ يوم عرفة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير » .

وهذا النوع أعنى دعاء الثناء هو مخ العبادة لكن يجب على العبد أن يستشعر ويستحضر عظمة من يذكره وهو الله ، ويكون بتذلل وافتقار وخشية وحضور قلب . وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أن بعض الصحابة قال له النبى ﷺ : « لايزال لسانك رطباً من ذكر الله ، ومن ذلك قراءة القرآن والتعبد بتلاوته » .

القسم الثانى دعاء سؤال وطلب وهو أن يدعو العبد ربه ويسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ثم يذكر حاجته كأن يسأله الهداية والسعة فى الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجه .

وهذا القسم أيضاً عبادة فإنه يقتضى ذل العبد وافتقاره إلى ربه كمايقتضى اعتقاد قدرة الله على إعطائه ما سأله من ربه وإقراره أيضاً بالغنى التام لله عزوجل لكن هناك شيء يجب التنبيه عليه ، وهو أن يجب على العبد أن يكون مطعمه حلالاً ومشربه حلالاً وملبسه حلالاً لتستجاب دعوته فقد ورد أن النبى ﷺ قال : « أطب مطعمك تستجب دعوتك » كما يجب عليه أن يكون حاضر القلب مستحضراً عظمة وقدرة وغنى من يسأله .

ويجب عليه أن لا يعتدى بدعائه فإذا توفرت الشروط وانتفت الموانع فإن الله يستجيب لمن دعاه قال الله تعالى : ﴿ **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم** ﴾

ثم أعلم أن هذا القسم – أى دعاء الطلب – يدخل فيه الرجاء والخشية والخوف والرغبة والرهبة والذل والعجز والافتقار ، وهذا يجعله من أفضل العبادات

وقد وردت أدعية كثيرة فى القرآن والسنة المطهرة ، وفيها غنية عن الأدعية التى لم ترد فى كتاب الله أو سنة رسوله من الأدعية الشركية المبتدعة والتى

مملوءة بها كتب الصوفية ، والتى يسمونها أوراداً وهى فى الحقيقة أشواك .
ومن الكتب الموثوق بها وبمؤلفيها والتى خصصوها فى الدعاء كتاب الكلم الطيب لابن تيمية ، وكتاب الوابل الصيب لتلميذه ابن القيم رحمة الله عليهما وغيرهما من كتب السنة .
ومن هذا القسم الاستعاذة بالله قال الله تعالى : ﴿ **وقل أعوذ بك من همزات الشياطين** ﴾ وقوله : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ .
ومن ذلك الاستغاثة ، وهى طلب الغوث والنجدة من الله فالاستعاذة بغير الله أو الاستغاثة بغيره شرك ، لأنهما عباداتان خالصتان لله فلا يجوز صرفهما إلى غيره كسائر العبادات .
إلا أن ما يقدر عليه الإنسان من الغوث يجوز أن يطلب منه كقول الإنسان لآخر : أستغيث بالله ثم بك ومثل ذلك ، الاستعاذة فيقول : أعوذ بالله ثم بك .
ولا يجوز بل من الشرك أن يقول الإنسان : أستغيث بك وأعوذ بك أو أستغيث بالله وبك وأستعيذ بالله وبك . ولذا قال الرسول ﷺ : لما قال الصحابة قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق قال : « إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله أمّا لو قالوا قوموا نستغيث بالله ثم برسوله فهذا جائز والله أعلم .
وقال بعض العلماء يجوز أن يستغيث الإنسان بغيره إذا كان حياً قادراً بدون عطف فيقول استغيث بك وتفسير ابن عباس لقول الله : ﴿ **فلا تجعلوا لله أنداداً** ﴾ يمنعه ويأباه ولذا أنكر الرسول على الصحابة حينما قالوا قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق .

النوع الثالث العبادات الفعلية

العبادات الفعلية هى التى تؤدى بفعل الجوارح وهى كثيرة فمنها الصلاة بأنواعها من فرائض ونوافل فالصلاة المفروضة هى الركن[١] الثانى من أركان

(١) سيأتى زيادة بيان وإيضاح للصلاة والزكاة والصيام والحج فى موضوع من هو المسلم ؟

الإسلام وهى آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين ولا يكفر الإنسان بترك شيء من أركان الإسلام مع الإقرار بوجوبه وركنيته إلا الصلاة فإنه إذا تركها مع الإقرار بوجوبها فإنه يكفر هذا هو القول الصحيح لقول النبى ﷺ : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » . وروى مسلم وأبو داود قول الرسول ﷺ : « بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة » . فهذا الحديث صريح الدلالة بأن تارك الصلاة كافر كفر أكبر يخرجه من الملة الإسلامية وذلك لأن كلمة الكفر محلاة بالألف واللام فهى للاستغراق والشمول فتشمل الكفر الأكبر والأصغر .

وعلى ذلك فلا يجوز أن يعقد زواج بين امرأة ورجل أحدهما يصلى والآخر لا يصلى وإذا حصل العقد فإنه باطل ولا غ . ولا تجوز الصلاة على تارك الصلاة إذا مات ولا تغسيله ولا تكفينه ولا دفنه فى مقابر المسلمين ولا يدعى له بالمغفرة والرحمة ، ولا يرث ولا يورث . وإنما يحفر له حفرة ويوارى بها لئلا يتأذى منه المسلمون .

ومن ذلك الصيام وهو الإمساك بنية من طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس عن جميع المفطرات .

ومن ذلك أيضاً الحج والعمرة وما يشتملان عليه من طواف وسعى وحلق وذبح ورمى ووقوف بعرفة ومبيت بمزدلفة وبمنى فعلى العبد أن يستشعر ذلك أن ذلك كله عبادة لله سواء ظهرت له الحكمة أم لم تظهر فالله هو الحكيم وهو المشرع لعباده .

ومن ذلك الجهاد فى سبيل الله .

ومن ذلك السفر أو التنقل من مكان إلى مكان لطلب العلم إلى غير ذلك .

النوع الرابع من أنواع العبادات

العبادات المالية

العبادات المالية التى تعبَّد الله بها عباده كثيرة ، وأهمها الزكاة المفروضة وهى الركن الثالث من أركان الإسلام ولأهميتها اقترانها بالصلاة فى كثير من الآيات وقد توعد الله سبحانه الذين يبخلون بها فقال تعالى : ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾ .

ومن العبادات المالية الصدقة غير المفروضة ومن ذلك صلة الرحم وهى واجبة ومن ذلك الإنفاق فى سبل الخير كبناء المساجد وإجراء المياه ومن ذلك النذر إذا كان فعله طاعة والوفاء به يتطلب بذل مال . ومن ذلك أيضاً الكفارات وهى واجبة إذا كان إيفاؤها يتطلب بذل مال . ومن ذلك الذبح فهو عبادة فعلية ومالية كذبح الأضاحى ونسك الحج أو الكفارة لفعل محظور من محظوراته . ومن ذلك العقيقة .

وملخص القول أن جميع العبادات بأنواعها لا يجوز صرفها لغير الله فمن صرفها لغيره فهو مشرك سواء كان نبياً أو ملكاً أو جنياً أو ولياً أو زعيماً أو عظيماً أو مِلِكاً . وسواء كان ذلك المصروف له شيء من العبادة حياً أو ميتاً فإنه شرك بالله ، شرك أكبر ، فالذبائح التى تذبح عند القبور ما ذلك إلا تعظيم للمقبورين وإدعاء بأنهم ينفعون أو يضرون ومثل ذلك إيفاء النذور عندها ، كل ذلك من الشرك بالله ، نسأل الله العافية . والسلامة من الشرك لنا ولجميع أمة محمد ﷺ .

* * *

الفصل التاسع

إتخاذ الحيطة لسلامة توحيد الألوهية

تقدم لنا أن توحيد الألوهية ينبنى على إخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به فى أى شىء من أنواع العبادة التى تقدم ذكرها وما لم أذكره منها شمله هذا التعريف للعبادة حيث أن العلماء عرفوها بقولهم : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

ولما كان هذا القسم أعنى توحيد الألوهية هو أعظم أقسام التوحيد وأشرفها فقد اتخذ الشرع ونبه على أعظم الاحتياطات ، وسدَّ جميع الذرائع التى قد تؤدى إلى الشرك أو تنقصه ونفى عنه وحذر عن جميع الأشياء التى تخل به ، وحرم كل ذريعة ووسيلة تؤدى إلى الإخلال بقواعده حتى يبقى صافياً نقياً مصوناً عما يكدره بعيداً عن عوامل الزيغ والانحراف والغلو والضلال .

فمن ذلك البناء على القبور تعظيم لأصحابها وتجصيصها والزيادة على تربتها عند الدفن والكتابة عليها واتخاذها مساجد وإنارة المصابيح عليها ، كل ذلك نهت عنه الشريعة لأنه غلو وتعدٍّ لحدود الله وشرعه .

ومن الأدلة على ذلك ما رواه مسلم عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يقعد عليه . وللحاكم وأن يكتب عليه . وفى رواية لأبى داود أو يزاد عليه – يعنى أكثر من ترابه وقد بوب البيهقى على ذلك فقال : باب لا يزاد على القبر أكثر من ترابه .

وروى أبو الهياج الأسدى قال : قال على ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

وروى أبو هريرة مرفوعاً : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

ومن ذلك أيضاً لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .

وكثير مما ذكرت موجود فى كثير من البلاد الإسلامية والملامة كلُّها على العلماء الذين هم ورثة الأنبياء إذا لم يبينوا للناس أمور دينهم ويبصروهم فيه وسيسألون عن ذلك أمام الله يوم القيامة فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لن تزول قدما أمرىء حتى يُسأل عن أربع ومنها وعن علمه ماذا عمل به » أو كما قال رسول الله . فلا يلومن أحد إلا نفسه .

ومن هذا الباب وضع الزهور على القبور وفرشها بالفرش ، وإقامة سدنة عليها ، كل هذا من الغلو فى القبور الذى لا يجوز فعله .

قلت : وليس منه الرجال الذين يقفون على الحجرة التى فيها قبر النبى ﷺ لأن مهمتهم توجيه الناس فقط ونهيهم عن التمسح بجدران الحجرة النبوية ، حيث أن ذلك لا يجوز ومنقص للتوحيد .

ومن ذلك الصلاة إلى القبور ودليله قول الرسول ﷺ : « إن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد ، وليس معنى هذا أنه لابد وأن يوجد بناء على القبور فإنه يحرم الصلاة إلى القبور وإن لم يوجد بناء لأن كل الأرض المبنى منها وغيره يسمى مسجداً لقول الرسول ﷺ : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » .

ومن ذلك أيضاً الدعاء عند القبر فإنه حرام ومنقص لكمال التوحيد ووسيلة إلى الشرك ، ودليله ما روى على بن الحسين عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه لما رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبى ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه ثم قال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تتخذوا قبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً وسلموا علىَّ فإن تسليمكم ليبلغنى أينما كنتم » . وقد كان من المتقرر عند الصحابة تحريم ذلك ومنعه – أعنى الصلاة والدعاء ، فروى البخارى أن عمر رضى الله عنه رأى أنس بن مالك يصلى عند قبر فقال له : القبرَ القبرَ . تحذيراً من الصلاة عنده . وهذا يدل على أنه كان معروفاً عند الصحابة تحريم الصلاة والدعاء عند القبر . وفعل أنس لا يدل على الجواز وأن الصلاة تجوز عند القبر لا بل يجاب عن ذلك إما أن أنساً لم ير القبر أو أنه رآه ولم يعلم أنه قبر .

فهذه نصوص واضحة وأدلة بينة وبراهين ساطعة دامغة على تحريم الصلاة والدعاء عند القبور ومثلها قراءة القرآن والذبح وإن كان لله ، بل كل عبادة لا يجوز فعلها عند القبور لأن ذلك وسيلة إلى الشرك وغلو فى القبور وزيادة فى شرع الله .

إلا أن من فاتته الصلاة على الميت ولم يمض عليه أكثر من شهر فإنه يجوز أن يصلى عليه ويدعو له وكذا من ذهب إلى القبور لزيارتها المشروعة فإنه يجوز له بل مستحب له أن يدعو لنفسه ولأصحاب القبور للأدلة التى وردت فى ذلك .

أما إن كانت العبادات تفعل لأصحاب القبور كالطواف عليها والتمسح بها والتبرك بها ودعاء أصحابها وعقد النذور لهم والذبح ، فهذا والله هو عين الشرك المحض الذى لا يغفره الله إلا بالتوبة .

وما يقال فى القبور يقال فى غيرها من الأماكن والأشجار والأحجار والغيران فلا يتمسح بها ولا يتبرك بها ولا يرجى نفع منها ولا كشف ضر فإنه مضاد للتوحيد بنوعيه توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية فرجاء غير الله صرف للعبادة لغير الله وهو مناف لتوحيد الألوهية ، واعتقاد أنه يضر أو ينفع بشىء من الأشياء كالإنجاب أو الرزق أو الشفاء مناقض لتوحيد الربوبية .

ولقد اعتقد الصحابة هذا المعتقد لمعرفتهم بسنة محمد ﷺ ومنهجه وحرصه على صيانة التوحيد والمحافظة على حماه . فهذا الفاروق أمر بقطع شجرة الرضوان التى بايع رسول الله ﷺ الصحابة عندها لما علم أن بعض الناس يذهبون إليها ويتعمدون الصلاة عندها عملاً بحديث أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ وللمشركين سدرة يعكفون عندها ويعلقون عليها أسلحتهم – طلباً للنصر – يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ منكراً ومتعجباً من قولهم : « الله أكبر إنها السنن قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى [اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون] » .

وقال عمر مرة وهو يقبل الحجر الأسود : إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك . وعزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد من القيادة والإمارة خوفاً من أن الناس يفتتنون به .

فالتعلق بأستار الكعبة ، ومسح ما لم يرد الشرع بمسحه منها ، والتمسح بالمقام أو الحجرة التى فيها قبر رسول الله ﷺ ، وغسل الأقمشة بماء زمزم من أجل لبسها للانتفاع بذلك أو من أجل التكفين بها من أجل السلامة من العذاب أو تخفيفه ، كل ذلك بدعة لا يجوز ومنقص لكمال التوحيد ، وما ورد فى ماء زمزم إلا شربه فقط فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ماء زمزم لما شرب له » .

ومن الاحتياطات التى اتخذ هذا الشرع المطهر لسلامة توحيد الألوهية وكذا الربوبية نهى الرسول ﷺ عن الألفاظ التى توهم الندية والمساواة بين الله وبين أحد من خلقه ، كقول الإنسان : أنا فى حمى الله وحماك أو أنا متوكل على الله وعليك أو أعوذ بالله وبك أو ماشاء الله وشئت أو لولا الله وفلان لحصل كذا وأعظم منه لو حذف المعطوف عليه وحرف العطف وبقى اللفظ هكذا أنا فى حماك أو متوكل عليك أو أعوذ بك ، فهذا أعظم من العطف على اسم الجلالة بالواو لأن الواو تفيد المساواة بين المعطوف والمعطوف عليه وبدون العطف جعل المتكلم الأمر كله للمخاطب .

فإذا كان المتكلم لابد وأن يستعمل العطف فإنه يعطف بثم التى تفيد التراخى والتعقيب أما السلامة للتوحيد واستعمال الأفضل فى النطق فهو أن لا يعطف على اسم الجلالة شيئاً فيقول أعوذ بالله وما شاء الله وأنا فى حمى الله . ودليل ذلك ما روى ابن عباس أن رجلاً قال للنبى ﷺ : ما شاء الله وشئت فقال : « أجعلتنى لله نداً ماشاء الله وحده » . وقال رسول الله ﷺ : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده » .

ومن المحافظة على سلامة التوحيد نهى الرسول ﷺ أن يقول الإنسان الرقيق لسيده ربى ولا يقول السيد لرقيقه عبدى ، ففى الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقل أحدكم أطعم ربك وضىء ربك وليقل سيدى ومولاى ولا يقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل فتاى وفتاتى .

ومن المحافظة على سلامته أيضاً النهى عن الصلاة عند طلوع الشمس أو غروبها حيث أن ذلك من فعل عباد الشمس فكانوا يتحرون وقت طلوعها وغروبها لذا نهينا عن الصلاة فى هذين الوقتين ، كل ذلك محافظة على التوحيد وسداً للذرائع والوسائل التى تؤدى إلى الشرك ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها » .

ومن المحافظة على سلامته وصيانته نهى النبى ﷺ عن شد الرحال إلى أى مكان من الأمكنة بقصد التقرب والتعظيم لذلك المكان إلا ما استثناه الشرع كالمساجد الثلاثة فقال رسول الله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » – أعاده الله على المسلمين بنصر وتأييد من عنده – .

ومن المحافظة أيضاً نهى النبى ﷺ عن قيام الناس بعضهم لبعض على جهة التعظيم . وهذا ما يوجد كثيراً وغالباً عند طلبة المدارس فياليت المسئولين ينبهونهم أن هذا لاينبغى إذ أن فيه شيئاً من التعظيم للداخل سواء كان موجهاً أو مديراً أو معلماً ، فإن هؤلاء أقل قطعاً من رسول الله ﷺ منزلة وشرفاً وفضلاً والرسول عليه الصلاة والسلام قال للصحابة حينما رآهم قاموا إليه : « لا تقوموا لى كما تقوم الأعاجم لأمرائهم » .

وصلى بهم ذات مرة جالساً حيث كان شاكياً . وصلوا وراءه قياماً فأشار إليهم أن اجلسوا . ثم قال لهم بعد أن فرغ من صلاته كدتم تفعلوا آنفاً فعل فارس بعظمائها يجلس الرجل ويمثل الناس قياماً بين يديه .

ومن المحافظة على التوحيد نهيه عن الغلو والزيادة فى المدح والثناء والاطراء للمخلوق سواء كان حياً أو ميتاً . فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » .

وقد تجرأ بعض الشعراء وهم كثير على إطرائه ومدحه حتى أنهم رفعوه عن المنزلة التى أنزله الله عليها حتى أن بعضهم لاذ واستجار به . إقرأ إن شئت الهمزية والميمية للبوصيرى لترى الجرأة العظيمة على التوحيد والإقرار بالشرك حيث أنه جعله يعلم الغيب وجعل الحلف به من أعظم الأقسام فهو على كلامه

الإقسام بالرسول أعظم من الإقسام بالله . وها أنا أنقل لك أبياتاً من ميميته . إذ قال فيها :

ما سامنى الدهرُ ضيما واستجرتُ به إلا ونـلتُ جواراً منـه لم يَضم
ولا التمست غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستَلَم

وقوله :

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسْد فى آجامها تَجِم

وقوله :

إن لم يكن فى معادى آخذا بيدى فضلاً وإلا فقل يازلَّةَ القدم

وقوله :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العَمِمِ

وقوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وقوله :

بجاه من بيته فى طيبة حرم وإسمه قَسَمٌ من أعظم القَسَمِ

وغير ذلك مما هو موجود من المديح والثناء والإطراء الزائد والمتجاوز للحدود المشروعة فإنه محرم ، وقد يصل إلى الشرك كما فى الأبيات السابقة ولسلامة التوحيد وصيانته والحفاظ عليه والدفاع عن محارمه نهى رسول الله ﷺ عن الإطراء والمدح حتى ولو كان هو الممدوح .

ومن المحافظة على سلامة التوحيد سد الذرائع والوسائل التى تشعر بتعظيم المخلوق سواء كان لفظاً أو فعلاً مثل قول السيد قصداً للتعظيم ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ لما قيل له : ياسيدنا وابن سيدنا فقال : السيد الله . أو كان

ما يشعر بالتعظيم فعلاً فهذا رجل أخذته رعدة من هيبة رسول الله ﷺ حينما دخل عليه فقال له الرسول ﷺ : « هون عليك نفسك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » .

ولما دخل رسول الله ﷺ على معاذ فسجد له أنكر عليه ذلك بقوله : ما هذا يامعاذ لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولكن السجود لله . ثم قال أرأيت يا معاذ لو مررت بقبرى أكنت ساجداً له فقال : لا . فقال : لا تفعل – أى لا تفعل ذلك فى حياتى .

وعلى هذا النهج سار الصحابة والسلف الصالح من المحافظة على التوحيد والوقوف أمام كل واحد يريد تكدير صفوه ونقاءته من كل ما يشوبه حتى ضعف علماء المسلمين وتساهلوا ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم من تبيين الحق لمن هو مسئول عن رعايا المسلمين فوقع بهذا التهاون وعدم التناصح ما وقع من طوائف الشيعة والمتصوفة فأعملوا معاولهم فى هدم التوحيد فى الغلو فى أئمتهم وشيوخهم وتقديسهم وتعظيمهم للمشاهد والمزارات وتبركهم بالآثار وسجودهم وتقديمهم النذور والقربات .

ومازال الأمر يستفحل والخطر يشتد حتى وصل إلى ما يشاهد الآن فى معظم البلاد الإسلامية من إقامة القباب على القبور ، وإنشاء المقاصير حولها ، وتزيينها بالزخارف وفرشها بالفرش وإنارتها بالمصابيح والثريات الكهربائية ، ووضع صناديق الوفاء بالنذور عندها وفتحها للزائرين والزائرات يحجون إليها ويرتكبون كثيراً من الأعمال الشركية كالطواف عليها وذبح القرابين عندها وتقبيلها والتمسح بها والتوسل والمناجاة لها ، وإقامة المهرجانات الجاهلية وذكرى الموالد لها . وهذا إما شرك أكبر وإما أقل أحواله أن يكون بِدَعاً محرمة ومن كبائر الذنوب ، وقد شاهدت كثيراً فى بلاد المسلمين مما ذكرته فشاهدت

الطواف على قبر الحسين فى مصر وشاهدت ليالى يسهرونها ويقيمون احتفالات عظيمة من ضرب بالطبول وتزمير بالمزامير مع الغناء ومع ذلك يسمونه «ذكراً» والأولى أن تسمى وزراً .

وهذه الاحتفالات كثيرة ، منها الاحتفال بالمولد النبوى ، ومنها الاحتفال بمولد البدوى والدسوقى والرفاعى وغيرهم .

ومثل ذلك كثير من البلدان الاسلامية ، وما حصل ذلك إلا بتهاون المسلمين وتساهلهم والمسئولية متعينةٌ على العلماء والملوك والرؤساء أعظم من آحاد المسلمين . فيا علماء الإسلام ماذا يكون الجواب أمام الملك العلام يوم القيامة حينما يسألكم عن هذا العلم الذى تعلمتموه هل بينتموه للناس ولم تخافوا فى تبيين الحق وإظهاره لومة لائم أم ماذا . وماذا أنتم قائلون لربكم آنذاك وبم أنتم لربكم مجيبون ؟ فأنتم تعلمون أنكم ورثة الأنبياء وأنتم المبلِّغون لرسالة محمد ﷺ .

فواجب على كل عالم أن يكون حارساً يقِظاً نبيهاً فلا يؤتى الإسلام من قبله .

وأقول إن واجب العلماء المقربين من الحكام أعظم من غيرهم ، فواجبكم أيّها العلماء أن تلفتوا أنظار المسلمين وحكامهم وولاتهم إلى الحق ففيه السعادة فى الدارين ، وتبينوا أن الغلو فى القبور بأنواعه وأشكاله محرم ووسيلة إلى الشرك ، وإقامة الاحتفالات بالموالد بدعة وكبيرة من كبائر الذنوب فهؤلاء الصحابة والتابعون لهم لم يقيموا هذه الاحتفالات ولم يحصل منهم هذا الغلو فى القبور الذى قد يصل إلى الشرك . أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يهدى المسلمين إلى الحق .

* * *

المبحث الثانى وفيه فصول :

الفصل الأول

توحيد الربوبية وهو ملازم لتوحيد الألوهية

توحيد الربوبية هو القسم الثانى من أقسام التوحيد وهو الإيمان والإقرار بأن الله هو المتوحد فى أفعاله كالخلق والإحياء والإماته والرزق وتدبير الكون . قال ابن الأثير فى النهاية : الرب يطلق على المالك والسيد والمدبر والقيّم والمنعم . ولا يطلق اسم الرب غير مضاف إلا على الله تعالى . وإذا أطلق على غيره فلابد من إضافته فيقال رب الدار ، ورب الإبل ؛ هذا إذا أضيف إلى غير العاقل . أما إضافة الرب إلى العاقل فلا يجوز شرعاً . ولذا قال رسول الله ﷺ : « لا يقل المملوك ربى وليقل سيدى » . أما قول الله تعالى : ﴿ **إذكرنى عند ربك** ﴾ فإنه خطاب على المتعارف عليه عندهم وعلى ما كانوا يسمونه به أو يقال إن هذا من باب الإخبار عن الشيء وليس من باب الانشاء . وباب الإخبار أوسع من باب الانشاء .

ومن هذا يتبين أن كلمة رب لها عدة معان وهذه المعانى كلها يصح أن تكون لله وأنها لا تكون كاملة إلا له سبحانه فهو المربي للأشياء الذى ينميها وينقلها من طور إلى طور وهو المالك لها حقيقة وهو السيد عليها والمدبر لأمورها والقائم بحفظها وكلاءتها . ولهذا كانت جميع شئون الربوبية كلها من الخلق والرزق والملك والتدبير وتصريف الأمور مختصة برب العالمين لا يشاركه فيها أحد من خلقه وهذا أمر مهيمن على الفطرة لا ينازع فى ذلك أحد ممن

سلمت عقولهم حتى إن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ مقرون بذلك ولا ينكرونه ولا يجعلون شيئاً من معبوداتهم شريكاً لله فى ربوبيته قال الله تعالى : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله قل أفلا تتقون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التى تفيد إقرار المشركين بهذا القسم من أقسام التوحيد وهو توحيد الربوبية ولم ينكره أحد إلا ثلاث طوائف :

الأولى : الدهرية ، وهم الذين يزعمون أن العالَم يسير بنفسه ، وأن الكون غير متصرَّف فيه فهم يجحدون الصانع والخالق ويقولون ما حكاه عنهم القرآن بقول الله تعالى : ﴿ **وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ لكن أنكر الله عز وجل عليهم فى آخر الآية بقوله : ﴿ **وماهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾ .

الطائفة الثانية : الثَّنَوَية ، وهم من المجوس وهم الذين يجعلون للعالم خالقين خالقاً للخير وخالقاً للشر فعندهم أن خالق الخير النور وخالق الشر الظلمة ورد الله على هؤلاء ومن شابههم بقوله تعالى : ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾ . فلو كان هناك خالقان لعلا منهما القوى على الضعيف واستبدَّ بالأمور وتصريفها .

الطائفة الثالثة : أهل التثليث من النصارى ، وهم الذين يقولون إن الله

ثالث ثلاثة ، بمعنى أنهم يجعلون الآلهة ثلاثة الآب والأبن وروح القدس ويَرُدُّ عليهم بالآية السابقة .

والحاصل أنه لم ينكر قديماً فى هذا القسم من التوحيد إلا هذه الطوائف الشاذة التى زاغت قلوبهم عن الحق ، أما الجمّ الغفير من الناس ذوى الفطر السليمة والعقول الصحيحة فهم مقرون به ويعلمون حقاً أنه لو كان فى الوجود إله غير الله يشركه فى ملكه لكان له فعل كفعل الله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماته وإنزال الغيث وغير ذلك من الأفعال التى هى من خصائص الربوبية .

ومن الأدلة العقلية على وجود الله وربوبيته على خلقه انتظام أمر العالم كله من تغير الزمن وفصول السنة فهذا الشتاء يجىء شيئاً فشيئاً من أجل أن تتعود الأجسام البرودة فتتحملها ومثل ذلك الصيف وإمساك السموات أن تقع على الأرض وسير النجوم على ما يريده الله فلا تميل عن طريقها لا يمنة ولا يسرة وإيجاد الهواء الذى تعيش عليه الأنفس بقدر محدود فلو زاد أو نقص لتكدرت الحياة فإذا عرف الناس هذا وأقروا بهذا النظام الباهر للعقول للكون علوه وسفليه عقلوا أنه لابد له من مصرف ومدبر وهذا هو الطريق إلى الإقرار بتوحيد الربوبية ومن لازم توحيد الربوبية أن لا تصرف العبادة إلا لله وهذا هو توحيد الألوهية فتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية متلازمان ولذلك كثيراً ما يقرن الله فى الآيات القرآنية ما يدل على هذين القسمين من أقسام التوحيد مثل قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءاً وأنزل من السماء ماءاً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً إن كنتم تعلمون** ﴾ والآيات كثيرة فى هذا كله من أجل تقرير توحيدى الربوبية والألوهية وتثبيتهما فى النفوس .

* * *

الفصل الثانى

فى بيان أن مشركى هذا الزمن
أعظم شركاً من المشركين السابقين

لقد عرفت أن المشركين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ مقرون بتوحيد الربوبية . قال الله تعالى : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله قل أفلا تتقون** ﴾ وغير ذلك من الآيات المتقدمة .

أما مشركو زماننا هذا من القبوريين وممن يدَّعون الإسلام من القبوريين فحالهم تأبى الإقرار بتوحيد الربوبية الذى أقر به المشركون وذلك لأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية فهم ، وإن كانوا بألسنتهم مقرون بهذا التوحيد أعنى توحيد الربوبية فإن واقعهم يخالف ذلك فتراهم عندما يصيبهم كرب أو شدة أو ضيق أو مرض أو عقم أو غير ذلك تجدهم يهرعون مسرعين إلى القبور ومعبوديهم من أصحابها فيستشفون بهم ويسألونهم الفرج مما هم فيه من الضيق والشدة فيعلقون آمالهم عليهم معتقدين أنهم يضرون وينفعون بكشف الضر أو جلب النفع وهم ناسون أو متناسون أن ذلك إلى الله وحده لا شريك له فهو الضار والنافع وليس الضر أو النفع إلى أحد سواه فى أى شيء من الأشياء فالله يقول مخاطباً رسوله وفى حياته أيضاً : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ حينما قال الرسول وقتما شُجَّ رأسه وكسرت رباعيته « لايفلح قوم شجوا نبيهم » ويقول

أيضاً له : ﴿ **قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً** ﴾ فإذا كان لا يملكِ لنفسه وفى حياته نفعاً ولا ضراً مع أنه أفضل خلق الله فكيف بغيره يرجى منه ذلك . ويقول أيضاً مخاطباً لرسوله : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ فالرسول لا يهدى هداية التوفيق أحداً ممن أراد الله إضلاله وشقاوته حتى ولو كان من أخص الناس وأحبهم إليه . ويقول الرسول ﷺ مقرراً ذلك لأقربائه حينما جمعهم قال : « يا معشر قريش إشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً يافاطمة بنت رسول الله سلينى من مالى ماشئت لاأغنى عنك من الله شيئاً » وهذا كله تقرير لتوحيد الربوبية وهو توحيد الله بأفعاله الخاصة وأنه لايستطيع أن ينفع أحداً بما هو من خصائص الله وهو مع ذلك رسول الله وأحب الناس إليه وفى حياته عليه الصلاة والسلام ، كما أن قول الرسول ﷺ هذا مع أقرب الناس إليه . فإذا كان الأمر كذلك وهو الواقع فكيف تعمل الأعمال الشركية عند القبور وأصحابها ولا من ينكر ذلك من العلماء وأخص منهم الذين يرون هذا .

فإذا علمت ذلك أيها العبد وعرفت توحيد الربوبية حقيقة أدركت بعقلك أن المستحق للعبادة هو المالك الحق المتصرف فى الأمور كلها من شقاء وسعادة وإحياء وإماتة ورزق وشفاء وإنجاب للولد لكن أولئك القبوريين الذين يعبدون أصحاب القبور ويعظمونهم ويقدسونهم جهلوا حقيقة توحيد الربوبية ، لذلك تجدهم يصرفون كثيراً من أنواع العبادة لأصحاب القبور وهذا شرك أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة والإقلاع منه وما قلت هذا إلا معذرة عند ربى . ولعل الله يهدى بكلامى هذا كثيراً من الخلق الذين ضلوا بأفعالهم عن الطريق المستقيم الذى كان عليه نبينا محمد ﷺ وصحابته وسلفنا الصالح .

* * *

الفصل الثالث

فى توهمات القبوريين
بحصول مطلوبهم من المقبورين

إن من تزيين الشيطان وتضليله للقبوريين حصول المطلوب عندما يصرفون شيئاً من العبادة لأصحاب القبور وهذا يوجد فى الأصنام التى تُعبد من دون الله وكله من الشيطان وقد يحصل ما هو أعظم من حصول المقصود من الأصنام أو المقبورين كسماع الكلام والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان ولكن هذا ليس دليلاً على جواز عبادتها وأن عبادتها حق بل الحق أن يقال فى ذلك أن لإبليس وجنوده من الجن والإنس أعظم ما يكون فى إضلال الناس ، وقد مكن الله الشيطان من دخوله فى الاجسام ووسوسته للعباد وقد أخبر الرسول ﷺ أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فلا يستبعد أن يدخل الشيطان فى أجواف الأصنام ويتكلم من داخلها فالله قد أذن له بذلك وأقدره عليه قال تعالى : ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا** ﴾ .

وثبت فى الأحاديث أن الشيطان يسترق السمع بالأمر الذى يريده الله فيسمع الكلمة فيلقيها إلى الكهان وهم الذين يخبرون عن بعض المغيبات ويزيدون على ما ألقاه الشيطان إليهم ويوحى شياطين الجن إلى شياطين الإنس من سدنة القبور وغيرهم فيقولون إن الولى فلاناً يعنون المقبور فعل كذا وكذا يرغّبون ويرهّبون منه .

وترى العامة من ملوك الأقطار وولاة الأمصار راضون بذلك بل أنهم يعززون من يقوم على القبور وحتى أنهم لا يولون عليها إلا من يحسنون به الظن من الصلاح والاستقامة فيجعلون إما قاضياً أو مفتياً أو طالب علم له شهرته أو شيخاً من شيوخ الصوفية فيتم للشيطان مراده وتقر عينه وينجح فى مهمته وسياسته .

* * *

الفصل الرابع

فى بيان أن توحيدى

الربوبية والألوهية متلازمان ومرتبطان

تقدم لك أيها الأخ أن لله أفعالاً خاصة به لا يشركه فيها أحد من خلقه لعدم مقدرتهم على إيجادها وحصولها كالخلق والرزق والإحياء والإماته والشفاء من الأمراض والأسقام وإنجاب الذرية وغير ذلك مما هو من خصائص الربوبية . فإذا كنت من العقلاء أقررت بذلك واعتقدته وأنكرت على أولئك القبوريين الذين لم يوحدوا توحيد الألوهية ولا حتى توحيد الربوبية الذى أقر به المشركون لأن حالهم وواقعهم يأبى ذلك فهم يزعمون أن المقبورين ممن يسمونهم أولياء يستطيعون النفع أو دفع الضر وأنهم يشفون ويرزقون ويهدون ويضلون وبهذا يكونون غير موحدين بتوحيد الربوبية . ثم إنك تجدهم يصرفون شيئاً من أنواع العبادة لهم كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك فهم جمعوا بين أمرين ومفسدتين عظيمتين :

الأولى : عدم توحيد الربوبية عندهم لزعمهم أن غير الله يضر وينفع ويشفى إلى غير ذلك .

الثانية : عدم توحيد الألوهية عندهم أيضاً لأنهم يصرفون لهم شيئاً من العبادة .

فتبين لك أن من لازم توحيد الربوبية توحيد الألوهية فصرف العبادة لغير الله هو إعتقاد أن ذلك الغير يستطيع أن ينفع أو يضر وهذا شرك مناقض للتوحيدين ، وبمعنى آخر هو أن ذلك المدعو أو المذبوح أو المنذور له قد اتخذ رباً يرزق ويشفى ويهدى ويضل على حد اعتقادهم . وهذه أفعال وماماثلها لا يستطيع تحقيقها

وحصولها إلا الله والمعتقد هذا قد أشرك فى توحيد الألوهية لصرفه شيئاً من أنواع العبادة لغير الله وأشرك فى توحيد الربوبية لاعتقاده أن مدعوًّ ينفع ويضر ويرزق .

وتقدم لك أيضاً شيء من الأدلة على ذلك ولا مانع من ذكره مرة أخرى لأن المقام يستوجب ذكر الدليل قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أحب الناس إليه وأفضلهم عنده وأشرفهم لديه : ﴿ **قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً** ﴾ فدلت هذه الآية بمنطوقها أن أعظم خلق الله وأكرمهم وأعلاهم منزلة عنده لا يملك نفعاً ولا ضراً لنفسه ، ومن باب أولى أن لا يملك ذلك لغيره . وقال تعالى : ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً لمن الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو** ﴾ الآية . وقال تعالى مستفهماً إستفهام إنكار وتعجب : ﴿ **أيشركون ما لا يخلق** ﴾ الآيتين .

* * *

الفصل الخامس

التعدى لحدود الله فى زيارة القبور

لعل من المناسب بعد ذكر ما تقدم من أفعال القبوريين أن أذكر الزيارة للقبور .

فأقول : قسم العلماء الزيارة للقبور إلى ثلاثة أقسام :

زيارة شرعية ، وزيارة بدعية ، وزيارة شركية . فالزيارة الشرعية للقبور مندوب إليها لأنها تذكر الآخرة ويتذكر الانسان الموت وسكراته وفراق الأهل والولد ، ويتذكر القبر وما فيه ولكن هذه الزيارة لها شروط خمسة :

الأول : أن تكون بدون شد رحل لقول الرسول ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » .

الثانى : أن تكون من رجال ، فالنساء لا يجوز لهن زيارة القبور لأن رسول الله ﷺ لعن زائرات القبور .

الثالث : أن لا يحصل توسل بالمقبورين لأن رسول الله ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .

الرابع : أن لا يفعل أى عبادة لله عندها لأن ذلك يؤدى إلى الشرك إلا ما ورد من استحباب دعاء الزائر ربه لنفسه وللمقبورين بالمغفرة والرحمة .

الخامس : أن لا يجعل للزيارة وقتاً معيناً ومحدداً لقول الرسول : « لا تجعلوا قبرى عيداً » ومعناه لا تجعلوه مزاراً يتكرر مجيئكم إليه فى وقت معين كما يتكرر مجىء العيد ويكون له وقت معين فإذا توفرت هذه الشروط استحبت الزيارة للقبور .

وأما الزيارة البدعية فهى إذا وجد عكس الشروط الخمسة المذكورة أو أحدها فى الزيارة الشرعية فإنها تكون زيارة بدعية فإذا كانت بشد رحل أو وجدت من نساء أو وجد تعظيم وغلو بالمقبورين أو فعل أى عبادة لله عندها كصلاة أو قراءة قرآن أو دعاء أو جعل للزيارة وقتاً معيناً فإنها تكون بدعية .

وأما الزيارة الشركية ، فهى أن يتجه الزائر بدعائه إلى المقبورين أو يصرف لهم شيئاً من العبادة كالذبح أو النذر أو غير ذلك أو يسألهم أو يطلب منهم شيئاً كشفاء مريض أو كشف كرب ، أو أن يخاف منهم أو غير ذلك . فهذا شرك أكبر مناف لتوحيد الألوهية لصرف العبادة لغير الله ، ومناف أيضاً لتوحيد الربوبية لاعتقاده أن المقبورين ينفعون أو يضرون وأنهم شركاء لله فى أفعاله .

فما أعظم وما أبعد عن الإسلام وعن منهج رسول الله ﷺ وصحابته ما يفعل عند القبور اليوم فى أكثر البلاد الإسلامية من الغلو فيها وتعظيمها من البناء عليها وإنارتها واختلاط النساء بالرجال والتوسل بهم والتبرك والتمسح بهم وإيفاء النذور وبذل الصدقات عندهم وغير ذلك مما هو شائع فى تلك البلاد مما قد يصل أكثرها إلى الشرك ؛ ولا من ينكر على هؤلاء المجرمين القبوريين تلك الأفعال البعيدة عن الإسلام .

ولقد أفاد وأجاد الشاعر الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى فى كتابه معارج القبول فى ذكر هذه القصيدة التى تبيِّن ما عليه القبوريون فقال :

الله أكبر لو رأيت على القبور	وعَكوفهم صبحاً وبالإمساء
والله أكبر لو ترى أعيادهم	جمع الرجال معاً وجمع نساء
والله أكبر لو رأيت مساجداً	بنيت على الموتى بأى بناء
قد زخرفت بحجارة منقوشة	بالشّيد قد ضربت مع الإعلاء
ورؤوسها قد زينت بأهلّة	من أنفس المنقوش دون مراء

قد أسرجت ولَكَمّ على تسريجها   وقفوا الشموع لها بأى أداء
كم سادِنٍ قد وكَّلوه بشأنها   طيباً وتنظيفاً وشأن ضياء
ويل له لو قد أخل ببعض ذا   ماذا يقاسى من ضروب بلاء
ولَكَم عليها راية قد نشرت   ألوانها سلبت لقلب الرَّائى
وكرائم الأنعام تنخر سوحها   منذورة يؤتى بها لوفاء
لم يفردوا رب السماء بدعوة   بل للقبور تجاوبوا بنداء
يدعونهم فى كشف كل مُلِمَّة   فى الجهر قد هتفوا وفى الإخفاء
ويعظمونهمو بكل عبادة   ياصاح فى السراء والضراء
وتراه بالرحمن يحلف كاذباً   وصفاته العُليا وبالأسماء
لكنه لا يستطيع الحلف لـ   مقبور ذا إن لم يكن ببراء
زادوا على شرك الذين إليهمو   بعث الرسولَ بأصدق الأنباء
إذ يخلصون لدى الكروب وهؤلا   ء فشركهم فى شدة ورخاء
بل فى الشدائد شركهم أضعاف ما   قد أشركوا فى حالة السراء
فتراه ينذر فى الرخاء ببَدْنةٍ   وبِبَدْنَتَين لدى إشتداد بلاء
وجميع ما يأتيه فى سرائه   فله به الأضعاف فى الضراء
تالله ما ظفر اللعين بمثلها   من بعض أهل الشِّرعة الغراء
حتى إذا ما هيأوا لعدوهم   سبب الدخول وسلم الإغراء
طمع العدو بهم لنيل مراده   منهم فغرَّ القومَ باستجداء
لما أساءوا الظن بالوحيين لـ   ـكن أحسنوه بزخرف الأعداء
لم يهتدوا بالنص قط بل اقتفوا   آراء من قد كان عنها نائى
نبذوا الكتاب فلم يقيموا نصه   إذ كان ميلهمو إلى الأهواء
وعبادة الأوثان قد صارت لهم   دينا تعالى الله عن شركاء
وطرائف البدع المضلة صيروا   سُبُلاً مكان الملة السمحاء

يارب ثبتنا على دين الهدى ... وعلى سلوك طريقه البيضاء

واردد بتوفيق إليها من نأى ... ممن قد استهوى أولو الإغواء

ياربنا فاكشف غطاء قلوبنا ... بالنور أخرجنا من الظلماء

واسلك بنا نهج النجاة ونجنا ... من حيرة وضلالة عمياء

واجعل كتابك ياكريم إمامنا ... ورسولك المقدام للحنفاء

وانصر على الأعداء حزبك إنهم ... خَبَطَتهمو فتنٌ من الأعداء

راموا بنا السوأى بسوء مكابد ... فاقصمهموا يارب للأسواء

واردد إلهى كيدهم فى بَيدهم ... وأَبِدْهُموا بَيداً عن البيداء

أظهر على الأديانِ دينَك جهرةً ... وشعاره فارفع دون خفاء

واجعل لوجهك خالصاً أعمالنا ... بعبادة وولاية وبراء

* * *

المبحث الثالث فى توحيد الأسماء والصفات

الفصل الأول

توحيد الأسماء والصفات هو القسم الثالث من أقسام التوحيد ، وهو المقصود بالركن الأول من أركان الإيمان الذى سيأتى فيما بعد . وهو الإيمان بكل ما ورد لله فى كتابه وسنة رسوله من الأسماء والصفات ، وإثبات ذلك على الوجه اللائق بجلاله من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل بل تمر آيات الأسماء والصفات وكذا أحاديثها كما وردت مع إعتقاد مدلولها ومعانيها على ما يليق بجلال الله وعظمته .

* * *

الفصل الثانى

فى توضيح الكلمات المتداولة عند علماء السلف

التحريف

التحريف لغة : التغيير وفى الاصطلاح تغيير النص لفظاً أو معنى . والتغيير اللفظى قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير فالتحريف اللفظى الذى يتغير معه المعنى كتغيير لفظ الجلالة فينطق بالنصب فى قول الله تعالى : ﴿ **وكلم الله موسى تكليما** ﴾ فيكون المعنى مع التغيير هذا أن الكلام وجد من موسى لله ؛ أما الله فلم يتكلم وهذا نفى لكلام الله لموسى أو رفع الجلالة فى قول الله تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ فيكون المعنى أن الخشية موجودة من الله للعلماء تعالى الله عن ذلك . أو ضم الضمير فى قول الله تعالى : ﴿ **أنعمت عليهم** ﴾ فيكون الضمير للمتكلم ويكون هو المنعم . أما التحريف اللفظى الذى لا يتغير معه المعنى كنصب الدال من قول الله تعالى : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

وأما التحريف المعنوى فهو صرف معنى اللفظ عن معناه الظاهر الذى يدل عليه حقيقة إلى معنى آخر بلا دليل كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة أو النعمة . وتحريف مجىء الله ونزوله إلى أمره أو فضله أو رحمته ، وتحريف وجهه إلى ذاته . وهذا مذموم عند السلف وبدعة منكرة وضلالة وبُعد عن الحق وهو بمعنى التأويل المذموم وهذا موجود بكثرة فى كثير من كتب التفسير . ومن تلك الكتب تفسير الجلالين ومن حذا حذوهما من المفسرين .

التكـييف

التكييف : هو بيان كيفية صفات الله ، كقول القائل يد الله طويلة أو بيضاء، ووجهه مستدير أو طويل . ومجىء الله مشياً أو ركوباً ، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً ، وكذا السؤال عن كيفية صفات الله بكيف . هذا كله يسمى تكييفاً . وكان السلف رحمهم الله يبتعدون عن هذا كله فلا يبينون كيفية صفات الله لأن هذا شيء لا تَعلم كيفيته العقول فلا مجال للقول به ، والقول به بدعة وضلال فلا يعلم كيفية صفات الله إلا هو مع أن السلف يعتقدون ما تدل عليه الصفات فهم يثبتون آيات الصفات مع اعتقاد معانيها على ما يليق بجلال الله .

فتبين لك من ذلك أن محاولة تبيين كيفية صفات الله وأنها كذا أو كذا بدعة منكرة وضلالة كما أن السؤال عن كيفية صفات الله بدعة ولذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن استواء الله . فقيل له : كيف استوى ، أو كيف استواؤه . قال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

فكيفية صفات الله من علم الغيب الذى لا يطلع عليه إلا الله فالنفوس قاصرة عن إدراك صفات الله وكيفيتها حتى ولو أنها رأته فى الآخرة قال الله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ ومعنى الآية أن الأبصار لا تحيط به وبصفاته الذاتية مع رؤيتها له فى الآخرة .

التمثيل

التمثيل : هو جعل المثيل والنظير للشيء فتقول : هذا مثل هذا أو مثيله ونظيره أى أنه مساوٍ له فى كل شيء فالممثلون يقولون : إن الله له وجه مثل وجوهنا ، تعالى الله عن ذلك . أما السلف فهم يقولون : إن الله لا مثيل له لا فى

أسمائه ولا فى صفاته وما ورد من الأسماء والصفات التى تدل على الإشتراك فيها بين الخالق والمخلوق كالسميع والبصير والرأفة والرحمة فإنهم يقولون : نعم إن هذا الاشتراك فى اللفظ فقط . وأما المعنى فليست أسماء الله وصفاته مثل أسماء خلقه أو صفاتهم حقيقة قال الله تعالى : ﴿ **هل تعلم له سميا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ .

التشبيه

التشبيه : هو إثبات المشابهه بين شيء وآخر فتقول : هذا شبه كذا ، أو هذا ككذا بجامع صفة بينهما أو أكثر ففى غير الله جائز وأما فى حق الله فممنوع وبدعة وضلال فإثبات المشابهة بين الله وخلقه فى اسم من أسمائه أو صفة من صفاته لا يقول به السلف وإنما يقولون الله لا شبيه له ولا نظير . قال الله تعالى: ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **هل تعلم له سميا** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ وقد يطلق التشبيه ويراد به التمثيل وبالعكس .

ثم إن التشبيه الذى ضل به كثير من الخلق على نوعين :

أحدهما : تشبيه المخلوق بالخالق ، وهذا ما سلكه القبوريون وادعوه وزعموه فى أوليائهم المقبورين فأشركوهم مع الله فى أفعاله وادعوا بأن لهم أفعالاً كأفعال الله وهذا هو الشرك الأكبر فى الربوبية ويؤول إلى الشرك فى الألوهية كما تقدم بيانه .

الثانى : تشبيه الخالق بالمخلوق ومعناه تشبيه ما لله من الصفات بصفات المخلوقين كقول القائل : إن يدى الله كيدى المخلوق فهذا تشبيه واضح فلا يجوز وبدعة ، أما لو قال : إن الله له يدان كيدى المخلوق فهذا فيه إيهام فإن كان يقصد إثبات اليدين لله وتأكيد ثبوتهما كما أنهما ثابتتان للمخلوق فلعل هذا جائز ولامحذور

فيه وإن كان هذا لا ينبغى لأن فيه إيهاماً وتلبيساً على المستمع فالأحسن البعد والإمتناع من هذا التعبير وإن كان يقصد التشبيه فهو ممنوع قطعاً عند السلف .

ولعل من الأول الذى لا محذور فيه إن شاء الله قول الرسول ﷺ : « إذا قضى الله بالأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان » .

ومعناه أن الله إذا قضى أمراً يكون له صوت كما أن للسلسلة صوت إذا جُرَّت على الحجر ولكن ليس الصوت كالصوت ، والتشبيه بنوعيه يتنزه السلف عن القول بهما فهم لايشبهون الله بشيء من خلقه ولايشبهون أحداً من خلقه به ، [تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً] .

وقد ذكر أن أول من قال بالتشبيه هو هشام بن الحكم الرافضى . والله أعلم .

التعطيل

التعطيل : لغة التفريغ والتخلية وفى الاصطلاح إنكار ما يجب إثباته لله من الأسماء والصفات . والناس فى هذا على مذاهب :

المذهب الأول : أهل السنة والجماعة ، وهم يؤمنون ويثبتون كل ماورد لله فى كتابه أو سنة رسوله من الأسماء والصفات على الوجه اللائق بجلال الله .

المذهب الثانى : مذهب الأشاعرة ، وهم يثبتون الأسماء لله وبعض الصفات وينكرون أكثرها وهم ينتسبون فى مذهبهم هذا إلى أبى الحسن الأشعرى فى حياته الأولى لأنه قد مَرَّ عليه ثلاثُ حالات فى حياته :

الأولى : الاعتزال وقد تاب منه ورجع عنه ذكر ذلك ابن خَلِّكان والحافظ

الذهبى وابن كثير والسبكى فى طبقاته .

الثانية : إثبات الأسماء والصفات العقلية السبع وهى : الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والساق والقدم ، وهذا ما نهجه كثير من العلماء وذكروه فى كتبهم ومؤلفاتهم مثل تفسير الجلالين وغيره .

الثالثة : وهى الأخيرة التى استقر عليها أبو الحسن الأشعرى حتى توفى ، وهى رجوعه عن المذاهب كلها التى تخالف مذهب أهل السنة والجماعة فمذهبه الأخير الذى إستقر وثبت عليه ولم ينتقل منه هو إثبات جميع الأسماء والصفات لله التى وردت فى كتابه وسنة رسوله مع اعتقاد ما تدل عليه على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته .

وقد قرر مذهبه الأخير ومعتقده الذى استقر عليه فى آخر كتاب ألفه وهو كتاب الإبانة عن أصول الديانة . قال شيخ الإسلام رحمه الله : ولما رجع الأشعرى عن مذهب المعتزلة وسلك طريق أهل السنة والحديث وانتسب إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل كما ذكر ذلك فى كتابه الإبانة وغيره من كتبه .

قلت : إن من المؤسف جداً أن بقى على مذهبه الذى رجع عنه كثير من الخلق وحتى أنه يوجد مقررات دراسية على ذلك المذهب مع أنه مذهب باطل ومخالف لعقيدة السلف ولعقيدة الأشعرى التى يزعمون أنها عقيدته . وها هو الأشعرى يقرر بلسانه وبمؤلفاته على بطلان جميع المذاهب المخالفة لمذهب السلف وأنه لا يدين بشىء منها .

فحينما سئل عن قوله : الذى به يقول وديانته التى بها يدين أجاب بقوله : قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا ﷺ .

وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضرَّ الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون ... الخ .

فليتق الله أولئك المشرفون على المقررات المدرسية والمعاهد والكليات فينهجوا فيها النهج السليم والطريق المستقيم ، طريق السلف الصالح ، وأن يسلكوا فى تربية النشء التربية الإسلامية الصحيحة . وعلى المسئولين عن التعليم أن لا يتمادوا فى الغى والضلال فالرجوع إلى الحق أحق وخير من التمادى فى الباطل .

وليعلم هؤلاء المشرفون أن عليهم التَّبِعة فى تربية الطلاب وتنشئتهم على هذا المذهب المزعوم نسبته إلى الأشعرى .

المذهب الثالث : إنكار صفات الله ونفيها وتأويلها إلى غير معناها الحقيقى فراراً من إثباتها ويثبتون الأسماء لله دون الصفات ، وهذا مذهب المعتزلة وهو متفرع من مذهب الجهمية .

المذهب الرابع : إنكار الأسماء والصفات لله مع إثبات الله ، وهذا مذهب الجهمية ، نسبة إلى جهم بن صفوان الذى أخذ هذا المذهب عن الجعد بن درهم . وقيل ، إن الجعد أخذه من أبان بن سمعان ، وأبان من طالوت وطالوت من لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبى ﷺ .

التأويل

التأويل : يطلق فى الاصطلاح مشتركاً على ثلاثة معان :

الأول : يطلق على ماتؤول حقيقة الأمر إليه ، وهذا المعنى وارد فى القرآن كقول الله تعالى : ﴿ **ولما يأتهم تأويله يقول الذى نسوه من قبل** ﴾ . وقوله : ﴿ **هذا تأويل رؤياى** ﴾ حينما رأى يوسف أبويه وأخوته سجدوا له .

وكذا ورد فى السنة قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى يتأول القرآن » تشير إلى الآية ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره** ﴾ فتأويل الخبر هو عينه بعد وقوعه وتأويل الأمر هو نفس المأمور به بعد وقوعه . فهذا وما ماثله لا ينكره أحد ولا محذور فيه لأنه علم له علاقة بأفعال العباد ؛ فهو إما أمر أو نهى أو حكاية لحادثة مشاهدة أو تبيين وتوضيح لمعنى نص بفعل كإخبار عائشة بتأويل النبى ﷺ للقرآن بفعله وقوله : سبحانك اللهم وبحمدك اللهم أغفر لى .

الثانى : يطلق ويراد به التفسير وهذا معروف كقول ابن جرير فى تفسيره : القول فى تأويل قول الله تعالى : فإن كان المأول من الأخبار الغيبية التى لم تشاهد ولا يمكن الاطلاع عليها والإحاطة بمعرفة حقيقتها فهذا لا طريق إلى تأويله حقاً كصفات الله سبحانه كالإستواء على العرش واليدين والقدم والساق والأصابع والنزول إلى السماء الدنيا والضحك والغضب . وكوعد الله بما للمتقين من النعيم فى الجنة كالعنب والخمر واللحم أو وعيده كعذاب الله فى القبر أو ما يكون فى النار منه فإن النفوس قاصرة عن إدراك وصف حقيقة ذلك وهذا هو التأويل المذموم البدعى ، وهو ما نهجه أهل الابتداع فى صفات الله . ثم إن تأويلهم هذا يؤدى إلى التعطيل الذى قد مر ذكره .

وإذا لم يكن التأويل للأمور الغيبية فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً كتأويل من يأول قول الله تعالى : ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ فيقول : يعنى علياً وفاطمة ؛ فهذا لا شك فى بطلانه . وتأويله البقرة بعائشة فى قول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ وهذا من تأويلات الرافضة .

الثالث : ما اصطلح عليه الأصوليون لتعريف التأويل فقالوا : التأويل صرف معنى اللفظ عن ظاهره المتبادر من اللفظ إلى معنى آخر لدليل يصرفه عن الظاهر

المتبادر وهذا له ثلاث حالات :

الأولى : أن يصرف معنى اللفظ عن ظاهره المتبادر من لفظه لدليل صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله وهذا النوع من التأويل صحيح مقبول لانزاع فيه. ومثال هذا النوع من التأويل تأويل الجار الوارد فيما ثبت عن الرسول ﷺ بقوله : « الجار أحق بصقبه » فيأول الجار ويحمل على الشريك المقاسِم فى المشاع لقول الرسول ﷺ : « فإذا ضربت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة »، فهذا دليل على صحة تأويل الجار بالشريك المقاسم لهذا الدليل فهذا التأويل حسن ولا محذور فيه . ويسمى هذا التأويل تأويلاً قريباً .

الحالة الثانية : أن يصرف معنى اللفظ عن ظاهره المتبادر من لفظه لا لدليل وإنما لشيء يعتقده المجتهد فى نفسه أنه دليل وهو ليس بدليل ، فهذا يسمى تأويلاً بعيداً . ومثَّل له بعض العلماء بتأويل لفظ امرأة فى قول النبى ﷺ : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل » . فكلمة امرأة فى الحديث أولها بعض العلماء . بالمرأة المكاتبة فصرف لفظ امرأة عن الظاهر المتبادر ، وتأول ذلك بالمرأة المكاتبة وهذا تأويل بعيد وفاسد لأنه لا دليل عليه ولأن كلمة أىّ من صيغ العموم فتدخل المكاتبة وغيرها .

الحالة الثالثة : أن يصرف معنى اللفظ إلى غير ظاهره لا لدليل ولا لشبهة وهذا لا يسمى تأويلاً فى الاصطلاح وإنما يسمى تلاعباً بالنصوص . ومن هذا الباب تفسير بعض الغلاة من الرافضة قول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ فيأولون كلمة بقرة بعائشة رضى الله عنها . ومثله قولهم فى قوله تعالى : ﴿ **مرج البحرين يلتقيان** ﴾ أن المراد بالبحرين علىّ وفاطمة .

ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلى معانٍ لم ينزل الله بها من سلطان مثل قول الله تعالى : ﴿ **وجاء ربك** ﴾ أى أمره فهذا

لا يسمى تأويلاً لأنه لا دليل عليه البته وإنما يسميه علماء الأصول لعباً وتلاعباً فى النصوص وإن سماه العلماء من السلف تأويلاً فإنما سموه تنازلاً على تسمية المبتدعة له بذلك .

وخلاصة القول فى التأويل المذموم البدعى أنه تأويل للأمور الغيبية ووصف لحقيقتها كتأويل صفات الله وصرفها عن ظاهر لفظها أو تبيين وصفها وحقيقتها وهذا ضلال وبدعة ومنكر . وأما اعتقاد ما تدل عليه بلا كيف ، فهذا هو إعتقاد أهل السنة والجماعة .

ثم إن السلف رحمهم الله يقولون : إن مما استأثر الله بعلمه المتشابه الذى لا يعلمه غيره وذلك مثل وصف الكيفية والحقيقة لصفات الله ووصف الكيفية والحقيقة لوعد الله أو وعيده فتأويله وبيان كيفية ذلك هو الذى أخبر الله عنه بقوله تعالى : ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله** ﴾ .

أما إثبات الصفات والإيمان بأنها حق والإيمان بما تدل عليه فهو منهج السلف رحمهم الله فصفات الله كلها معلومة وأما إدراك كيفيتها فمجهول وغير مدرَك . ولذا لما سئل مالك عن الاستواء قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ؛ وهذا القول مضطرد فى كل الصفات .

* * *

الفصل الثالث

كيف يرد على أهل التعطيل

إذا عرفنا أن سبب نفى الصفات الثابتة لله وتعطيل الله منها أنه هو التشبيه والتمثيل ، ثم التأويل الذى هو التحريف ، ثم فى الأخير النفى والتعطيل . وإذا عرفنا ذلك عرفنا كيف نرد على هؤلاءِ المبتدعة الحاكمين على الله بلا علم بما يأتى :

فأقول مبتدئاً بالرد عليهم بأولى مقالتيهم :

المقالة الأولى . قالوا :إذا أثبتنا الصفات لله المذكورة فى كتابه أو سنة رسوله شبهنا الله ومثّلناه بخلقه والله منزه عن ذلك فنأولها ونحرفها ثم ننفيها تنزيهاً لله عن التشبيه والتمثيل .

ونرد على هؤلاء بما يأتى :

الأول : أن نقول إن تشبيه الله وتمثيله بخلقه ممنوع أولاً بدليل قول الله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ وأن تأويل صفات الله ممنوع أيضاً لأنه يؤدى إلى التعطيل بل نثبتها على ما يليق بجلال الله بدليل قول الله تعالى : ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ .

الثانى : أننا نقول إن لله ذاتاً لا تشبه الذوات وأنتم معنا فى ذلك ، فإذا أنتم أقررتم واعترفتم بأن الله له ذاتاً لا تشبه الذوات نقول لهم : فكذلك صفات الله لا تشبه الصفات فينتفى التشبيه الذى أدى بكم إلى النفى والتعطيل وسلمتم من نفى الصفات التى أولتموها بتأويلاتكم الفاسدة التى أدّت بكم إلى تعطيل الله من الصفات التى وصف بها نفسه وكذبتم الله فى ذلك .

الثالث : إن تأويلكم هذا ليس له دليل فهو باطل وإنما تأويلكم هذا لعب وتلاعب فى النصوص كتأويل الرافضة البقرة بعائشة فى قول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ .

الرابع : أن تشبيهكم وتمثيلكم ثم تأويلكم وتحريفكم لصفات الله يؤدى إلى وجود ذات لا تتصف بصفة حتى ولا بالوجود فأنتم لو قلتم الله موجود والإنسان موجود فأنتم واقعون بما فررتم منه لا محالة . فشبهتم وجود الله بوجود الإنسان بزعمكم ثم يلزمكم النفى هرباً من التشبيه والتمثيل وبذلك تحكمون على الله بالعدم . وإن قلتم وجودَ الله غير وجود الإنسان لزمكم أن تقولوا إن صفات الله كلها غير صفات الإنسان ، وهذا ما يقوله أهل السنة .

الخامس : أننا نرد عليهم بأن من اتصف بصفات الكمال أحسن وأكمل وأفضل فإذا أنكم نفيتموها عن الله وأثبتموها للمخلوق صيرتم المخلوق أفضل من الخالق ، تعالى الله عن قولكم وتنزه .

المقالة الثانية . **قولهم** : لو أثبتنا لله الصفات لأصبح له جسماً وصار متحيزاً .

فنرد عليهم بأن إثبات شىء لله أو نفيه من تلقاء النفوس حكم على الله وإلزام له بما تثبتونه أو تنفونه فنفيكم الصفات الثابتة لله نفى بلا دليل وحكم على الله وقول عليه بلا دليل . وإثبات الجسم لله أو نفيه عنه حكم على الله وقول بلا علم ولا دليل فأهل السنة يثبتون ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات ولا يزيدون على ذلك وينفون عنه ما نفاه عن نفسه ، وكذلك يثبتون ما أثبته له رسوله وينفون ما نفاه عنه رسوله . فإثبات الجسم والجوهر والعَرَض لله أو نفى ذلك عنه لم يرد لا فى كتاب الله ولا سنة رسوله . فالقول بإثبات ذلك أو نفيه بدعة وضلالة وقول على الله بلا علم وحكم عليه وإلزام له بما لم يُلزم به نفسه

فمعتقد أهل السنة والجماعة السكوت عن هذا وعدم الخوض به لا نفياً ولا إثباتاً .

قال القرطبى فى المفهم فى شرح حديث أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم قال : قد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا فى الجوهر والعَرَض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين . فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضلالاً - راجع لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية الجزء الأول فى الهامش منه ص ١٨٢ - ١٨٩ .

فإثبات الجسم أو الأعراض أو الأغراض أو التحيز أو الجهة أو نفى ذلك لله أو عنه ، كل ذلك يقصد به مفاسد سيئة ذكر ذلك ابن القيم فى كتابه الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة فليرجع إليه . وليرجع أيضاً إلى محاضرة بعنوان منهج ودراسات للشيخ محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله .

* * *

الفصل الرابع

فى ذكر بعض النصوص
التى أولها المتأولون والرد عليهم

النصوص الواردة فى أسماء الله وصفاته كثيرة ولو بسطت الكلام عليها لاحتاج ذلك إلى مجلدات واستغرق وقتاً طويلاً ، ولكن الاقتصار على البعض فيه الكفاية إن شاء الله ؛ لأن الإنسان إذا عرف طريق السلف ومنهجهم فى صفة واحدة استطاع أن يعرف بقية الصفات وأن يسلك منهجهم رحمهم الله فى بقيتها .

فمن ذلك قول النبى ﷺ : « إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » فقال المتأولة المعطلة معنى ترون ربكم أى تعلمون ربكم فراراً من إثبات الرؤية واستدلوا بقول الله تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك** ﴾ فجعلوا ترون من رأى القلبية التى بمعنى علم .

والرد عليهم أننا نقول إن كلمة « رأى » تأتى لعدة معان ، فتكون قلبية بمعنى عِلم كما فى قول الله تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك** ﴾ . وتكون من الرؤيا المنامية كما فى قول الله تعالى : ﴿ **إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين** ﴾ . وتكون بصرية كما فى الحديث المذكور وإذا جاء الكلام مشتملاً على كلمة « رأى » فلابد من أن يكون فيه قرينة تحدد المراد وإلا فإن المتكلم يكون ملغِزاً ، وحاشا الله أن يكون الرسول ملغزاً فى كلامه . فإن كلمة رأى على الإطلاق وبدون استعمال قرائن تدل على رأى

البصرية لأنه هو المتبادر إلى الذهن والذى يصرفها عن ذلك القرائن .

فمعنى الحديث إنكم ترون ربكم بأبصاركم يوم القيامة كرؤيتكم بها القمر ليلة البدر . وقد يقول المشبهة إن هذا فيه تشبيه الله بالقمر .

والجواب : لا . ليس فيه ذلك وإنما فيه تشبيه رؤية الإنسان لربه يوم القيامة برؤيته أيضاً للقمر ، فهو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى .

ثم إن هؤلاء المتأولة قالوا : إنه من المحال عقلاً إمكان تصور الإحاطة برؤية الله

فالجواب عن ذلك : أن يقال إن دعواكم باطلة إذ أن العقلاء كلهم يقولون إن كل موجود مرئى فإنه لو عرض على العقل موجود قائم بنفسه . وقيل : إنه لا يمكن رؤيته لحكم العقل السليم بأن هذا محال ، فالله موجود فيمكن رؤيته فى الآخرة . وليس ثَم مانع منها . أما فى الدنيا فلا يمكن رؤيته ، وإن كان موجوداً لأنه حكم على الأبصار بعدم رؤيتها له لضعفها وضعف من تقوم به ولذا قال الله لموسى : ﴿ **إنك لن ترانى** ﴾ أى فى الدنيا .

كمايقول المعطلة : لو أثبتنا الصفة لله كالرؤية مثلاً شبهناه بالمخلوقين والله منزه عن ذلك .

فنقول لهم : إنكم تلبّسون الباطل بالحق وتموّهون باطلكم وتزينونه بقولكم منزه ، وهذا والله لا يخرج قولكم عن الفساد ولن تستطيعوا أن تردوا الحق بالباطل فإن قولكم هذا هو التعطيل وعدم إثبات صفات الكمال لله فقولكم هذا يقتضى أن الله سميع بدون سمع ، وبصير بدون بصر ، وعليم بدون علم ، وحى بلا حياة ، تعالى الله عن قولكم علواً كبيراً . ثم إن قولكم هذا لايقول به عاقل . أفرأيتم لو أنه وصف إنسان بأنه كاتب وفصيح وعالم وبليغ وحكمتم عليه بعكس ذلك أفلا يكون حكمكم باطلاً .

ثم أن السلف يقولون لهؤلاء المتأولة المعطلة بطريق الجدل أى أكمل من يتصف بالعلم والقدرة والسمع والبصر والقدم والساق أم الذى لا يتصف بذلك فقطعاً يكون جوابهم : إن الذى يتصف بتلك الصفات أكمل فنقول لهم : مادمتم أقررتم وحكمتم بذلك فيلزمكم أن تصفوا الله بذلك لإثبات الكمال له وليس بلازم من إثبات الصفات لله التشبيه فإننا نقول نثبت صفات الله ونقول أيضاً إنها ليست كصفات المخلوقين فهى صفات تليق بجلال الله وعظمته فهو يسمع ويبصر ويقدر ويغضب ويفرح ويضحك ويجىء وينزل إلى سماء الدنيا وله يدان وله قدم وله أصابع وله وجه إلى غير ذلك من الصفات الثابتة له فنؤمن بها حقيقة من غير تشبيه ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

ولا نقول إن المراد بنزوله إلى سماء الدنيا نزول رحمته أو نزول أمره ولا أن السماء الثانية وما فوقها تبقى فوقه وأعلى منه إذا نزل إلى سماء الدنيا فالله فوق كل شىء . ونقول : إنه ينزل إلى سماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله ولانتعدى حدود الله لنا فى ذلك فالله لا يعجزه شىء ، وبقدرته كل شىء فهو مستو على عرشه بائن من خلقه لا يخفى عليه شىء من أمورهم وينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة نزولاً يليق بجلاله . وكذا نقول فى قول الله تعالى : ﴿ **وجاء ربك** ﴾ أى جاء مجيئاً يليق بجلاله ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ . لا نقول أى ذاته كما يقول بعض المفسرين المأولين لأن غرضهم فى ذلك الفرار من إثبات الوجه وإنما نقول : نثبت ونؤمن بوجه الله على ما يليق به والله أعلم بوصف حقيقته وكيفيته . إلى غير ذلك من الصفات .

* * *

المبحث الرابع :

الفصل الأول

من هو المسلم

المسلم هو الذى يقر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحج بيت الله الحرام .

فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛ من أعظم وأهم أركان الإسلام الخمسة والشهادتان هما آكد أركان الإسلام على الإطلاق ، ولذا فإن جميع الأعمال من صلاة وغيرها لا يصح إلا بهما .

وأما الصلاة فهى الركن الثانى وهى آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين فأمرها عظيم وتركها كفر على القول الصحيح ، سواء كان الترك جحوداً وهذا لا خلاف فى كفر صاحبه أو كان الترك كسلاً ، فالصحيح أنه يؤمر بها ويضيق عليه فإن صلى حكم بإسلامه وإن لم يصل حكم بكفره وقتل . والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ وقوله : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين** ﴾ .

ووجه الدلالة من الآية الأولى أن من لم يصل فإنه لا يترك ولا يخلى سبيله حتى يصلى وإلا قتل كفراً . والآية الثانية أنه لا أخوة بين من يصلى ومن

لا يصلى وأن من أقام الصلاة وآتى الزكاة فإنه من الإخوان فى الدين .

والدليل من السنة قول الرسول ﷺ : « بين الرجل والكفرْ أو الشرك ترك الصلاة » ووجه الاستدلال بالحديث أن كلمة الكفر جاءت للاستغراق والشمول حيث أنها محلاة بالالف واللام وذلك يفيد الاستغراق فهى شاملة لجميع أنواع الكفر صغيره وكبيره ولايقال إن تَرْكَها مع الاقرار بوجوبها كبيرة كما يقوله البعض لظاهر النصوص من الكتاب والسنة .

ولم ير الصحابة شيئا تركه كفرا الا الصلاة ويترتب على ذلك أشياء كثيرة ومهمة :

منها : أن الذى لا يصلى لا يجوز أن يتزوج بمسلمة وإذا تم العقد وهو على تلك الحال أو المرأة كانت كذلك والرجل مسلماً فإن العقد لا يصح .

ومنها : أن الذى لايصلى لايرث ولايورث لكفره .

ومنها : أن القاتل إذا كان لا يصلى فإنه لا يجوز العفو عنه بشىء وإن كان القتل خطأً لا يعفى بشىء عنه من الدية .

ومنها : أنه لايغسَّل إذا مات ولايصلى عليه ولايدعى له بالمغفرة والرحمة ولايدفن فى مقابر المسلمين بل يجعل فى حفرةْ فيوارى بها لئلا يتأذى المسلمون برائحته . وأكرر قولى بأن الصلاة لها شأن ليس كغيرها من سائر الأركان فهى لاتسقط فى أى حال كان عليها الانسان مادام عقله موجودا الا الحائض والنفساء ، فالمريض تلزمه الصلاة فى وقتها مادام يعقل الصلاة فيصلى المريض على قدر استطاعته . وكثيرا رأيتهم يدّعون أنهم مسلمون بحجة أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنهم يعتقدون أن الصلاة واجبة لكنهم لايصلون أبدا أولا يصلون الا يوم الجمعة أو لايصلون إلا بعد أن يحجوا أو أنهم لا يصلون إلا بعد أن يتزوجوا ؛ فهؤلاء والله ماهم بمسلمين وإنهم بعيدون عن الاسلام كما يبعد المشرق عن المغرب ، وأن حجهم قبل فعل الصلاة

وزواجهم لايصح فلابد من إعادة الحج وتجديد عقد الزواج بعد فعل الصلاة :

الركن الثالث من أركان الإسلام : الزكاة وقرنت بالصلاة فى كثير من الآيات لأهميتها ، وهى لغة النماء والزيادة ؛ ولذا سميت زكاة لأنها تزيد المال وتنميه وتطهره وشرعا واجب مالى مخصوص فى زمن مخصوص من شخص مخصوص لطائفة مخصوصة فهى واجبة على المسلم وفى ماله إذا بلغ نصابا وحال عليه الحول إذا كان المال مما يشترط له تمام الحول فتدفع وتعطى الزكاة أهلها المذكورين فى الآية : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** ﴾ الآية فإذا لم يزك من وجبت عليه بخلاً أخذت منه قهراً وقوتل حتى يؤديها وإن كان إنكاراً لوجوبها كفر .

الرابع من أركان الاسلام : الصيام وهو لغة الإمساك وشرعا الإمساك بنية من طلوع الفجر الثانى عن جميع المفطرات إلى غروب الشمس ، فصيام شهر رمضان هو الركن الرابع ، وهو يجب إما برؤية هلاله أو تمام ثلاثين يوما من شعبان فإن لم ير هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان لغيم أو قتر فإنه لايجب صومه على الصحيح وكذا الإفطار من رمضان إما بتمام ثلاثين يوماً أو برؤية هلال شهر شوال . ويجب الصوم على المسلم البالغ العاقل المقيم المستطيع إلا الحائض والنفساء فإنه لا يلزمهما الصيام لكن يلزمهما القضاء ، وكذا الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما فإنه لايلزمهما الصيام وإنما يلزم القضاء عليهما ، أما إذا خافتا على ولديهما فإنه لا يلزمهما الصيام وإنما يلزمهما القضاء والاطعام . وإذا ترك الصوم من وجب عليه فإن كان منكراً لوجوبه ومثله لا يجهله أجبر عليه فإن صام وإلا فهو كافر . وإن تركه تهاوناً مع الإقرار بوجوبه ألزم به وضيق عليه حتى يصوم .

الخامس من أركان الإسلام : الحج ، وهو لغة القصد وشرعاً قصد مكة فى زمن مخصوص من شخص مخصوص لعمل مخصوص ، ولايجب فى العمر إلا مرة

واحدة فيجب الحج على المسلم الحر البالغ العاقل المستطيع ببدنه وماله ووجود المحرم بالنسبة للمرأة . فمن لم يحج وهو من أهل الوجوب فإن كان منكراً لوجوب الحج ومثله لا يجهله ألزم به فإن حج وإلا فهو كافر . وإن كان غير منكر لوجوبه لكن تركه تهاوناً أجبر عليه حتى يحج قال الله تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** ﴾ .

والدليل على هذه الأركان قول النبى ﷺ : « بُنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام » . رواه مسلم عن ابن عمر . وحديث عمر بن الخطاب قال : « بينما نحن جلوس عند النبى ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرَى عليه أثرُ السفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يامحمد أخبرنى عن الإسلام . قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن إستطعت إليه سبيلا » . رواه مسلم وأهل السنن .

فإذا أتى الإنسان بهذه الأركان فإنه يكون مسلماً إلا إذا حصل منه ما يناقض الإسلام .

وفى هذه المناسبة يجدر بنا أن نعرف ما يناقض الإسلام .

* * *

الفصل الثانى

فى نواقض الإسلام

ترجع نواقض الإسلام إلى عشرة . قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته : اعلم أن نواقض الإسلام عشرة :

الأول : الشرك فى عبادة الله .

قلت : المراد بهذا الشرك الشرك الأكبر الذى يخرج عن الملة فمن جعل مع الله شريكاً فى أى عبادة من العبادات فهو مشرك شركاً أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة . والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ . ثم ذكر الناقض الثانى فقال رحمه الله :

الثانى : من جعل بينه وبين الله وسطاء يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً .

قلت : هذا الناقض الثانى لعله داخل فى الناقض الأول وهو الشرك لأن فيه صرف الدعاء والسؤال لغير الله والتوكل على غيره وذلك من العبادة التى لا يجوز صرفها لغير الله وصرفها لغيره شرك .

ثم قال :

الثالث : من لم يكفر المشركين أو يشك فى كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

قلت : ويدخل فى ذلك من لم يكفر الذين يدعون أهل القبور ويستشفون بهم ويخافونهم وينذرون لهم ، فمن لم يكفرهم فهو كافر .

ثم قال :

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبى ﷺ أكمل من هديه أو أن حكمه أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر .

قلت : ويدخل فى ذلك تحكيم غير الكتاب والسنة الذى بلى به الكثير ممن يدعى الإسلام . فإذا كان محكماً للقوانين الوضعية مفضلاً لها على حكم الله ورسوله معتقد أنها أحسن من تحكيم كتاب الله وسنة رسوله فهو كافر فلا شىء أحسن وأفضل وأكمل من كتاب الله وسنة رسوله فهما صالحان للتحكيم ومفضلان على غيرهما فى كل عصر ومصر . أما غيرهما من القوانين فهى لا تصلح بحال ، بدليل أن الواضعين لها تجدهم يغيرون كثيراً من المواد القانونية بحجة أنها غير صالحة . أما كتاب الله فقال الله عنه : ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ أرجو من الله أن يهدى ضُلَّال المسلمين إلى الحق وإلى الرجوع إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله فى كل دقيقة وجليلة .

قد يقول قائل : إن حكم كذا ليس فى كتاب الله وهذا غلط وفحش فى القول قال الله تعالى : ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول** ﴾ .

ثم قال الشيخ رحمه الله :

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به .

السادس : من استهزأ بشىء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله أو عقابه كفر . والدليل قول الله تعالى : ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ .

قلت : ويخاف على من استهزأ بأهل الدين لدينهم أو من يقول إن هذا الرجل أصيب بالجنون أو المرض النفسى من أجل التدين فعلى من كان كذلك خطر عظيم من الوقوع فى هذا لأن التدين لا يوقع فى شيء من هذا وإنما هذا مسبة للتدين وأهل الدين .

السابع : السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو تعلمه أوعلمه كفر . والدليل قول الله تعالى : ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ .

قلت : ولأن السحر لا يتم للساحر إلا بصرف عبادة لغير الله وذلك شرك .

ثم قال رحمه الله :

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين . والدليل على قول الله تعالى : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى فهو كافر .

قلت : ويدخل فى ذلك التحاكم إلى غير شريعته وتقدم .

العاشر : الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به . والدليل قول الله تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون** ﴾ .

ثم بعد ذلك قال رحمه الله : ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً ، فينبغى للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم . إنتهى كلامه رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جناته .

قلت : وزاد أهل العلم طاعة من يحلل ماجرم الله إجماعاً أو يحرم ما أحل الله إجماعاً ، بدليل قول الله تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾ . قال عدى بن حاتم لما سمع النبى ﷺ يقرأ هذه : إنا لسنا نعبدهم قال : أليس يحرمون ماأحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه . فقال عدى : بلى . قال : فتلك عبادتهم ولعل هذا داخل فى الناقض الرابع والتاسع .

وبما تقدم تعرف من هو المسلم . والله أعلم .

* * *

الفصل الثالث

فى تعريف الكبيرة

وبيان القول الحق فى حكم المسلم إذا أرتكبها

للكبيرة تعريفات كثيرة أحسنها قول بعض أهل العلم : إن الكبيرة هى ما ترتب على فعلها حد فى الدنيا أو وعيد فى الآخرة أو لعنة أو غضب أو سخط أو براءة من الله أو رسوله .

أما عدد الكبائر فقيل : إنها سبع . وقيل : إنها سبعون . وقال بعض الصحابة : هى إلى السبعمائة أقرب . وقد ألف أهل العلم فيها وخصوها بالتأليف ومن أجمع ما ألف فيها كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمى .

أما حكم المسلم إذا ارتكب الكبائر أو بعضها ومات ولم يتب منها ، فالقول الحق فيه أن يقال إنه فى الدنيا مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته ، وأما فى الآخرة فمصيره إلى الله إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه ثم يخرجه من النار إلى الجنة وإن شاء الله غفر له ولم يدخله النار وأدخله الجنة . ودليل ذلك قول الله عز وجل : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ فدلت الآية بمنطوقها أن ما دون الشرك فهو تحت المشيئة إن شاء الله عذب به وإن شاء غفره .

وقول النبى ﷺ لأبى ذر : « ما من عبد قال لا إله إلا الله إلا دخل الجنة » قال أبو ذر : قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق » .

قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق » . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر » رواه البخارى فى صحيحه .

فأهل السنة يسمون المسلم المرتكب للكبيرة إذا لم يستحلها مؤمناً ناقص الإيمان فاسقاً لارتكابه الكبيرة فلا يسمونه كافراً فى الدنيا ولا يخلد فى النار بخلاف ما يقوله أهل البدع .

فالخوارج يكفرون بذلك ويقولون : إنه مخلد فى النار . وأما المعتزلة فإنهم يقولون : إنه ليس بمؤمن وليس بكافر هذا فى الدنيا وهذا هو معنى قولهم : إنه بمنزلة بين المنزلتين يعنون أنه بمنزلة بين الإيمان والكفر ، وأما فى الآخرة فإنه يكون مخلداً فى النار لخروجه من الإيمان عندهم . أما المرجئة وهم ثلاثة أصناف :

الأول : الذين يقولون إن الإيمان مجرد التصديق فى القلب ثم من هذا الصنف من يدخل فيه أعمال القلوب كالخوف والرجاء وهم أكثر فرق المرجئة ، ومنهم من لا يدخلها كالجهمية .

الثانى : من يقول : إن الإيمان مجرد القول فى اللسان ، وهذا قول الكرامية .

الثالث : من يقول إن الإيمان هو تصديق القلب والقول باللسان ، وهذا هو المشهور عند الكثيرين من أهل الفقه والعبادة ، ولهذا دخل فى الإرجاء كثير من الفقهاء من أهل العلم والدين عند الأئمة . والغلاة من المرجئة يقولون : إنه لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة . وقول المرجئة هذا مخالف لأهل السنة فعندهم أن الإيمان لا ينقص بالمعاصى فإيمان من تلبس بالكبائر وفعلها كإيمان من سلمه الله منها ، كما أن عندهم أن الإيمان مجرد القول باللسان أو مجرد التصديق بالقلب ولو لم يعمل الإنسان فعندهم أن إيمان فرعون الذى

قال آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل كإيمان محمد ﷺ لأن على قولهم هذا يكفى فى الإيمان أن يقول الإنسان : آمنت ، أوأن يصدق بقلبه . والقول الحق يخالف ذلك كما سيأتى بيانه إن شاء الله فى الإيمان .

* * *

المبحث الخامس

الفصل الأول

فى تعريف الإيمان عند أهل السنة

الإيمان لغة ، التصديق ، وشرعاً عند أهل السنة قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهذا قول أهل السنة والجماعة قاطبة . والأدلة على ذلك التعريف قول الله تعالى : ﴿ **قالت الأعراب آمنا** ﴾ وقوله : ﴿ **ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** ﴾ .

وإيمان القلب مستلزم للأعمال الظاهرة والباطنة . قال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ . وقال عز من قائل : ﴿ **ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ .

ففى هذه الآيات نفى الإيمان عمن تولى وأعرض عن طاعة الله ورسوله والعمل بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله كما أثبتت الآيات الإيمان لمن أذعن وسمع وأطاع الله ورسوله ، وطاعة الله فى العمل بكتابه ، وطاعة الرسول فى العمل

بسنته كما أفادت الآيات أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب ، كما أفادته الآية السابقة ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** ﴾ .

وأما الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه فكثيرة من الكتاب والسنة فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً** ﴾ وقوله : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً** ﴾ وقوله : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا** ﴾ .

ومن ذلك قول الرسول ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » ووجه الاستدلال أن من أتى بأعلى الإيمان وأدناه وما بين ذلك كمل إيمانه ومن نقص منها شيئاً نقص إيمانه . ومن ذلك قول الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وقول الرسول ﷺ : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير » . قال البخارى : قال أبان : حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبى ﷺ « من إيمان » بدل « من خير » .

قلت : وزيادة الإيمان ونقصانه من عدالة الشريعة الإسلامية فلا يكون من العدالة إيمان من أكثر من الأعمال الصالحة وابتعد عن المنكرات كمن تقلل من الأعمال الصالحة وارتكب شيئاً من المنكرات فلا يليق بالحكيم أن يسوى بينهما فى الإيمان والثواب قال الله تعالى : ﴿ **وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلاً ما تتذكرون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين** ﴾ .

الفصل الثانى

فى معتقد أهل الضلال فى الإيمان

مِن هؤلاء المبتدعة الخوارج المعتزلة فهم يعتقدون أن الإسلام والإيمان شيء واحد ، ولذا يخرجون من ارتكب كبيرة من الإيمان والإسلام ، لكن الخوارج تقول إنه كافر فى الدنيا والمعتزلة تقول : إنه لا كافر ولا مؤمن ، وإنما هو فى منزلة بين الكفر والإيمان مع أن الطائفتين متفقتان على أنه مخلد فى النار ، وقد يستأنسون بحديث « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ... الخ » ويخرّج معناه أهل السنة بأنه لا يزنى وهو مؤمن كامل الإيمان أو أنه إذا وقع منه الزنا فإنه يرتفع عنه الإيمان فإذا أقلع منه رجع إليه الإيمان .

قلت : وبناء قول هاتين الطائفتين هذا القول علي زعمهم هو أن الإيمان لا يزيد فى الطاعة ولا ينقص فى المعصية . وقد ذكرت الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه فيكتفى بالرد عليهم بها وليرجع إليه فى تعريف الإيمان ، ومن أولئك المبتدعة المرجئة وهم ثلاثة أصناف :

الأول : الذين يقولون إن الإيمان مجرد التصديق فى القلب ثم من هؤلاء من يدخل أعمال القلوب ، كالخوف والرجاء وهم أكثر فرق المرجئة ، ومنهم من لا يدخلها كالجهمية .

الثانى : من يقول إن الإيمان مجرد القول فى اللسان ، وهذا قول الكرامية . وقد سبق أن بينت الأدلة على أن الإيمان لابد أن يكون قولاً فى اللسان وتصديقاً واعتقاداً بالقلب وعملاً بالجوارح . ويكتفى بتلك الأدلة فى الرد عليهم .

الثالث : من أصناف المرجئة من يقول : إن الإيمان هو قول باللسان وتصديق بالقلب . وكل هذه الأصناف الثلاثة يعتقدون أن الإيمان لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية . وقد تقدم ذكر الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة وتكون تلك الأدلة رداً عليهم . ونتيجة لقولهم هذا فى الإيمان أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

قال السفارينى رحمه الله فى شرحه لمنظومته :

إن للناس فى الإيمان أقوالاً خمسة منها ثلاثة بسيطة واثنان مركبان . فأما البسيطة فهو القول بأن الإيمان هو التصديق وحده أو القول وحده أو العمل وحده فالأول مذهب جهم ومن وافقه من الأشاعرة وغيرهم . والثانى قول الكرامية . والثالث عزاه الكرمانى فى شرح البخارى للمعتزلة ، ولعله لبعضهم وأما المركبان فقسمان :

الأول : ثنائى ، وهو قول الحنفية ومن وافقهم فإنهم قالوا إنه مركب من التصديق بالقلب والقول باللسان .

القسم الثانى : ثلاثى ، وهو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان ، وهذا مذهب سلف الأمة .

قلت : ليس هذا هو التعريف الكامل لأهل السنة للإيمان فإنهم قالوا مع ذكر ما سبق فى بيان مذهب السلف فى الإيمان قالوا : يزيد فى الطاعة وينقص فى المعصية ، هذا هو تعريف الإيمان الكامل عند أهل السنة كما تقدم بيانه .

* * *

الفصل الثالث

الإسلام والإيمان هل هما شيء واحد أم شيئان

قد ذكر الله سبحانه فى كتابه إسلاماً بدون إيمان فى قوله تعالى : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾ وثبت فى الصحيحين من حديث ابن أبى وقاص رضى الله عنه قال : أعطى النبى ﷺ رهطاً . وفى رواية قسم قسماً وترك فيهم من لم يعطه وهو أعجبهم إلىَّ فقلت : يارسول الله مالك عن فلان فوالله إنى لأراه مؤمناً فقال رسول الله ﷺ : أو مسلماً أقولها ثلاثاً ويرددها على رسول الله ﷺ ثلاثاً . ثم قال : إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلىَّ منه مخافة أن يكبه الله فى النار قلت يعنى المعطى فهذا الإسلام المذكور فى الآية والحديث والذى نفى عنه أهله دخول الإيمان فى قلوبهم هل هو الإسلام الحقيقى الذى يثابون عليه أم من جنس إسلام المنافقين فيه قولان مشهوران للسلف والخلف .

أحدهما : أنه الإسلام الحقيقى الذى يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وعلى هذا القول فإن الإيمان المذكور فى الآية والحديث يحمل على الإيمان المطلق والكامل ، وهذا يروى عن الحسن البصرى وابن سيرين وهو قول حماد بن زيد والإمام أحمد وكثير من أهل الحديث .

القول الثانى : أن المراد بالإسلام الاستسلام فيكون من جنس إسلام المنافقين وذلك خوفاً من السبى أو القتل فأصحاب هذا القول وغيرهم يكفرون من كان كذلك ويقولون : إن الإيمان لم يدخل فى قلبه ومن لم يدخل الإيمان فى

قلبه فهو كافر وهذا إختيار الإمام البخارى ومحمد بن المروزى .

قال شيخ الإسلام والتحقيق إنه يقال إن الإيمان المنفى فى الآية والحديث المراد به الإيمان الكامل فيقال فيمن نفى عنه الإيمان وهو مسلم : بأنه مؤمن ناقص الإيمان ولا يسلب منه مطلق اسم الإيمان وهذا متفق عليه عند أهل السنة .

وقال شيخ الإسلام والإمام أحمد بن حنبل رحمهماالله : لم يرد عنه قط أنه سلب الإيمان عن من يقال فيه إنه مسلم يعنى أن من زنى أو سرق أو شرب الخمر لم يكفره ولم يسلب منه الإيمان وعلى هذا تحمل النصوص التى تفيد نفى الإيمان عن المسلم عند ارتكابه لبعض الكبائر التى مفادها نفى الإيمان مثل قول الرسول : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » ، ومثل « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إن من جعل الفساق مسلمين غير مؤمنين لزمه أن لا يجعلهم داخلين فى عموم قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾ فإنهم إنما دعوا باسم الإيمان لا باسم الإسلام فإذا لم يكونوا مؤمنين على هذا الزعم فإنهم لا يدخلون فى ذلك .

ولكن الحق أن قول السلف إنهم يدخلون فى الخطاب لاتصافهم بمسمى الإيمان وإن لم يكونوا كاملى الإيمان فإنهم خوطبوا باسم الإيمان ليفعلوا ما يزيد إيمانهم بفعله ويبين ذلك ويوضحه أكثر هذه الآية قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله** ﴾ فيطلق اسم الإيمان على الفرد وإن لم يكن كاملاً فيه روى البخارى فى صحيحه أن رجلاً على عهد رسول الله ﷺ كان اسمه عبدالله ويلقب حماراً وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ

قد جلده فى الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبى ﷺ : « لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله » . وله أيضاً عن أبى هريرة قال : أتى النبى ﷺ بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه فلما انصرف قال رجل : أخزاه الله فقال رسول الله ﷺ : « لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم » .

ففى الحديث الأول دليل على أن من شرب الخمر قد يكون يحب الله ورسوله ومحبة الله ورسوله من الإيمان ؛ أما فى الحديث الثانى فسمى السكران أخاً والله سبحانه قال : ﴿ **إنما المؤمنون أخوة** ﴾ .

كما يدل القرآن على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن مسمى الإيمان قال الله تعالى : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ وقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى** ﴾ إلى قوله ﴿ **فمن عفى له من أخيه شىء** ﴾ ففى الآية الأولى سمى الطائفتين مؤمنين وإن وجد بينهم قتال وذلك كبيرة والآية الثانية أثبتت الأخوة الإيمانية بين القاتل وولى المقتول . فدلت الآيتان الكريمتان على أن مرتكب الكبيرة إذا كان مسلماً أنه يسمى مؤمناً وإن لم يكن كامل الإيمان .

قلت : واكتمال الإيمان فى الشخص نادر لأن كل معصية تنقص الإيمان . والرسول ﷺ ثبت عنه أنه قال : « لو لم تذنبوا لأهلككم الله وأتى بقوم يذنبون ثم يستغفرون » - أو ما فى معناه - وقال : كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون .

* * *

المبحث السادس فى أركان الإيمان

الفصل الأول

فى الإيمان بالله

أركان الإيمان على وجه الإجمال ستة : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر .

وأما شعبه فكثيرة فروى مسلم فى صحيحه وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان فكلما ازداد العبد من هذه الشعب ازداد إيمانه وقد أفرد بعض العلماء مؤلفاً فى شعب الإيمان وأبدأ الآن بأركان الإيمان مفصّلاً بعض التفصيل فالأول منها الإيمان بالله .

والإيمان بالله يشمل الإيمان بوجوده وبأسمائه وبصفاته .

فأما وجوده فالأدلة قائمة فطِرة وعقلاً فأما الفطرة فإنك ترى الإنسان الملحد إذا وقع فى شدة أو خوف من خطر عظيم أَلَمَّ به تطايرت منه الأوهام والخيالات وابتعدت عنه الأباطيل والتزييفات فلا يبقى فى أعماق نفسه إلا الإيمان بالله فتسمعه ينادى بأعلى صوته : يا الله ؛ ورافعاً بصره إلى السماء حقاً إنها الحقيقة والفطرة الراسخة فى أعماق القلوب الإنسانية والفطرة هى الخلقة التى خلق الله عليها الإنسان الكامل فى الإنسانية ، فالإنسان الكامل فى العقل

يدله عقله على الإيمان بالله . فهذا العقل الذى جعله الله فى الإنسان يرشده إلى ربه ولذا فإن بعض الأئمة استدل على وجود الله مستدلاً بالعقل مريداً إقناع من ينكر ذلك فضرب مثالاً ؛ ياله من مثال حيث أنه دليل عقلى خالص فقال رحمه الله :

لو قيل لكم بأن سفينة تقود نفسها فى البحر ورست على ساحله ثم حملت نفسها بالبضائع المختلفة ثم تحركت بنفسها وقادت نفسها متجهة طريقاً سليماً فأرست بنفسها إلى الساحل الآخر فأنزلت ما على ظهرها من البضائع . فهل أنتم منكرون ذلك أم مصدقون به . فقال الجاحدون لله وتدبيره فى كونه : بل ننكر ذلك ولا نصدق . فرد عليهم بقوله : هذا الكون العظيم من سماء وأرض وما فيه من خلق وما فى السماء من كواكب سيارة نحو طريق معين واتجاه معين ، وتلكم الشمس العالية فى السماء المضيئة للناس والتى هى على ارتفاع معين فلو نزلت عنه شيئاً لأحرقت الأجسام ولما استفاد الناس منها ، وذلكم الهواء الذى جعله الله بقدر معين فلو زاد لهلك الناس أو نقص فكذلك ؛ أترون أن هذا الكون وما فيه أوجد نفسه وهل هو المتصرف فى نفسه أم ماذا ؟ والجواب عن هذا كله قطعاً بأن الموجِد لهذا الكون والمتصرف فيه موجِداً غير الموجَد وخالقاً غير المخلوق ، ومتصرِّفاً غير المتصرَّف فيه . إنه هو الله سبحانه .

ومن الأدلة على وجود الله تلكم الهداية العامة للمخلوقات فأنت ترى كل مخلوق عاقل أو غيره يسعى جاداً إلى مافيه نفعه وصلاحه وحتى صلاح نسله من جلب ما يطعمه به لبقائه وسلامته فأنت ترى بعض الحيوانات بعيدة عن أولادها فإذا جاء وقت إرضاعها لهم رجعت إليهم مسرعة وما ذلك إلا للهداية التى وهبها الله لكل مخلوق . وهذا يدل على وجود الله وهدايته العامة لجميع مخلوقاته وأنت تقرأ ما قال فرعون لموسى وأخيه ﴿ **من ربكما ياموسى** ﴾ فأجاب موسى مشيراً إلى هذه الهداية بقوله : ﴿ **قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** ﴾ فهذه هى

الفطرة التى فطر الله الناس عليها فخلقهم وأوجد فيهم عقولاً وهداية تدل عليه . ومن أنكر وجود الله لعدم رؤيته فإننا ننكر عقله لأننا لانراه .

وهناك حقائق كثيرة يؤمن بها كل عاقل وهو لا يراها ، من ذلك التيار الكهربائى فإنك لا ترى إلا أسلاكه ، وهى عارية ينفذ بصرك إليها لعدم الحائل ويوجد فيها الكهرباء ومع ذلك لا تراها . ومن ذلك المغناطيس مع الحديد فأنت تجعل شيئاً مغنطساً فإذا إقترب من الحديد جذبه إليه وهذه الغنطسة التى فى هذا الجسم من حديد أو غيره لا تراها فهذه حقائق يؤمن بها كل العقلاء مع أنهم لا يرونها .

ومن الأدلة العقلية هذه الحوادث الكونية فكل عاقل يؤمن بأن كل حادث له محدِث وكل موجود له موجِد وإلى هذا أشار الله سبحانه بقوله تعالى : ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾ . ومن الأدلة العقلية انتظام هذا الكون وتسييره تسييراً متقناً دقيقاً تتغير الفصول فيه من حر إلى برد ومن ليل ونهار وشمس وقمر ونجوم وبحار تمتد وتجزر كل ذلك يدل على أن هناك موجِداً لهذا الكون ومسيراً له على هذا النظام .

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وبعد ذكر هذه الأدلة لم يبق إلا الإيمان والإقرار والاعتراف بوجود الله .

ومن الإيمان بالله الإيمان بكل ما ثبت وورد فى كتابه وسنة رسوله من أسمائه وصفاته على الوجه اللائق بجلاله وعظمته – وقد مر بسط الكلام على هذا فى توحيد الأسماء والصفات .

* * *

الفصل الثانى

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة هو الركن الثانى من أركان الإيمان وهو أن يؤمن الإنسان بالملائكة ، وكل ما يعرفه الإنسان عن خلقهم أنهم مخلوقون من نور وذلك بنص الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه قال رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » – يعنى من طين . وطبيعة النور الذى تكونت منه أجسام الملائكة يجعلها خالية من ظلمة داخلية أو ظاهرة على هيأتها نقية من كل الشوائب والأدران بعيدة عن الوسوسة النفسية والشهوات الحيوانية لا تقترف ذنباً ولا ترتكب إثماً بل إنها معصومة من الخطأ والخطيئة لا يعصون الله إطلاقاً قال الله تعالى مخبراً عنهم : ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ وهم لايعلمون الغيب ويقرون بذلك على أنفسهم إلا ما علمهم الله به قال الله سبحانه : ﴿ **قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** ﴾ وإن من شأنهم تقديس الله وتعظيمه وتكبيره وتسبيحه ويكرهون الفساد بأنواعه وألوانه قال الله تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون** ﴾ وهذا القول من الملائكة لله فى الآية ليس اعتراضاً على الله وحكمته وإنما هو رغبة منهم فى العلم والمعرفة لأنهم ظنوا – والله أعلم – أن خلق الله لآدم وجعله خليفة فى الأرض دونهم دليل على عدم رضا الله عنهم فأرادوا بذلك

العلم والمعرفة كما يجب علينا أن نعرف بأن الملائكة من أول الكائنات التى أقرت بالتوحيد قال الله سبحانه : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ .

* * *

الفصل الثالث

فى جنس الملائكة وعددهم

وهل هم ذكور أم إناث

وأما جنس الملائكة وهل هم ذكور أم إناث أو يتناسلون فهذا مما لا يحيط به علم البشر ، إلا أن الذين لا يؤمنون بالآخرة جعلوا الملائكة إناثاً ونسبوهم إلى الله فأنكر الله عليهم ذلك بقوله تعالى : ﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سنكتب شهادتهم ويسألون** ﴾ فكونهم إناثاً أو ذكوراً أو يتناسلون بالطريقة المألوفة فهذا لا يعلمه إلا الله . وأما عددهم فهو أمر لا يدركه التصور وغير قابل للحدس والتخمين ولا يمكن للإنسان أن يتكهنه . والذى يعرف حول هذا ما ثبت عن رسول الله ﷺ فى صحيح البخارى أن النبى ﷺ لما انتهى إلى السماء السابعة قال : « فرفع لى البيت المعمور فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم » الحديث بتمامه فى باب ذكر الملائكة . وروى البخارى أيضاً عن النبى ﷺ قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر والعصر ثم يعرج إليه الذين كانوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول : كيف تركتم عبادى فقالوا : تركناهم يصلون وأتيناهم يصلون » . وروى الترمذى فى سننه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً .

فهذه الأحاديث وأحاديث كثيرة فى معناها تدل على كثرة الملائكة وأنه لا يمكن حصرهم ولا حتى القرب من حصرهم .

فائدة : تكرر فى القرآن لفظ الملائكة ثمان وستين مرة وهو نفس العدد الذى تكرر فيه لفظ الشيطان وأن عدد ما ورد فى الآيات الشريفة من مختلف صور لفظ الملائكة كملك وملكين وملائكة هو ثمان وثمانون مرة وهو نفس العدد الذى تكرر فيه لفظ الشيطان فى مختلف ألفاظه كشيطان وشياطين وهذا يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم وحى من الله ومعجزة من أعظم المعجزات .

* * *

الفصل الرابع

فى اختلاف أعمال الملائكة

الملائكة موكلون بالسموات والأرض فكل حركة فى العالم العلوى والسفلى فهى ناشئة عن أعمال الملائكة بأمر من الله سبحانه كما قال الله تعالى ﴿ **فالمدبرات أمرا** ﴾ وقال : ﴿ **فالمقسمات أمرا** ﴾ وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل.

وقد دل الكتاب والسنة على أن الملائكة أصناف موكلة بأصناف المخلوقات ، فوكل الله بالجبال ملائكة ، ووكل بالسحاب ملائكة وبالمطر ملائكة ، ووكل بالأرحام ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ، ووكل بالعبد ملائكة لحفظه وحفظ عمله وكتابته وإحصائه ، ووكل بالموت ملائكة ، ووكل بالعبد ملائكة يسألونه فى قبره ، ووكل بالنار وإيقادها وعمارتها وتعذيب أهلها ملائكة ، ووكل بالجنة وعمارتها وغرس أشجارها ونخيلها وعمل آلاتها وحليها وملابسها ملائكة ، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها ، ووكل بالشمس والقمر ملائكة . فالملائكة من أعظم خلق الله كثرة ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾ .

فمنهم : ﴿ **والمرسلات عرفا والناشرات نشرا والفارقات فرقا** ﴾ .

ومنهم : ﴿ **والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا** ﴾ .

ومنهم : ﴿ **والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا** ﴾ .

ومنهم : ملائكة الرحمة وملائكة العذاب .

ومنهم : ملائكة قد وكلوا بالعرش وملائكة قد وكلوا بعمارة السموات بالتسبيح والصلاة إلى غير ذلك من أصناف الملائكة الذين لا يحصى عددهم إلا الله .

ويعتقد أهل السنة والجماعة أنهم من عباد الله ومنفذون لأمره فليس لهم من أمر الكون شيء وليس لهم فعل إلا بعد أمر الله لهم ، كما قد دل القرآن على ذلك قال الله تعالى : ﴿ **لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ وهم يخافون من عقاب الله وسطوته قال الله تعالى : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن أرتضى وهم من خشيته مشفقون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ وكل واحد منهم له مكانته ومقامه عند الله فلا يتخطاه ولا يتركه إلى غيره إلا بأمره قال سبحانه : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ .

ومن الملائكة الأملاك الثلاثة وهم الموكلون بالحياة جبرائيل ، وهو الملك الموكل بالوحى الذى به حياة القلوب والأرواح . وميكائيل ، الملك الموكل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان . وإسرافيل ، الذى به حياة الخلق بعد مماتهم فهو الموكل بالنفخ فى الصور والله شرفهم بالقرب منه واقتران اسمهم باسمه وما ذلك إلا لفضلهم ، فالله سبحانه ذكرهم تارة بحفهم للعرش وحملهم له وتارة يصفهم بإكرامهم وكرمهم ، ووصفهم بأنهم مقربون ، ووصفهم بالعلو إلى غير ذلك من الأوصاف الجليلة التى وصفهم الله بها .

* * *

الفصل الخامس

فى إعانة الملائكة للعباد

من لطف الله بعباده أن هَيّأ لهم ملائكة يحفظونهم ويذودون عنهم الشر ، كما سخر هؤلاء الملائكة التى تحصل إعانتهم للعبد على أى أمر فيه صعوبة أو يقاسى منه أى شدة فلا يتمكن العبد أن يقوم بهذا الأمر أو يقابل هذه الصعوبة سواء كان الأمر فعلياً أو فكرياً فيجد العبد تجاه ذلك خِفة وعزيمة وقوة ونشاطاً وما ذلك إلا لما يجده العبد من العون من الملائكة الذين أمرهم الله ووكلهم على ذلك.

فمن الملائكة التى تقوم بإعانة عباد الله الصالحين على عمل من الأعمال طالما فيه نفع وخير ويحبه الله ويرضاه ، وكثيراً ما يحس الإنسان بالعون إذا هَمَّ بعمل حسن مرضٍ لله يبتغى به ثوابه ، فيشعر الإنسان بخفة فى أداء هذا العمل وهذا العون من الله فيأمر الملائكة بإعانة عباده على أعمالهم داخلياً عن طريق ما تثيره فى نفوسهم من أحاسيسَ طيبة وعمل صالح مستمر وتغلب على وسوسة الشياطين ، وقد يكون هذا العون خارجياً فعلياً وقد قرر الله ذلك فى القرآن فقال تعالى : ﴿ **وإذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** ﴾ وقد يكون هذا العون من الملائكة بالتثبيت والنشاط وقوة العزيمة وإدخال الرعب والخوف على الأعداء . قال الله تعالى : ﴿ **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾ .

إذا تقر لك هذا وعرفته حق المعرفة أيقنت بأن الله ذو حكمة بالغة فلما، خلق الله الشياطين الذين هم مصدر الشر من قتل وانتحار وغصب وسحر وغير ذلك خلق الله مقابل ذلك الملائكة الذين يدلون إلى الخير ويعينون عليه ويقومون بحفظ الإنسان ورعايته منذ أن كان نطفة إلى أن ينتهى أجله فى هذه الحياة وهذا من لطف الله بعباده ورأفته ورحمته بهم .

* * *

الفصل السادس

فى اختلاف قدرات الملائكة وأوصافهم

الملائكة هم رسل الله وعباده ينفذون ما يأمرهم به فهم طوع أمره وليس لهم قدرة على فعل شيء إلا ما أقدرهم الله على فعله وهم مختلفون فى القدرات والإمكانات والطاقات فهم ليسوا على درجة واحدة أو مستوى واحد ، فمنهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة قال الله تعالى : ﴿ **الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء** ﴾ .

ومع ماهم من القدرات المختلفة التى تفضل الله بها عليهم والقوة فإنه ليس لهم تدبير فى الملك أو تصرف فى الكون فلا يستطيعون نفع أحد أو ضره إلا بأمر الله ولم يؤمر العبد بالاتجاه إليهم أو عبادتهم كلا . فإن هذا شرك أكبر فإذا أراد الله أمراً أمرهم فينفذون أوامرَ معبودهم فلا يستطيعون عون أحد أو نفعه أو ضره إلا بعد أن يأمرهم الله بذلك قال الله تعالى : ﴿ **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ .

كما أن الله سبحانه قد أقدر الملائكة على التشكل فتظهر بغير صورتها الحقيقية لبعض عباد الله ؛ وأيًّا كانت التشكلات التى تظهر بها فعلى صورة جميلة وطيبة يريدها الله فى الغالب وغالباً ما ظهرت الملائكة فى صورة رجال على مستوى ملحوظ من جمال الصورة وإشراقة الوجه كمجيء جبريل عليه السلام إلى

النبى ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان إلا أنهم يغايرون الإنسان فهم لا يأكلون ولا يشربون مع بنى آدم فقد تمثّلوا لإبراهيم عليه السلامَ على هذه الهيئة البشرية فسارع لإعداد الطعام وإحضاره لهم فلما قدمه إليهم فلم يأكلوا منه شيئاً ورأى أن أيديهم لا تصل إلى أفواههم ولا إلى الطعام عندئذ تيقن إبراهيم عليه السلام أنهم ليسوا من البشر وهذا ما نصت عليه هاتان الآيتان الكريمتان حيث قال الله تعالى : ﴿ **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط** ﴾ . وقد تمثل جبريل للنبى ﷺ فجاءه على صورة دحية الكلبى. وقد يراهم بعض الناس دون البعض الآخر عند الإجتماع بهم فروى أحمد بن حنبل فى مسنده عن ابن عباس قال : كنت مع أبى عند رسول الله ﷺ وعنده رجل يناجيه فكان كالمعرِض عن أبى فخرجنا من عنده فقال لى أبى : أي بُنى ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عنى فقلت : ياأبت إنه كان عنده رجل يناجيه قال : فرجعنا إلى النبى ﷺ فقال أبى : يارسول الله قلت لعبد الله كذا وكذا فأخبرنى أنه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد فقال رسول الله ﷺ : وهل رأيته ياعبدالله؟ قلت : نعم قال فإن ذلك جبريل وهو الذى شغلنى عنك .

وتتمثل الملائكة بقدرة الله على ما يريده الله من صورة بشرية عادية لحكمة يعلمها ويراها ويريدها كما تصور الملك بثلاثة من بنى إسرائيل مرة بصورة عادية ، ومرة على صورة الثلاثة الذين من بنى إسرائيل . فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ثلاثة من بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال : أى شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس . فمسحه فذهب عنه قذره

وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً ، ثم قال : أى المال أحب إليك قال : الإبل فأعطاه ناقة عشراء وقال : بارك الله لك فيها . ثم أتى الأقرع فقال : أى شيء أحب إليك قال شعر حسن ويذهب عنى الذى قذرنى الناس فمسحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً ثم قال : أى المال أحب إليك قال : البقر ، فأعطى بقرة حاملاً وقال : بارك الله لك فيها . ثم أتى الأعمى فقال : أى شيء أحب إليك : قال أن يرد الله علي بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله عليه بصره ثم قال : أى المال أحب إليك قال : الغنم ، فأعطى شاة والداً فأنتج هذان وولَّد هذا ... الخ » وفيه ما معناه أن الملكَ جاء مرة أخرى إلى هؤلاء الثلاثة على صورهم التى كانوا عليها سابقاً .

وسواء رأى الإنسان الملائكة أو لم يرهم فإنه يجب عليه أن يؤمن بوجودهم وأنهم مأمورون ومنهيون لرب العالمين وممتثلون لأوامره وأنهم عاجزون عن كل شيء إلا ما أقدرهم الله عليه وأنهم لا يعلمون الغيب حتى أولئك الملائكة الذين فى السماء وأن ليس لهم قوة إلا بإعانة الله لهم فالله هو الذى يجعل فيهم القوة العظيمة ؛ كما يجب على العبد أن يؤمن بكل ما ثبت لهم من الأمور العظيمة فى القرآن الكريم أو السنة المطهرة .

* * *

الفصل السابع

الإيمان بالكتب المنزلة

الإيمان بكتب الله هو الركن الثالث من أركان الإيمان ، فيجب على العبد الإيمان بالكتب المنزلة على أنبياء الله ورسله قبل شريعة محمد ﷺ على وجه الإجمال فيقول العبد : آمنت بالله وبكتبه سواء كانت مذكورة فى القرآن كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى أو لم تذكر لكن هذا الإيمان ليس من جنس الإيمان بالقرآن الذى أنزل على رسول الله محمد ﷺ فإن تلك الكتب السابقة للقرآن نؤمن بأنها من عند الله وأنها صدق وأنها شرع لمن كان قبلنا لكن هذا لا يسوِّغ لنا العمل بها إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد ﷺ أو ورد فيها شيء ولم يرد بشريعة محمد ﷺ فإننا نعمل بـه على خلاف عند علماء الأصول ليس هذا موضعاً لذكره .

أما كتابنا وهو القرآن الكريم فيؤمن العبد بأنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على محمد خاتم النبيين وأن الله تكلم به ، وأنه غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وإنه متعبد بتلاوته ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأن من ابتغى الهدى من غيره أضله الله وأنه هو الواجب على البشرية تحكيمه ، وأن من حكَّم غيره من القوانين الوضعية والأنظمة الفكرية كافر وظالم وفاسق بنص الآيات القرآنية ، وأنه يجب على الإنسان العمل به مع الاعتقاد بأنه حق وصدق ونور وشفاء ، وأنه لم يترك شيئاً يحتاجه العباد فى أى عصر أو مصر إلا ذكر بيانه وحكمه قال الله تعالى :

﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾ ، وأنه متلو بالألسن محفوظ فى الصدور ، وأن الله تكفل بحفظه فلا يتأتى إليه الخطأ قال الله تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

* * *

الفصل الثامن

الإيمان برسل الله وأنبيائه

الإيمان برسل الله وأنبيائه هو الركن الرابع من أركان الإيمان فلا يصح إيمان العبد إلا أن يؤمن بهم ، وأن يصدقهم ، وأن ما أتوا به إلى أممهم حق وصدق ، وأن يؤمن بما ثبت لهم من المعجزات كانفلاق البحر لموسى وجعله يبساً له ولقومه والعصى التى حين يلقيها تكون حية تسعى ، وتكليم الله لموسى ، وكلام عيسى وهو فى المهد وإبرائه للمرضى وشفائه لهم بإذن الله . والإيمان بناقة صالح وغير ذلك من المعجزات التى جعلها الله لهم من أجل أن يصدقهم قومهم، وأن يؤمن العبد بأن كل رسل الله يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده .

وقد سمى الله لنا فى كتابنا القرآن بعضاً من أنبيائه ورسله مفصلاً لدعوتهم ذاكراً من استجاب من أقوامهم كما ذكر أنواع الهلاك لمن لم يؤمن بهم من أقوامهم وما ذكر الله ذلك فى القرآن من قصصهم ليس للتسلية أو للإخبار فحسب وإنما ذكر ذلك للاتعاظ بما حصل على المكذبين للرسل من أنواع الهلاك والدمار . والبعض الآخر من أنبيائه ورسله لم يسمهم فى القرآن وإنما ذكرهم على سبيل الإجمال فيجب الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله ولو لم يسمهم وأنبياء الله ورسله كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله فعلينا أن نؤمن بهم جملة لا تفصيلاً فيقول العبد : أنا مؤمن بأنبياء الله ورسله مصدق بهم ولم يأت فى القرآن ولا فى السنة حصرهم بعدد قال الله تعالى : ﴿ **ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك** ﴾ فعلينا أن نؤمن بأنهم بلغوا

رسالات ربهم على ما أمرهم الله ، وأنهم من أولهم إلى آخرهم يدعون أممهم إلى توحيد الله وعبادته ؛ فالرسل جميعهم فى هذا الأصل واحد وإن اختلفت شرائعهم فى الفروع .

أما الإيمان برسول الثقلين محمد ﷺ فهو الإيمان بكل ما أخبر به والعمل بما جاء به والانتهاء عن كل ما نهت عنه شريعته ، والإيمان بما ثبت له من المعجزات ، كما يجب على العبد أن يؤمن بأنه خاتم الأنبياء وأنه لا نبى بعده . قال الله تعالى : ﴿ **ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ ، وأنه أفضل الأنبياء والرسل ، وأن أمته المستجيبة لِدعوته من أفضل الأمم قال الله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ الآية . ويعتقد الإنسان بأنه لا يجوز له العدول عن شريعته أو تفضيل غيرها عليها ويؤمن العبد بأن الله أختاره لرسالته وأن يعتقد العبد اعتقاداً جازماً بأن جبريل هو أمين الوحى ، وأنه لم يخن فى الرسالة بأن جعلها إلى محمد حيث كانت أصالة لعلى كما يزعمه ويعتقده كثير من الشيعة .

قلت : وهذا الزعم الباطل تنقص لجلال الله وقدرته وتصرفه فى ملكه ، كما أنه تنقص فى حق جبريل حيث وصفوه بالخيانة وتكذيب لله بوصفه له بالأمين وتكذيب للقرآن حيث أنه وصف الملائكة عموماً بالخوف من الله ، وأن أفعالهم طاعة لأمر ربهم قال الله تعالى : ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ . واعتقاد أن جبريل خائن فى الرسالة كذب ودجل وباطل وكفر .

كما يجب على العبد أن يؤمن بأن رسالة محمد عامة للثقلين الجن والإنس ، العرب والعجم ، والأسود والأبيض من حين ما أرسل إلى آخر أيام الدنيا . فلا يجوز للناس عموماً الخروج عن شريعته .

كما أنه يجب على العبد أن يؤمن بأن شريعته قد نسخت الشرائع التى قبلها وأن العمل بغيرها من القوانين خروج عن شريعة محمد ﷺ ودينه الذى ارتضاه الله لعباده قال الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ .

كما يجب أن يؤمن بأن رسول الله قد بلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد فى سبيل الله حق جهاده .

* * *

المبحث السابع الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان الستة وهو أن يؤمن الإنسان إيماناً لا يتأتى إليه شك أو شبهة بثبوت وحصول جميع ما أخبر به الله وأخبر به النبى ﷺ فيما يكون بعد الموت ، كما يجب على العبد أن يكون إيمانه بذلك باعثاً له على فعل الطاعات وإجتناب المنكرات لتحقق الجزاء والعقاب على ذلك ، وهذا هو ثمرة الإيمان باليوم الآخر .

الفصل الأول

فى فتنة القبر وعذابه أو نعيمه

المقصود بفتنة القبر هى امتحان الناس فى قبورهم فى الحياة الدنيا وقبل البعث ، فقد ثبت فى الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال فى قول الله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ أنها نزلت فى عذاب القبر . وزاد مسلم فيقال له : مَن ربك ؟ فيقول : ربى الله ونبيى محمد فذلك قول الله : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ .

وخرج الترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول:

ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقولان : قد كنا نعلم أنك كنت تقول هذا . ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ذراعاً ثم ينور له فيه . وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ولاأدرى فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمى عليه حتى تختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه .

ومن الأدلة القرآنية على ثبوت عذاب القبر قول الله تعالى فى آل فرعون : ﴿ **النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ وقوله : ﴿ **وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ وقال ابن مسعود رضى الله عنه فى قول الله تعالى : ﴿ **فإن له معيشة ضنكاً** ﴾ قال : المعيشة الضنك هى عذاب القبر .

ومن الأدلة على عذاب القبر قول النبى ﷺ : « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » . قال النووى رحمه الله مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه الأدلة من الكتاب والسنة. والعذاب هذا يكون على البدن والروح معاً والنعيم كذلك يكون للبدن والروح فكل من مات قبر أو لم يقبر كمن أكلته السباع أو احترق وصار رماداً فإنه ينال نصيبه من النعيم أو العذاب . وظن ابن حزم رحمه الله أن الروح لا ترد إلى البدن مستدلاً بقول الله تعالى : ﴿ **وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾ وقال إنهما حياتان وموتتان لا غير .

والجواب عن ذلك أن يقال : إن المراد بالحياتين الحياتان المستقرتان وإعادة الروح إلى البدن فى القبر رد عارض للروح لا استقرار فيه فلا معارضة بين القرآن والأحاديث التى تفيد إعادة الروح للبدن فللروح مع البدن خمسة أنواع

من التعلقات وكلها متغايرة ومتفاوته .

أحدها : تعلق الروح بالبدن فى الجنين وهو فى بطن أمه . **الثانى** : تعلقها بالبدن بعد خروجه من بطن أمه . **الثالث** : تعلقها بالبدن فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه **الرابع** : تعلقها وهو فى البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها تعلق فيه والتفات إليه فإنه ثبت أنها ترد إليه حينما يسلِّم عليه وورد أنه يسمع خفق نعال مشيعيه وهذا لا يوجب الحياة المستقرة للبدن . **الخامس** : تعلقها بالبدن يوم تبعث الأجساد وهذا أكمل التعلقات لأن البدن وقتئذ لا يقبل لا موتاً ولا نوماً ولا فساداً .

والراجح أن مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة متفاوت فمنها أرواح فى الملأ الأعلى وهى أرواح الأنبياء وهم متفاوتون فى المنازل أعظم تفاوت كما رآهم النبى ﷺ . وأرواح الشهداء وهم متفاوتون أيضاً فمنهم من روحه تكون فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ومنهم من روحه تحبس عن دخول الجنة لدين كان عليه كما ورد فى المسند عن عبد الله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال : مالى يارسول الله إن قتلت فى سبيل الله قال الجنة فلما ولّى قال إلا الدَّين . ومنهم من روحه تكون محبوسة على باب الجنة كما فى حديث ابن عباس الشهداء على بارق نهر فى باب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشياً رواه أحمد ومنهم من تكون روحه محبوسة فى قبره كحديث صاحب الشَّمْلة التى غلها ثم إستشهد فقال النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده إن الشملة التى غلَّها لتشتعل عليه ناراً فى قبره » . ومن الأرواح ما يكون مستقرها الأرض لأنها أرواح سُفلية . ومن هذه الأرواح ما تكون فى تنور الزناة والزوانى . ومنها ما تكون فى نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة .

* * *

الفصل الثانى

النفخات الثلاث

مما يكون فى اليوم الآخر النفخ فى الصور وهذا مما يجب على العبد أن يؤمن به فينفخ فى الصور ثلاث نفخات . **الأولى** : نفخة الفزع وهى التى يتغير فيها العالم ويفسد نظامه وهى تكون قبل البعث وفى هذه النفخة يسيِّر الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سراباً وتكون كالصوف المنفوش وترتج الأرض بأهلها فتكون كالسفينة الموقرة فى البحر التى تضربها الأمواج وهى التى يقول الله فيها فى عِدَّة آيات من القرآن منها قوله تعالى : ﴿ **يوم ترجف الراجفة** ﴾ فتميل الأرض بأهلها ، فتذهل المراضع عما أرضعت ، وتضع الحوامل حملها ، وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة من الخوف والفزع حتى تأتى الأقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضاً من الخوف والهول المحدق بهم كما أخبر الله بقوله عن يوم التناد : ﴿ **يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم** ﴾ فبينما هم على ذلك فإذا الأرض تتصدع قطراً قطراً ورأوا أمراً عظيماً فالسماء صارت كالمهل ثم انشقت فتساقطت نجومها وانتثرت وأنكسفت شمسها وانخسف قمرها . قال رسول الله ﷺ : « والأموات يومئذ لا يعلمون شيئاً من ذلك » قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ وقال تعالى : ﴿**إذا الشمس كورت**﴾ الآيات . وقال : ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾ الآيات .

فهذا اليوم فيه أمور عظيمة هائلة مفزِعة مخيفة مروِّعة ولذا أمر الله سبحانه بتقواه ملفتاً أنظار عباده إلى هذا اليوم العظيم . وفى هذا اليوم ينفخ إسرافيل بالصور . فيفزع الناس ويصعقوا من هذه النفخة . وهذه النفخة هى المعنية بهذه الآيات قال الله تعالى : ﴿ **وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق** ﴾ وقوله : ﴿ **ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله** ﴾ .

النفخة الثانية : نفخة الصعق وهلاك الخلق وهذه النفخة هى ما أخبر الله عنها بقوله تعالى : ﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله** ﴾ والصعق هنا المراد به الموت روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فيقول الله لملَك الموت وهو أعلم من بقى ؟ فيقول : أى رب بقيتَ أنت الحى القيوم الذى لا يموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وبقيتُ أنا فيقول الله : فليمت جبريل وميكائيل فيموتان . ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار فيقول : قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله : فليمت حملة العرش فيموتون ويأمر الله العرشَ أن يقبض الصورَ من إسرافيل فيموت . ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار فيقول : رب مات حملة العرش فيقول وهو أعلم : فمن بقى ؟ فيقول بقيتَ أنت الحىّ القيوم الذى لا يموت وبقيتْ أنا فيقول الله : أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمُتْ فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار طوى السماء والأرض كطى السجل للكتب وقال : أنا الجبار لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه : لله الواحد القهار . وحينئذ تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم لاترى فيها عوجاً ولاأمتا .

النفخة الثالثة : نفخة البعث وهى التى ذكرها الله بقوله تعالى : ﴿ **ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون** ﴾ وبقوله : ﴿ **ثم نفخ فيه**

أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وبقوله : ﴿ فإذا نقر فى الناقور فذلك يومَئذ يوم عسير ﴾ وبقوله : ﴿ واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ﴾ قال المفسرون : المنادى إسرافيل . وقال بعضهم : المنادى جبريل والذى ينفخ إسرافيل فينادى : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء .

وقال جماعة من المفسرين : إن المراد بالمكان القريب صخرة بيت المقدس . وأخرج الشيخان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون » قالوا : أربعون يوماً قال أبو هريرة : أبيت. قالوا : أربعون شهراً قال أبو هريرة : أبيت . قالوا : أربعون سنة : قال أبو هريرة : أبيت . ينزل من السماء ماء فينبتون كما تنبت البقل وليس من الإنسان شىء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عَجْبُ الذّنَب منه يركب الخلق يوم القيامة .

والبعث هو إعادة الأرواح إلى الأبدان فيخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا بُهْما ، وأهل السنة وسلف الأمة قاطبة يؤمنون بذلك بل إنهم يكفِّرون من أنكره بدليل قول الله تعالى : ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن﴾ .

* * *

الفصل الثالث

فى منكرى البعث

لم يخالف فى البعث إلا من نقص عقله فلم يعقل أن قدرة الله فوق كل شيء ولم يعقل المصالح التى تترتب على ذلك والمخالفون فيه على أربعة أقسام :

القسم الأول : قالوا إنه أمر لا تدعو إليه حاجة الناس وليس وراء ذلك مصلحة ولا فائدة ترجى فرد الله على هؤلاء بما يناسب قولهم ودعواهم فقال تعالى : ﴿ **أفَحَسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ وبقوله : ﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى** ﴾ وبقوله : ﴿ **ليجزيَ الذين أساؤا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ .

فالأدلة من القرآن على البعث وأنه من تمام حكمة الحكيم كثيرة وكذلك العقل البشرى لا ينكره فلو كان لرجل خادمان عاقلان وقال لهما : من فعل كذا واجتنب كذا فله كذا ومن لم يفعل ما أمرت به فعليه كذا من العقاب أو فعل ما نهيته عنه فعليه كذا . أليس من المسلَّم به عقلاً أن من فعل ما أمره به سيده واجتنب ما نهاه عنه إنه يستحق الجزاء والثواب وأن من كان عمله بضد ما أمره به سيده أو نهاه عنه فإنه يستحق العقاب أليس هذا هو ما يسلِّم به العقل ويَحكم به .

والجواب عن ذلك ببلى إنه حق وصدق ووفاء وعدل هذا القول وتطبيق

هذا القول من قبل الله أحق . فليس هناك أحق وأصدق وأوفى وأعدل من حكم أحكم الحاكمين فالله وهب للناس العقول وكلفهم بفعل الأوامر ورتب عليها الجزاء والثواب ، وكلفهم بترك المنهيات ورتب على فعلها أو ترك المأمورات العقاب وتظهر حكمة الله وعدالته بتنفيذ الوعد والوعيد ودارُ الدنيا ليست محلاً لذلك وإنما محله فى الآخرة لذا قضى الله بالبعث لينال المسيء عقابه والمحسن ثوابه وجزاءه كما أشارت إلى ذلك الآية السابقة ﴿ **ليجزَيَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذى أحسنوا بالحسنى** ﴾ .

القسم الثانى : من أولئك المنكرين للبعث الذى استبعدوه وأستعظموه فى نفوسهم وأستهانوا بقدرة الله ولأنهم شاهدوا أجساماً تموت فيأكلها الدود وتتفرق لحومها وتفنى فى الأرض وقد تحرقها النار فتصير رماداً فتبدده الرياح وبعضها تأكله السباع فلا تكاد عقولهم تصدق وتسلم فى إعادة الأرواح مرة أخرى فتكون حية ، ولم تدرك عقولهم وتحتمل أفئدتهم السخيفة قدرة الله العظمى فأنكر الله عليهم هذا الادعاء الباطل بما يتناسب مع قولهم وعقولهم من أنه لا يعجزه شيء وأنه ليس هناك شيء عظيم أمام قدرة الله فالله أكبر وأعظم وأقدر فهو الذى بقدرته يتم كل شيء وبإرادته وأمره ومشيئته يكون كل شيء فهو الذى خلق الإنسان وأوجده من العدم . رد الله عليهم دعواهم تلك بقوله تعالى : ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ وقوله : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدَة** ﴾ وبقوله : ﴿ **أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين** ﴾ الآيات .

القسم الثالث : وهم الذين ظنوا بعقولهم السخيفة أن البعث مخالف للسنن المألوفة فهم يقولون لم نر فى الوجود أجساداً حية ثم تموت فتحيى ، وهؤلاء لو كانت عقولهم سليمة لأدركوا أن ماأنكروه لم يخالف السنن ويكفى فى ذلك

قدرةً ودلالةً على إنزال الماء على الأرض وإنبات النبات من بعد أن كان يابساً هامداً تذروه الرياح ، ولذلك كثيراً ما يلفت الأنظار والعقول إلى ذلك كدليل على إمكان البعث ووجوده فيقول جل شأنه وتعالت قدرته وعظمته موجهاً عقول هؤلاء الصنف من البشر المنكرين للبعث وملفتاً لأنظارهم إلى هذه الأرض وما فيها من نبات أخضر ثم يذبل وييبس فتذروه الرياح وتفرقه فى الصحارى والبحار فينزل الله بعد ذلك الأمطار فتهتز الأرض وتربو بالنبات الأخضر المختلف أشكاله وألوانه وأزهاره . ويرد الله على هؤلاء بما يناسب عقولهم فيقول : ﴿ **ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً** ﴾ إلى قوله ﴿ **وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور** ﴾ فهذه الآية وما شابهها تقرر إثبات البعث وإمكانه بدليل إنزال المطر على الأرض بعد أن كان فيها نبات أخضر فصار يابساً ذرته الرياح وفرقته فى أنحاء الأرض وبعد إنزال الماء عليها تصبح الأرض مخضرة بأنواع النباتات .

القسم الرابع : قوم أنكروا وجود الله المحيى المميت وقالوا : ليس هناك أحد يتصرف فى الكون إلا الزمن فهو المتصرف فى هذا الكون وهؤلاء هم المشار إليهم بقول الله تعالى : ﴿ **وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ وما علم هؤلاء المنكرون أن الأمر كله لله فالدهر الذى هو الزمن متصرَّف فيه ، ولذا ورد فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : (**يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار**) وهذا القسم

هم الدهرية من الكفار ومشركى العرب فهم ينكرون البَدْأة والرَّجْعَة وهذا مكابرة وتكذيب للمعقول والمنقول .

فأما الأدلة النقلية القرآنية فيكتفى بما ذكرنا من الآيات القرآنية . وأما الأحاديث فروى أبوهريرة رضى الله عنه : إذا مات الناس كلهم فى النفخة الأولى يعنى نفخة الصعق أمطر عليهم أربعين عاماً كمنى الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون فى قبورهم فإذا نفخ فى الصورة النفخة الثانية - أى نفخة البعث - قاموا وهم يجدون طعم النوم فى أعينهم ، كما يجده النائم إذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون : ﴿ **ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا** ﴾ .

وأما الأدلة العقلية فقد اقتضت حكمة الله فى أن يبعث الناس لينال المحسن جزاء إحسانه والمسىء عقاب إساءته فليس من حكمة الحكيم أن يأمر عباده بأوامر وينهاهم عن مناهٍ فيقوم البعض بما أمره الله به ويجتنب مانهاه عنه والبعض الآخر يكون بعكس ذلك فيترك أوامر الله ويفعل منهياته وقد رتب الله الثواب على فعل الطاعة والعقاب على فعل المعصية فليس من المعقول أن يتركهم بلا ثواب ولا عقاب وهذه الدنيا ليست محلاً لذلك وإنما محله فى الآخرة ، لذا اقتضت حكمة الله البعث من أجل أن تتجلى للناس عدالة الرب فى ثواب الناس وعقابهم ولو لم يكن ثَمّ جزاء ما كان للتكاليف الشرعية من فائدة كما يرد على أولئك الذين يزعمون بأن الدهر هو المتصرف فنقول لهم : هلا أتى الزمان بهم قبل وجود التزاوج بين آبائهم وأمهاتهم ، وهل هو الذى خلقهم من هذا الماء المهين ، وهل الزمن هو الذى يجعل التشابه بين الآباء وأولادهم .

والجواب عن ذلك كله قطعاً أن الزمان لا يأتى بشىء ولن يأتى بشىء وإنما

الزمان متَصرَّف فيه كغيره من أجزاء الكون والمتصرِفّ فيه هو الله سبحانه ، ولذلك صار سب الدهر مسبة لله المتصرف وصارت مسبة الدهر لا ترضى الله بل تسخطه .

قال أبو على الثقفى :

يا عاتبَ الدهر إذا نابه ... لا تلُم الدهر على قدره
الدهر مأمور له آمر ... وينتهى الدهر إلى أمره
كم كافرٍ أمواله جَمَّةٌ ... تزداد أضعافاً على كفره
ومؤمنٍ ليس له درهمٌ ... يزداد إيماناً على فقره

وروى أن سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيراً ما يذكر الدهر فزجره أبوه ونهره وقال : إياك يابنى وذكر الدهر وأنشد :

فما الدهر بالجانى لشيء لحينه ... ولا جالبِ البلوى فلا تشتم الدهرا
ولكن متى ما يبعث الله باعثاً ... على معشر يجعل مياسيرهم عسراً

والدهرية الذين ينسبون كل شيء إلى الدهر وينكرون البعث ثلاثة أصناف :

الأول : قوم أنكروا المبدأ والمعاد ، وزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجِد وتُعدِم أنفسها ليس لها رب يتصرف فيها إنما هى أرحام تدفع وأرض تبلع وهذا القول لجمهورالفلاسفة الدهرية والطبائعية .

الثانى : قوم يقال لهم الدورية ، وهم ينكرون الخالق والتصرف له فى كونه ويعتقدون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا تكرر مرات لا تتناهى . وهذان الصنفان يعمهما قول الله عز وجل : ﴿ **وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾.

الثالث : قوم من الدهرية ، من مشركى العرب ومن وافقهم وهم يقرون

بالبدأة وأن الله تعالى ربهم وخالقهم . قال الله تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولون الله** ﴾ ، مع أنهم قالوا ما أخبر الله به عنهم بقوله : ﴿ **إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين** ﴾ ، فأقروا بالبدأة وأنكروا البعث . ويكتفى بالرد عليهم ، بالأدلة القرآنية السابقة والأدلة العقلية التى تقدمت المثبتة لإمكان البعث والحكمة منه .

* * *

الفصل الرابع

فى الحشر وما فيه من الأهوال

ثم بعد البعث يحشر الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم إنسهم وجنهم وكذا الملائكة والحيوان والطيور . قال ابن عباس رضى الله عنه فى قول الله تعالى : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر فيجمع الله فى ذلك اليوم العظيم الأولين والآخرين حتى لا يعلم الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام قال الله تعالى : ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** ﴾ .

وفى هذا اليوم أهوال عظيمة وشدائد جسيمة ، تذيب الأكباد ، وتذهل المراضع عما ترضعه ، وتشيب الأولاد . أخرج مسلم فى صحيحه عن المقداد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين . قال : فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق على قدر أعمالهم ، منهم من يأخذه العرق إلى عقبيه ، ومنهم من يأخذه إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه إلجاماً » . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » . وفى بعض ألفاظ الصحيح سبعين باعاً . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها

كواعبها وأكوابها . والذى نفس عبد الله بيده إن العبد ليفيض عرقاً حتى يسيخ فى الأرض قامته ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب قالوا : مم ذلك ياأباعبدالرحمن ؟ قال : مما يرى الناس .

وهذا اليوم مقداره خمسون ألف سنة كما ذكر الله فى قوله : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ وروى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً : « يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة فقيل : يارسول الله ما أطول هذا اليوم . فقال النبى ﷺ : والذى نفسى بيده إنه ليُخَفَّفُ على المؤمن حتى يكون عليه أخفَّ من صلاة مكتوبة » . وروى الطبرانى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً ولفظه : أما مقام الناس بين يدى رب العالمين فألف سنة لا يؤذن لهم . وأخرج البيهقى عن ابن عمر أنه قال : يمكثون ألف عام فى الظلمة يوم القيامة لا يتكلمون .

وهذا الحشر والوقوف لرب العالمين لجميع الخلق وهذا هو العرض الذى ذكره الله فى كتابه بقوله : ﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** ﴾ والخلق وقتئذ حفاة عراة غرلا بهما كما أخبر الله عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ **وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة** ﴾ .

ويعرض الناس على ربهم ثلاث مرات : فالمرة الأولى والثانية جدال ومعاذير فيوقف الله عباده قبل الانصراف من الموقف والمحشر على أعمالهم فإن كانت خيراً فخير وإن كانت شراً فشر ، وهذا هو ما أخبر الله عنه بقوله : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ وبقوله: ﴿**وقفوهم إنهم مسؤلون**﴾.

وهو أيضاً ما أخبر عنه الرسول ﷺ بقوله عن معاذ بن جبل رضى الله عنه

قال : قال رسول الله ﷺ : « يامعاذ إن المرء ليسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه . وعن فتات الطينة بأصبعيه فلا ألفينك يوم القيامة وأحدٌ غيرك أسعد بما آتاك الله منك » . وبما روى أبو برزة الذى أخرجه الترمذى فى سننه ولفظه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » .

وأما العرضة الثالثة فهى التى تتطاير الصحف عندها إلى الأيدى . روى أحمد وابن ماجة عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير . وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله » . وقد أخبر الله عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً** ﴾ وبقوله : ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾ وبقوله : ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** ﴾ وبقوله : ﴿ **ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلاأحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولايظلم ربك أحداً** ﴾.

وزيادة لتقرير الأعمال فإن الله لم يكتف فى إثبات الجزاء على الأعمال على الصحف فقد جعل أعضاء الإنسان تشهد على أعماله وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ويوم يحشر أعداءُ الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون** ﴾ .

الفصل الخامس

فى وزن أعمال العباد

وزيادة فى تقرير الجزاء على أعمال العباد وإثباتها والمجازاة على قدرها فإنها توزن أعمال العباد بميزان حقيقى حسى له كفتان : كفة للحسنات وكفة للسيئات . وهذا الميزان يطيش بالذرة قال الله تعالى : ﴿ **فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية** ﴾ ولا ظلم حينئذ فالوزن بأمر الله ولا يظلم ربك أحداً ولأن الله قد حرم الظلم على نفسه قال الله تعالى : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾ قال القرطبى رحمه الله : إذا انقضى الحساب يكون وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء ، فينبغى أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقدار الجزاء عليها .

فائدة : جُمع ميزان على موازين فى القرآن إما باعتبار ما يوزن به من الأعمال واختلافها وإما أن هناك موازين متعددة توزن بها الأعمال المختلفة فكل عمل له ميزان . والظاهر الأول . والله أعلم .

واختلف أهل العلم فى الموزون فقيل : يوزن العبد مع عمله . وقال جمهور المفسرين : إنما الموزون الصحف . وقال السفارينى : والحق أن الموزون صحف الأعمال وصححه ابن عبد البر والقرطبى وغيرهما . وصوبه الشيخ مرعى فى بهجته .

قلت : ويؤيد ذلك ما ثبت عن رسول الله ﷺ حينما سئل عما يوزن يوم

القيامة فقال : الصحف والحديث رواه الترمذى وحسنه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى وقال الحاكم على شرط مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يستخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر . ثم يقول الله : أتنكر من هذا شيئاً أظلمك كتبتى الحافظون فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذر أو حسنة ؟ فيقول : لا يارب . فيقول الله : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقول : أحضر وزنك . فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال : إنك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء » . فإن قيل فقد أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » . وهذا الحديث ظاهره أن الموزون إنما هى الأجسام .

فالجواب عن ذلك أن مثل هذا يصوّر به النبى ﷺ الرجل الذى يغتر بنفسه مما هو عليه من الجسامة والنضارة والجمال وهذا المَثَل كناية عن عدم الاكتراث به عند الله لأن الله لا ينظر إلى الصور والأجسام والنضارة ، وإنما ينظر إلى الأعمال والقلوب . فكم من إنسان جسيم ووسيم مآله إلى الجحيم . وكم من قصير ودميم مآله إلى النعيم .

وهناك من لا توزن أعماله فيَمُنُّ الله عليه بدخوله الجنة بدون وزن لأعماله وأولئك هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، كما أن هناك صنفاً آخر لا توزن أعمالهم وإنما تحصى وتُعَدّ وتقرر لهم بدون وزن وذلك هم الكفار قال الله

تعالى : ﴿ **وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً** ﴾ .

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بحقيقة الميزان وأن له كفتين ولساناً وأنه يطيش بالذرة كما قال تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ .

وأنكر المعتزلة حقيقة الميزان وقالوا : إن المراد به العدل ؛ وهذا مكابرة منهم يرده حديث البطاقة المتقدم والآيات القرآنية السالفة الذكر .

* * *

الفصل السادس

فى الصراط والمرور عليه

مما يجب على العبد الإيمان به فى اليوم الآخر : الصراط ، وهو جسر ممدود على جسر جهنم يَرِده الأولون والآخرون ومنتهاه يؤدى إلى الجنة وخلق الله هذا الصراط من حين ما خلق جهنم قال القرطبى رحمه الله : اعلم رحمك الله أن فى الآخرة صراطين : أحدهما مجازٌ لأهل المحشر كلهم ثقليهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة منهم بغير حساب ولا عذاب وإلا من يهوى فى النار قبل أن يجتازه ، أعاذنا الله من ذلك ، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذى ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذى علم الله منهم أن المقاصَّة فيما بينهم لا تستنفد حسناتهم حبسوا على صراطٍ آخر خاص لمن نجا من النار وعبر الصراط الأكبر الذى عليها وحينئذ يوقفون على ذلك الصراط الأصغر ويسمى القنطرة فيقتص بعضهم من بعض وهذه القنطرة قيل : إنها من تتمة الصراط وهى طرفه الذى يلى الجنة . وقيل : إنها صراط آخر أصغر من الذى قبله .

وسواء كانت صراطاً متحداً أو من تكملة الصراط الأكبر فإنها خاصة بالمؤمنين لا يعبر منه سواهم وليس أحد يسقط منهم فى النار . روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا فإذا هذِّبوا ونُقّوُا أُذِن لهم بدخول الجنة فوالذى نفسى بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله الذى كان فى الدنيا .

أما صفة الصراط فقد ثبت فى الأحاديث بأنه أدق من الشعرة وأَحَدّ من السيف وأحمى من الجمر . روى الطبرانى بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : يوضع الصراط على سَواء جهنم مثل حد السيف المرهف مَدْحَضَة أى مزلقة لا يثبت عليه قدم بل تزل عنه إلا من ثبته الله عليه كلاليب تخطف أهلها فتمسك بهواديها ويستبقون عليه على قدر أعمالهم ، فمنهم من شده كالبرق ؛ فذاك الذى لا ينشب وينجو ، ومنهم من شده كالريح ، ومنهم من شده كالفرس ، ومنهم من شده كهرولة الرجل ، ثم كرمل الرجل ، ثم كمشى الرّجل وآخِر من يدخل الجنة رجل قد لوحته النار فيقول الله له : سل وتمن فإذا فرغ قال لك ما سألت ومثله معه . وأخرج مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : بلغنى أن الجسر أدق من الشعر وأَحَدّ من السيف . وأخرج البيهقى عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الصراط كحد السيف وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل لآخذٌ بحجزتى وإنى لأقول : يارب سلّم سلّم ، فالزالون والزالات يومئذ كثير » .

وقد أنكر بعض الناس هذا الوصف للصراط وقالوا : إنه مستحيل زعماً منهم أنه مستحيل عبوره . والحق أنه غير مستحيل ولا غريب ، أما الاستحالة فيقال : إن الناس ثبت عبورهم على قدر أعمالهم ووردت بذلك الأحاديث المتقدمة ، وأما كونه غريباً فلا غرابة فى هذا فى الآخرة فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن الكافر يحشر يوم القيامة على وجهه فالله لا يعجزه شىء لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

وقال القرافى وسبقه غيره كالعز بن عبد السلام وتبعا فى ذلك الحافظ البيهقى : كون الصراط أدق من الشعر وأَحَدّ من السيف أن هذا الوصف لم يجده -- أى الحافظ البيهقى فى الروايات الصحيحة وإنما يروى عن بعض

الصحابة فيأول بأن أمر الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصى ولا يعلم ذلك إلا الله . وقد رد القرطبى رحمه الله على هذا القول وغيره من العلماء بما رواه مسلم وتقدم عن أبي سعيد الخدرى بقوله : بلغنى وهذا له حكم الرفع ثم إن له شواهد مروية فى كتب السنة وقد مر بالأخبار السابقة صفة الصراط فلا مجال للرأى والاجتهاد والتأويلات التى لا خير فيها . وما على المسلم إلا الإيمان بذلك ثم إن القادر على إمساك الطير فى الهواء وإمساك السموات أن تقع على الأرض مع ما فيها من الأجرام الثقيلة . قادر أن يمسك المؤمن ويجريه على قدر عمله . وأما كون ذلك تعذيب للمؤمنين والصالحين ، فليس كذلك ، فإنهم ينجون منه ويعبرونه على قدر أعمالهم . وأما كونه تكليفٌ بما لا يستطاع فإنه يقال ليس هذا تكليف بما لا يستطاع فإن من قدم أعمالاً صالحة فإنه ثبت أنه يعبْرُ على قدرها . والله أعلم .

* * *

الفصل السابع

فى ذكر الحوض وروده

ومما يجب الإيمان به حوض النبى ﷺ ، فقد أخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « حوضى مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ،وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لايظمأ أبداً » . ومما يجب أن يعلمه الإنسان أنه لايرد على حوض النبى ﷺ كل إنسان فلا يرد عليه إلا من اتبع أوامر الله وأوامر رسوله فى الجملة . أما من خالف أوامر الله وأوامر رسوله ولم يخش الله ولم يتقه أو ابتدع فى دين الله ما ليس منه فإنه لا يرد على هذا الحوض العظيم ولايزال عطشان لاهثاً . وكلما جاء ليرده صد عنه وأُبعد . ومن أولئك الذين يذادون ويمنعون عن الاقتراب منه من كذب على الله أو على رسوله ممن يزعم أنه من المحدّثين وهو ليس كذلك أو كان من المبتدعين فى الدين من الروافض والخوارج وسائر أصحاب الأهواء والبدع المضلة . وكذلك المسرفون من الظلمة المفْرِطون فى الظلم والجور وطمس الحق . وكذلك المنهمكون فى المعاصى والمنكرات المتساهلون فى ارتكابها والمعلنون باقتراف المناهى . فقد أخرج مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً فقال : إنه أنزلت علىَّ آنفاً سورة فقرأ رسول الله ﷺ ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ حتى ختمها فقال : « هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله

أعلم . قال : هو نهر أعطانيه الله ربى فى الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول : يارب إنه من أمتى فيقال : إنك لا تدرى ما أحدث بعدك » .

وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة ثابتة عن الرسول ﷺ أن من أمته من يمنع عن الورود على الحوض لما يرتكبه من المعاصى والذنوب أو لعدم قيامه بما أوجب الله عليه أو لظلمه وتعديه على خلق الله بقتل أو ضرب أو أخذ مال أو سب أو غير ذلك .

وقد يُرَدّ بعض العصاة عن الورود على الحوض وبعد المغفرة لهم يؤذن لهم بالورود .

وقد يُرَدّ بعض العصاة ولو لم يغفر لهم ، كبعض مرتكبى بعض الكبائر فقد لا يغفرها الله لهم ومع هذا فيَرِدون الحوض ويشربون منه فإذا دخلوا النار لتمحيصهم من الذنوب لم يعذبوا فيها بالعطش . والمراد بالمعاصى والكبائر هنا هى التى تكون فى الأعمال .

أما إذا كانت عقائدية فخطرها عظيم وذلك كبدع الخوارج والمعتزلة والرافضة والمرجئة وغير ذلك من أصحاب البدع فأهل العلم يخافون على أولئك من عدم الورود على الحوض . والله أعلم .

* * *

المبحث الثامن

الفصل الأول

فى أقسام الشفاعة وأنواعها

الشفاعة لغة مأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر ، وشرعاً هى طلب الخير للغير والشفاعة تنقسم إلى قسمين : شفاعة منفية ، وهى ما لم يتوفر فيها الشرطان : الإذن للشافع إبتداءاً والرضا عن المشفوع له . وشفاعة مثبته لله وحده وهى ملك لله ، والشفاعة المثبتة ما توفر فيها الشرطان : الإذن للشافع والرضا عن المشفوع له . ودليل القسم الأول قوله تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ وقوله : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ وقوله : ﴿ **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ . ودليل القسم الثانى ﴿ **قل لله الشفاعة جميعاً** ﴾ وقوله : ﴿ **ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع** ﴾ وقد جمعت الآية السابقة : ﴿ **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم** ﴾ الشرطين للشفاعة المثبتة وهما : الإذن للشافع ، والرضا عن المشفوع له .

وقد ثبت فى السنة شفاعات كثيرة متنوعة :

الأولى : وهى أعظمها وأعمها فهى فى الموقف العظيم حين يجمع الله الأولين والآخِرين فيزيد القلق ويتصبب العرق فتدنو الشمس من الخلق وتكون منهم فى الارتفاع قدر ميل المكحلة وقيل ميل المسافة وعندئذ تذوب الأكباد وينسى

الوالدان والأولاد فيشفع النبى ﷺ فى أهل الموقف عند ربه ، وهذه الشفاعة مجمع عليها وعلى خصوصيتها لمحمد ﷺ من بين سائر الخلق . فروى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى النبى ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ، ألا ترون ماقد بلغكم ، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم . فيقول بعض الناس لبعض ائتوا : آدم فيأتون آدم فيقولون : ياآدم أنت أبونا أبو البشر خلقك بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ماقد بلغنا فيقول آدم : إن ربى قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسمَّاك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربنا ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ماقد بلغنا . فيقول لهم نوح : إن ربى قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه كان لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون : ياإبراهيم أنت نبى الله وخليله من الأرض اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألاترى ما قد بلغنا فيقول لهم إبراهيم : إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وذكر كذبات نفسى نفسى إذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى فيقولون : ياموسى أنت رسول الله فضَّلك الله برسالته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفساً لم أُومر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا إلى عيسى . فيأتون

عيسى فيقولون : ياعيسى أنت رسول الله وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى : إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتون محمداً فيقولون : يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا . فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله علىَّ ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد غيرى من قبلى . ثم قال : يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع . فأرفع رأسى فأقول : يارب أمتى أمتى . فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى . وفى البخارى كما بين مكة وحمير . وهذه الشفاعة خاصة له وعامة لكل أهل الموقف من الأمم وليست خاصة لأمته كما قد يفهم البعض من قوله فى الحديث - أمتى أمتى - فإن هذا يدل على الاهتمام والشفقة بأمته أكثر من غيرها ، كما أن قوله فى الحديث أدخل من أمتك ... الخ لا يدل على تخصيص أمته بهذه الشفاعة وإنما يدل على أن الله استجاب لشفاعته ودعوته . ومن ذلك أمر الله بإدخال الجنة من لا حساب عليه من أمته وبعدئذ يكون الشروع فى محاسبة الخلق وراحتهم من هذا الموقف العظيم ؛ وهذا هو المقام المحمود الذى شرف الله به نبى هذه الأمة على القول الصحيح والله أعلم .

الثانية : شفاعة النبى ﷺ عند ربه فى إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب ، وهذه الشفاعة خاصة بالنبى ﷺ وقيل : إنها ليست خاصة به لأنه

لا يثبت الاختصاص إلا بدليل ولا دليل هنا .

الثالثة : شفاعة النبى ﷺ فى قوم استوجبوا دخول النار لارتكابهم بعض الكبائر فلا يدخلونها . وهذه الشفاعة خاصة بالنبى ﷺ . وقال بعض العلماء : إنها ليست خاصة به لأنه لا دليل على الاختصاص وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة والخوارج لأن مذهبهم فى مرتكب الكبيرة أنه لابد من دخوله النار وتخليده فيها .

الرابعة : شفاعة النبى ﷺ فى قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة فيدخلونها . قال بعض العلماء : إنها خاصة بالنبى ﷺ . وقال آخرون : لم يثبت دليل يفيد الاختصاص .

الخامسة : شفاعة النبى ﷺ فى قوم دخلوا الجنة أن ترفع منازلهم ودرجاتهم فيها . قال كثير من العلماء : إنها ليست خاصة به بدليل ما روى أحمد فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عزوجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يارب أنّى لى هذه ؟ فيقال باستغفار ولدك لك » . قال بعض العلماء المحققين فى هذا الحديث رجاله رجال الصحيح .

قلت : وله شواهد أخرى بمعناه .

وقال النووى فى الروضة : إن هذه الشفاعة خاصة به ، كما قال بذلك غيره أيضاً .

قلت : إن هذه الشفاعة الخامسة والشفاعة الأولى العظمى لم ينكرها المعتزلة والخوارج .

السادسة : شفاعة النبى ﷺ فى إخراج عموم أمته من النار من أهل الكبائر ممن لم يستحق التخليد فيها حتى لا يبقى فيها أحد منهم ، وهذه خالف فيها المعتزلة والخوارج .

السابعة : شفاعة النبى ﷺ فى بعض الكفار ، وهى خاصة به وفى عمه خاصة فى تخفيف العذاب عنه .

الثامنة : شفاعة النبى ﷺ لأهل المدينة ثم لأهل مكة ثم لأهل الطائف لحديث عبد الملك بن عباد سمعت النبى ﷺ يقول : « أول من أشفع له أهل المدينة . ثم أهل مكة ثم أهل الطائف » أخرجه البزار والطبرانى . ولأهل المدينة بدون ذكر أهل مكة والطائف عن سعد رفعه لا يثبت على لأوائها أحد إلا كنت له شهيداً وشفيعاً رواه مسلم . ولحديث أبى هريرة رفعه : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل فإنى أشفع لمن مات بها » . أخرجه الترمذى ذكر ذلك فى الفتح ابن حجر .

هذا وقد أشرت إلى الخلاف فى اختصاص النبى ﷺ فى بعض الشفاعات .

التاسعة : شفاعة عامة لكل الخلق من المؤمنين من الرسل والملائكة وصالحى البشر والأطفال . وهذه الشفاعة كغيرها لا تكون إلا لمن كان أهلاً لها ، ولا تكون إلا بعد إذن الله فيها . روى الحاكم والبيهقى عن الحارث بنى قيس مرفوعاً : « إن من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر » . وأخرج البيهقى عن عبد الله بن أبى الجدعاء سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم قالوا : سواك يارسول الله . قال : سواى » .

* * *

الفصل الثانى

فى إنكار المعتزلة والخوارج الشفاعة
لأهل الكبائر وأدلتهم والرد عليها

أنكرت المعتزلة والخوارج الشفاعة للموحدين المرتكبين للكبائر أو بعضها فقالوا : إنهم لا يدخلون الجنة ولابد من دخولهم النار وتخليدهم فيها بناءاً على معتقدهم أن مرتكب الكبيرة كافر عند الخوارج وخارج من الإيمان ولم يدخل الكفر عند المعتزلة وهو القول أنه بمنزلة بين المنزلتين . أى أنه بين الكفر والإيمان وبناءاً أيضاً على أن الإيمان لا ينقص ولا يزيد وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة .

لذلك أنكرت الخوارج والمعتزلة الشفاعة للموحدين المرتكبين للكبائر أو بعضاً منها مستدلين بقول الله تعالى : ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة** ﴾ وبقوله : ﴿ **وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ واعتقدوا أن من ارتكب كبيرة أنه يدخل النار ويخلد فيها وهذا رأى فاسد ومذهب باطل ترده الأخبار الصحيحة والآثار الواضحة الصريحة وإجماع أهل الحق .

وأجاب أهل الحق عن الآية التى استدلوا بها ﴿**ولا يقبل منها شفاعة**﴾ وما شابهها كقوله تعالى : ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾ ومثلها : ﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾ إن هذه الآيات تحمل على أن المشفوع لهم كفار . ومن شروط قبول الشفاعة الرضا عن المشفوع له والكافر لا يرضى الله عنه .

ومما استدلوا به أيضاً قول الله تعالى : ﴿ **إنك من تدخل النار فقد أخزيته** ﴾ . مع قوله : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ . فقالوا : إن من أدخله الله النار فقد أخزاه ، ومن أخزاه فإنه لا يرضى عنه ، ومن لم يرض عنه الله فإنه لا يقبل الشفاعة فيه .

وأجاب أهل السنة والجماعة عن ذلك أن معنى ﴿**إنك من تدخل النار فقد أخزيته**﴾ أى إنك من تخلد فى النار فقد أخزيته ، وبذلك فسر أنس وقتادة كلمة تدخل بتخلد . وقال قتادة : إن تدخل . مقلوب تخلد . وأجابوا أيضاً بأن كلمة (أخزيته) إن أريد بالظالمين العصاة من الموحدين – أى أن من أدخلت النار من عصاة الموحدين فإنه يستحيى بدخوله النار فالخزى هنا يراد به الحياء . وقد تكلم به العرب فى هذا المعنى قال ذو الرمة :

خِزايـة أدركتـه عنـد جولتـه ... من جانب الحبل مخلوطاً بها الغضب

وقال أمية :

قالت أراد بنا سوءاً فقلت لها ... خِزيان حيث يقول الزور بهتاناً

فجاءت كلمة خِزاية فى البيت الأول وخِزيان فى البيت الثانى والمراد بهما الحياء .

ومما يرد عليهم بأحاديث كثيرة صحيحة لكن أوضحها فى الاستدلال ما روى أبو موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « خُيِّرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة فأخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين » . قال المعلق فى الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات .

وفى الباب أحاديث كثيرة تدل على أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حلت له الشفاعة ، وكذلك من مات ولم يشرك بالله شيئاً حلت له الشفاعة .

الفصل الثالث

فى أسباب حصول الشفاعة

لحصول الشفاعة أسباب كثيرة منها :

الأول : قراءة القرآن . روى مسلم فى صحيحه قال : حدثنى الحسن بن على الحلوانى حدثنا أبو توبة – وهو الربيع بن نافع – حدثنا معاوية يعنى ابن سلام عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول : حدثنى أبو أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه . اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما . اقرؤا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة » . وروى الترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له – وهى تبارك الذى بيده الملك » أخرجه أبو داود وابن ماجة وأحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد وأقره الذهبى .

الثانى : الصلاة على النبى ﷺ والسؤال له الوسيلة ، روى البخارى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته حلّت له شفاعتى يوم القيامة » .

الثالث : شفاعة المصلين على الميت الموحد . روى مسلم عن ابن عباس أنه

مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال : ياكريب ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال : تقول هم أربعونَ ؟ قال : نعم . قال : أخرجوه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم فيه » . الحديث رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد .

الرابع : كثرة السجود . قال أحمد رحمه الله : حدثنا عفان حدثنا خالد الواسطى قال حدثنا عمرو بن يحيى الأنصارى عن زياد بن أبى زياد مولى بنى مخزوم عن خادم للنبى ﷺ رجل أو امرأة قال : كان النبى ﷺ مما يقول للخادم : ألك حاجة قال حتى كان ذات يوم فقال : يارسول الله حاجتى أن تشفع لى يوم القيامة قال : ومن دلَّك على هذا ؟ قال : ربى قال : أما لا فأعنى بكثرة السجود . قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح .

الخامس : استغفار الأولاد لوالديهم ، وفيه عن أبى هريرة رضى الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يارب أنَّى لى هذه ؟ فيقال : باستغفار ولدك لك » . رواه أحمد .

السادس : موت الأبناء . روى مسلم عن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة : إنه قد مات لى ابنان فما أنت محدِّثى عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به نفوسنا عن موتانا قال : نعم ، « صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده كما آخذ بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال ينتهى حتى يدخله الله وأباه الجنة » . الحديث كذا رواه أحمد والنسائى والبيهقى .

السابع : شفاعة أهل الموقف فى عرفة . روى البزار عن مجاهد عن ابن عمر قال : كنت جالساً مع النبى ﷺ فذكر الحديث فى فضل الحج . وفيه أن الله

يقول لهم عند وقوفهم بعرفة : أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ولمن شفعتم له . قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح .

الثامن : سكنى المدينة ، روى مسلم فى صحيحه فقال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن نمير وحدثنا ابن نمير حدثنا أبى حدثنا عثمان بن حكيم حدثنى عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى أحرم ما بين لابتى المدينة أن يقطع عضاها أو يقتل صيدها » . وقال : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدله الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » .

تنبيـــه : لا تقبل شفاعة المسلم اللَّعَّان – واللعان : من صيغ المبالغة . معناه كثير اللعن فمن اتصف بكثرة اللعن فإن الله لا يقبل له شهادة ولا شفاعة ، لما روى مسلم بسنده عن أبى الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن اللعانين لا يكونون شهداءَ ولا شفعاءَ يوم القيامة » . وأخرجه أبو داود وأحمد والحاكم فى المستدرك .

* * *

الفصل الرابع

الاستشفاع والشفاعة فى أمور الدنيا والأشياء التى تجوز فيها

يجوز للإنسان أن يستشفع بأحد من الناس إذا كان الشافع حياً ، وفيما يقدر عليه ، وأن لا يكون فيه مأثماً . قال الله تعالى : ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها** ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى هذه الآية : أى من يسعى فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك . ومن يشفع شفاعة سيئة يكن عليه وزر من ذلك الأمر الذى ترتب على سعيه ونيته ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « اشفعوا تؤجروا » .

وقد حددت السنة المطهرة وبينت الأشياء التى تجوز فيها الشفاعة والتى لا تجوز :

الأول : الإصلاح بين الرجل وامرأته أو غيرهما ، فالشفاعة فى ذلك مشروعة ومستحبة لما روى البخارى عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كأنى أنظر إليه يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته فقال النبى ﷺ لعباس : « ياعباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً فقال النبى ﷺ لو راجعتِه قالت بريرة : يارسول الله تأمرنى قال : إنما أشفع . قالت : لا حاجة لى فيه » ..

الثانى : الشفاعة فى ولاية عمل يكون المشفوع له جديراً به وحقيقاً أميناً

قويًّا على القيام بعمله على خير مايرام دليله قول الله تعالى : ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة** ﴾ الآية . وقول الرسول ﷺ : « اشفعوا تؤجروا » – ولأن فى هذا من المصالح العامة الكثيرة التى لا يعلمها إلا الله .

الثالث : الشفاعة عند ولاة الأمر لأحد من الناس فى حاجة من الحاجات الضرورية ، كعلاج فقير أو تزويجه أو إفاء دينه وهذا مستحب ودليله ماتقدم

الرابع : الشفاعة لمن ارتكب حد السرقة فيشفع فيه قبل أن يصل أمره وخبره إلى الوالى ، لما روى الدارقطنى قال : حدثنا القاضى أحمد بن كامل حدثنا أحمد بن عبد الله الفرسى حدثنا أبو نعيم النخعى حدثنا محمد بن عبيد الله العزرمى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان صفوان بن أمية بن خلف نائماً فى المسجد ، ثيابه تحت رأسه فجاء سارق فأخذها فأتى به النبى ﷺ فأقر السارق فأمر به النبى ﷺ أن يقطع فقال صفوان : أيقطع رجل من العرب فى ثوبى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أفلا كان هذا قبل أن تجىء به . ثم قال رسول الله ﷺ : اشفعوا ما لم يصل إلى الوالى فإذا وصل إلى الوالى فلا عفا الله عنه ثم أمر بقطعه من المفصل » .

* * *

الفصل الخامس

فى الأشياء التى لا تجوز فيها الشفاعة

الأول : الشفاعة فى إسقاط الحد عمن ارتكبه إذا بلغ الأمر الوالى، فالشفاعة لاتجوز ولاتقبل سواء كانت الشفاعة فى رجل أوامرأة شريف أووضيع .

وبمناسبة هذا فانى أقول : إن كثيراً من يشفع فى هذا وخاصة فى النساء ينظر أن إقامة الحد عليهن عيب عليهن وعلى أسَرِهن ، وقد يخطىء بعض القضاة فيقبل الشفاعة . وهذا والله ظلم وحرام ؛ فليتق الله المسلمون وليتركوا الشفاعة وقبولها فى الحدود . إذا وصلت إلى الحكام . ودليل ذلك ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا : ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حِبَّ رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : « أتشفع فى حد من حدود الله . ثم قام فاختطب الناس ثم قال : إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » .

الثانى : الشفاعة فى تولية أمر من أمور المسلمين والمشفوع له ليس أهلاً له أو ليس بأمين عليه أو لا يقوم بعمله على الوجه المشروع . وهذا أيضاً كثير فى المسلمين وهو محرم ولا يجوز قبول الشفاعة فيه . دليله : ﴿ **ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها** ﴾ فإذا حصل من المشفوع له تقصير أيٌّ كان نوعه فإن الشافع شريك فى الإثم عن هذا التقصير . ويدخل فى ذلك خطبة النساء للرجال إذا لم يكونوا كفؤاً فى الدين ولم يكن الرجل المخطوب له مستقيماً فى دينه . فإن الخاطب يكون آثماً إذا لم يبين للمخطوب منه العيوب فيمن خطب له .

المبحث التاسع

الفصل الأول

فى وجود الجنة والنار الآن

مما يجب الإيمان به على المسلم ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة وجود الجنة والنار ، وأنهما مخلوقتان ومهيئتان الآن ، وأن الله وعد كلتيهما بملئهما ؛ فالنار التى هى دار البوار والهوان هى لكل شخص من الإنس مكلف شرعاً متعدٍّ لحدود الله مخالف لأمره مرتكب لشيء من كبائر الذنوب فى الجملة ولم يتب فمصيره إلى النار فى الجملة وإن لم يخلد فيها - ومثل الإنس الجن على القول الصحيح - أو كان كافراً بالله أو بأحد رسله أو بأى كتاب من كتبه أو كان ممن يحكِّم غير الكتاب والسنة مستحلاً لذلك أو لم يؤمن بمحمد ﷺ . وسواء كان كفره أصلياً كعبدة الأوثان والكواكب والنيران أو كان مؤمناً بشريعة من الشرائع التى سبقت شريعة محمد ﷺ كاليهود والنصارى فيكون كافراً مخلداً فى النار لأن شريعة محمد قد نسخت الشرائع كلها التى قبلها .

* * *

الفصل الثانى

فى الأدلة على وجود الجنة والنار الآن

من ذلك قول الله تعالى عن الجنة : ﴿**أعدت للمتقين**﴾ وقوله : ﴿**أعدت للذين آمنوا بالله ورسله**﴾ وقوله عن النار : ﴿ **النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ وقوله : ﴿ **أعدت للكافرين** ﴾ .

والآيات واضحة الدلالة حيث أخبر الله عنها فى الفعل الماضى .

ومن الأدلة من السنة ما فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » . وفى الصحيحين واللفظ للبخارى عن عبد الله بن عباس قال : انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث ، وفيه فقالوا : يارسول الله رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك ثم رأيناك تكعكعت فقال : « إنى رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أرَ منظراً كاليوم قط أفظع » الحديث .

وخالفت المعتزلةُ والقدريةُ أهلَ السنة فى ذلك فأنكروا وجود الجنة والنار وقالوا : إن الله ينشئهما يوم القيامة وقالوا : إن إيجادهما الآن عبث وأنهما لو وجدتا الآن لبقيتا معطلتين مُدَداً حيث لا جزاء الآن فأخطأوا طريق الحق

وضلوا عن جادة الصواب فردوا بعضاً من النصوص القرآنية والأدلة النبوية وحرفوا بعضاً آخر منهما وهذا إما جهل أو تجاهل عن الحق فلم يعلموا أنهم جهلوا ولم يعلموا أنهم لم يعلموا وهذا أقصى ساحة الجهل وجهلهم هذا هو ما يسمى بالجهل المركب . فمن تلك النصوص القرآنية ماذا يقولون وبم يجيبون عنها ، وقد جاءت باللفظ الذى يدل على الفعل الماضى ، وبم يجيبون عن الآية التى تدل على عرض آل فرعون على النار غدواً وعشياً قبل القيامة وحينما تقوم القيامة يقول الله فيهم : ﴿ **أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ من الذى كان يحصل لهم فى قبورهم فى الدنيا وقبل البعث ، وبم يجيبون عن النص النبوى الذى أخرجه البخارى وفيه ما معناه أن الميت يفتح له باباً إما إلى الجنة وإما إلى النار . وكذا عرض الجنة والنار على النبى ﷺ يوم كسوف الشمس .

والآيات والأحاديث الثابتة الصحيحة الصريحة بوجود الجنة والنار كثيرة لا تحصى . ومن أدلتهم على إنكار وجود الجنة الآن قولهم إن الجنة لو كانت موجودة الآن لفنيت مستدلين بقول الله تعالى : ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾ ففناؤها هى وما فيها حاصل اضطرارا يوم القيامة .

والجواب عن ذلك : أن الله له التصرف التام فى ملكه فمن حين خلق الله الجنة والنار قد كتب عليهما البقاء ويكون معنى الآية والله أعلم أن كل شىء قد كتب الله عليه عدم البقاء أنه سيهلك . ومن الأشياء التى كتب الله عليها البقاء الجنة وما فيها ، والنار وما فيها ، كما بينته النصوص من القرآن والسنة .

* * *

الفصل الثالث

فى أبدية الجنة

ومما يجب على الإنسان أن يؤمن به ويصدق هو وجود الجنة والنار وكما هما موجودتان الآن فإنهما لا تفنيان ولا تبيدان ، هذا قول الجمهور خلفاً بعد سلف . فأما أبدية الجنة وبقاؤها وبقاء ما فيها من النعيم ومن فيها من الغِلْمان والحور ومن يدخلها فلا أعلم فيه خلافاً بين السلف والخلف ، ومن الأدلة على ذلك من كتاب الله قوله تعالى : ﴿ **وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاءاً غير مجذوذ** ﴾ وفى هذا الاستثناء فى الآية أقوال كثيرة أظهرها أن (ما) موصولة بمعنى من ويكون معنى الآية ، والله أعلم ، إلا من شاء الله دخوله النار بسبب ذنوبه ثم أسعده الله بدخوله الجنة بعد أن أخرج من النار . وقيل : إن الاستثناء منقطع وتكون إلاّ بمعنى لكن ، ورجح هذا القول ابن جرير .

ومن الأدلة أيضاً قول الله تعالى : ﴿ **إن هذا لرزقنا ما له من نفاد** ﴾ وقوله : ﴿ **أكلها دائم وظلها** ﴾ .

ومن الأدلة من السنة على بقاء الجنة وأبديتها قول النبى ﷺ : « من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت » وقوله ييأس بياء مثناه بعده باء موحدة من البؤس وهو الشقاء .

وورد أن الموت يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار

ويقال : ياأهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وقال أناس من المبتدعة بفناء الجنة وتزعّم هذا القول الجهم بن صفوان وشرذمة من الجهمية ، وكذلك قال به المعتزلة من فرق الضلالة ولم يوافقهم أحد من سلف الأمة ولا من خلفها فلم يقل به أحد من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من تابعى التابعين ولا أحد ممن ينتمى إلى أهل السنة والجماعة ، بل إن عامة أهل العلم سلفهم وخلفهم أنكروا عليهم ذلك واعتقدوا أن هذا القول كفر وصاحوا بهم من كل أقطار الأرض وأنحائها .

وقولهم هذا مبنى على اعتقادهم الفاسد أن كل حادث مآله إلى الفناء أو بلفظ آخر أن ما ثبت حدوثه استحال بقاؤه . وهذا قول باطل لا مرية ولا ارتياب فى بطلانه لأنهم جهلوا وتجاهلوا قدرة الله ومن قدرة الله أن هناك أشياء حادثة ولا تزال باقية ولن تزال وليس بممتنع على الله وقدرته إحداث شيء وحكمه عليه بالبقاء والأبدية فالله يتصرف فى ملكه مايشاء ويقضى فيه على ما يريد . هذا هو القول الحق وهو قول أهل السنة والجماعة ؛ والقول بفناء الجنة تكذيب لله ولرسوله ونفى لقدرته ونفى لسعادة عباده .

* * *

الفصل الرابع

فى أبدية النار

أما أبدية النار وبقاء ما فيها من أنواع العذاب والنكال وبقاء من فيها ممن يستحق البقاء فللناس فى ذلك ثمانية أقوال :

أحدها : قول كثير من أهل السنة سلفاً وخلفاً وهو أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد فى السنة ، ثم يبقيها شيئاً من الوقت ثم يفنيها لأن الله قد جعل لبقائها أمداً فهى تنتهى بأنتهائه وهذا القول قال به جمع من الصحابة والتابعين ونقل هذا القول عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم واستدلوا بقول الله تعالى : ﴿ **قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله** ﴾ وقوله : ﴿ **فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك** ﴾ . ولم يأت بعد هذين الاستثنائين فى الآيتين مثل ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة وهو قوله : ﴿ **إلا ماشاء ربك عطاءاً غير مجذوذ** ﴾ .

ومن أدلتهم قوله تعالى : ﴿ **لابثين فيها أحقابا** ﴾ والأحقاب : هى السنين المعدودة والوقت الذى له بداية ونهاية . روى عن عبد بن حميد فى تفسيره بسنده إلى عمر رضى الله عنه فى تفسيره هذه الآية أنه قال : لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج لكان لهم وقت يخرجون فيه .

ومن أدلتهم أيضاً قولهم : إن النار سبب غضبه والجنة سبب رحمته وقد ورد

فى البخارى ومسلم وأحمد أن رسول الله ﷺ قال : « لما قضى الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى ، ولفظ مسلم إن رحمتى غلبت غضبى » .

ومن الأدلة أيضاً على هذا القول أنه أخبر عن عذاب أهل النار ووصفه بأنه عذاب يوم عظيم وعذاب يوم أليم وعذاب يوم عقيم ولم يخبر عن نعيم الجنة بأنه كذلك فلم يرد ولا فى موضع واحد من القرآن أنه نعيم يوم .

ومن الأدلة أيضاً أن الله أخبر أن رحمته وسعت كل شيء فقال : ﴿ **ورحمتى وسعت كل شيء رحمة وعلما** ﴾ وهؤلاء المعذبون شيء فلابد أن تسعهم رحمة الله فلو بقوا فى عذاب دائم مستمر لانهاية له لم تسعهم رحمة الله .

ويجيب أصحاب هذا القول عن ماورد من الآيات من عدم الخروج من النار مثل قول الله تعالى ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾ واستمرار عذابها وملازمته لمن دخلها كقوله تعالى ﴿ **وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾وقوله ﴿ **إن عذابها كان غراما** ﴾ أى مدة بقائها فإنهم لايخرجون منها واستمرار تعذيب من دخلها والحكم عليه بالتخليد مدة بقائها وكذا ملازمة العذاب لأصحابها مادامت باقية هذا فيمن يستحق التخليد فيها مادامت موجودة .

أما أصحاب الكبائر ممن لم يغفر الله له فسيعذبه ثم يخرجه من النار إلى الجنة وهى باقية . ويميل شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم إلى هذا القول وقد نصره فى كتابه آحاد الأرواح . وذكر على ذلك أكثر من عشرين دليلا .

قلت وهذا القول تميل إليه النفس لأدلته الواضحة وعدم الاعتراضات عليه .

القول الثانى لبعض من أهل السنة والجماعة وهو القول بعدم فنائها وأنها لاتبيد أبدا . أدلتهم على هذا كثيرة منها قول الله تعالى ﴿ **وماهم منها بمخرجين** ﴾

وقوله : ﴿ **فلن نزيدكم إلا عذاباً** ﴾ وقوله : ﴿ **وما هم بخارجين من النار** ﴾ وقوله : ﴿ **لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط** ﴾ .

ونقدم أن أصحاب القول الاول يجيبون عن هذه الآيات بأن هذا مدة بقائها فإنهم لا يخرجون منها وكذلك زيادة عذابهم ، وكذلك عدم دخولهم الجنة مادامت باقية .

ومن أدلة أصحاب القول الثانى ماثبت وصح أنه يخرج من النار من قال لاإله إلا الله كما ثبت وصح فى أحاديث الشفاعة فى خروج العصاة من الموحدين من النار ويقولون لو كان هذا الحكم عاما للعصاة والكفار لكان الكفار بمنزلة الموحدين .

ويجيب أصحاب القول الاول أن ماثبت من الأحاديث فى خروج الموحدين العصاة من النار صحيح ومثله أحاديث الشفاعة لكن ليس خروج العصاة الموحدين من النار كخروج الكفار فى وقت واحد وإنما يخرج العصاة الموحدون من النار وهى باقية أما الكفار فلا يخرجون منها حتى تفنى ويبيدها الله . كما يستدل أصحاب القول الثانى بالآيات الصريحة التى تدل على الخلود فيها وكذلك يستدلون بالإجماع القائم على الخلود فيها ويجيب أصحاب القول الأول عن هذا أنه حق ومسلم فيه لكن نقول إن هذا كله وقت بقائها فالكفار خالدون فيها .

وهذان القولان لأهل السنة والجماعة لكن القول الأول لجماعة منهم ولعله هو الصحيح والقول الثانى للجمهور وقد نقلت أدلتها من كتب السلف وهى أدلة من الكتاب والسنة وما عدا هذين القولين من الأقوال فهى باطلة لادليل عليها لا من الكتاب ولا من السنة ولا العقل الصحيح لأن العقل الصحيح لا يخالف الدليل الصحيح .

القول الثالث : إنها لا تفنى ولا تبيد وإنما تفنى حركات من يدخلها حتى أنهم يصيرون لا يحسون بألم ولا عذاب ، وهذا القول للمعتزلة والخوارج وهو مبنى على قولهم الفاسد أن من دخل النار بذنب من الذنوب فإنه لا يخرج منها أبد الآباد وهو قول واضح البطلان لأنهم بهذا القول قد ضربوا بالأدلة القرآنية عرض الحائط معارضين لها بعقولهم السخيفة هذه الآيات منها قول الله تعالى : ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ وقوله : ﴿ **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا** ﴾ وقوله : ﴿ **فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون** ﴾ وقوله : ﴿ **لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾ وقوله : ﴿**وقال الذين فى النار لخزنة جهنم إدعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب**﴾ .

وأنكروا بذلك الأحاديث التى تفيد خروج عصاة الموحدين وهى باقية يعذب فيها الكفار إلى أن يشاء الله . ثم إن الآيات التى مرت تفيد أن من دخل النار يتألم ويتوجع من العذاب ولذا يطلبون من الخزنة بأن يدعوا الله لهم أن يخفف عنهم العذاب ولو يوما .

القول الرابع : أنهم يعذبون حتى تتحول طبائعهم إلى طبيعة النار وعندئذ يتلذذون بالبقاء فى النار لموافقتها طبائعهم . وهذا القول قال به ابن عربى إمام الإتحادية . وهو بيِّن الفساد واضح البطلان إذ أن فيه إنكار التألم من العذاب الذى أفادته الآيات السابقة ، ولأن العقل يرده وينكره فلا عاقل يقول إن من دخل النار وبقى فيها مدة أنه يتلذذ ببقائه ولو كان هذا صحيحاً فليجرب بنفسه فى نار الدنيا التى هى أقل حرارة من نار الآخرة .

القول الخامس : أن أهلها يعذبون وقتاً محدداً ثم يخرجون منها ويخلفهم قوم آخرون . وهذا القول حكاه اليهود للنبى ﷺ فأكذبهم الله بقوله : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف**

الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

ثم إن هذا القول الذى قالوا به لاأدرى ما مرادهم بالقوم الآخرين الذين يخلفون القوم الذين قبلهم أمن أجل أن النار ممتلئة بالقوم الأولين الذين أخرجوا منها فإذا عذبوا أخرجوا وحل محلهم القوم الآخرون الذين يأتون بعدهم أم أن المتأخرين الذين يخلفون من قبلهم لايستحقون العذاب . فإن كان الأول وأعنى به أنها ممتلئة فقد ورد فى الكتاب والسنة ما يرد ذلك .

أما الكتاب فقول الله تعالى : ﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** ﴾

وأما السنة فقد ورد مامعناه أن جهنم لاتزال تقول هل من مزيد حتى يضع الرب عز وجل فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قطنى قطنى . وإن كان الثانى وهو تعذيب الآخرين بعد خروج الأولين وهم لايستحقون ذلك . فهذا القول ما أشنعه وأبعده عن الصواب إذ لا يليق بأحكم الحاكمين تعذيب من لا يستحق العذاب .

القول السادس : قول من يقول إن أهل النار يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ناراً معطلة ليس فيها أحد وهذا القول سيىء ومنكر تجاه حكمة أحكم الحاكمين إذ أن الله خلق النار لحكمة عظيمة وهى تعذيب من يستحق العذاب كما أن هذا القول مخالف للكتاب والسنة وكذلك العقل الصحيح يرد ذلك فليس من المعقول أن يخلق شيئاً عبثاً فإذا أخرج من فيها وبقيت بذاتها معطلة فإن هذا هو عين العبث فتنتفى حكمة أحكم الحاكمين فى بقاء نار لا تعذيب فيها .

القول السابع : قول من يقول أن النار تفنى بنفسها لأنها حادثة وما ثبت

حدوثه استحال وامتنع بقاؤه ، وهذا قول الجهم بن صفوان ومن وافقه ولا فرق عند هؤلاء بين الجنة والنار فى الفناء . وهذا مبنى على أصلهم الفاسد من عدم بقاء ماهو حادث أو بعبارة أخرى - من امتناع بقاء ماهو حادث .

والجواب عن ذلك أن هذا تحكم على الله وقول عليه بلاعلم ، فالله له التصرف التام والتدبير المطلق فى ملكه على مايشاء ومن ذلك أن الله خلق وأوجد وأحدث أشياء كتب عليها البقاء والدوام إما أبدياً كالجنة وإما له وقت محدد كالنار وهو قول بعض أهل السنة .

وأما قولهم إنها تفنى بنفسها ، فهذا أيضا منكر وفظيع فليس لشىء التصرف بنفسه أو بغيره ، فالله هو المتصرف فى ملكه على مايشاء . كما أن هذا مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وقد مرت بك الأدلة التى تدل على عدم فناء النار فلا داعى للتكرار هنا .

القول الثامن : قول من يقول تفنى حركات أهلها ويصيرون كالجماد لايحسون بألم .

قلت : الذى يظهر لى أن هذا القول هو عين القول الثالث ، ولكنى نقلته ضمن الأقوال الثمانية التى ذكرها أهل العلم فى مؤلفاتهم وأتيت بالقول الثامن كما نقلوه محافظة على كلام أهل العلم . وإلا فإن الذى يظهر لى أنه لافرق بين القول الثامن والقول الثالث . ولذا فإنى اقتصرت على الإجابة عن السبعة الأقوال الأولى مكتفياً بالإجابة عن القول الثالث للجواب عن القول الثامن . وإننى أقول بعد سرد هذه الأقوال قد تبين لك أن الأقوال المتأخرة باطلة ، وأن القولين الأولين هما الصحيحان وأنهما قول أهل السنة والجماعة وأن القول الأول هو الذى تميل إليه النفس وتطمئن إليه لذا قدمته . وأما القول الثانى فهو قول الجمهور من أهل السنة وقد ذكرت أدلتهم والله أعلم .

المبحث العاشر

الفصل الأول

فى الإيمان بالقدر ، خيره وشره ، حلوه ومره ، وبيان معنى هذا القول

دائماً أهل السنة والجماعة عند ذكر الإيمان بالقدر يكررون هذا اللفظ مع ذكر القدر والإيمان به أعنى قولهم (خيره وشره ، حلوه ومره) ؛

والقدر هو علم الله وكتابه ومشيئته وقدرته ، وذلك خير محض ، وكمال من كل وجه ، فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه ، لافى ذاته ، ولا فى أسمائه ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله . وإنما غرض السلف وقصدهم من ذلك ما ينتج من القدر فى المبدأ عند الإنسان ، وهو الحلاوة أو المرارة وما يؤول اليه من الشر أو الخير فى المنتهى وهذا الشر المذكور جزئى إضافى فى المقضى المقدر وهو يكون شراً بالنسبة إلى المحل وخيراً بالنسبة إلى المحل الآخر ، وقد يكون المقضى المقدر خيراً من وجه وشراً من وجه آخر كإقامة الحدود ففيها إيلام وقتل لكن فيها ردع وزجر عن قربانها وهذا خير ومثل ذلك الآلام ففيها خير وهو تكفير الحسنات وشر لأن فيها آلاماً للأجساد ، ومثل ذلك شرب الدواء المر للمريض أما قضاء الرب فعدل وخير لأن فيه مصالح لا يعلمها إلا هو سبحانه .

الفصل الثانى

فى مذهب أهل السنة والجماعة فى القدر
وأنهم وسط بين طرفين متناقضين

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان الستة التى لايقوم الإيمان ولايصح إلا بها فيؤمن العبد بأن كل ماكان وما سيكون إنما يكون بقضاء الله وقدره ، كما يعتقد إعتقادا جازماً بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد سار على هذا المنهج القويم والطريق المستقيم الصحابة رضوان الله عليهم ومن اقتفى أثرهم من سلف الأمة التابعين ، حتى ظهر طوائف أهل البدع ، ومنهم الجبرية الذين يسلبون الاختيار من العبد ويقولون إنه مجبر على أفعاله من المعاصى والكفر وهذا غلو فى إثبات قدر الله وإفراط فيه فجعلوا الإنسان كالريشة فى الريح تعصف فيها كيف شاءت .

ومن أهل البدع أيضا طائفة صاروا معهم على طرفى نقيض وهم المعتزلة ، ففرَّطوا فى نفى القدر وإثبات الأفعال للإنسان فقالوا لاقَدَرَ وإنما العبد هو الذى يفعل ما يشاء . وسيأتى لهاتين الطائفتين ومذهبهما فى القدر زيادة بيان وتوضيح .

أما أهل السنة والجماعة فصاروا وسطا بين الطائفتين وأثبتوا القدر لله وأثبتوا اختيار العبد لفعله وقالوا ما يفعل العبد بعد اختياره له هو قضاء الله وقدره ، وأن الله لو لم يقدر فعله لما وجد وكان ، ولو لم يكن هو قضاء الله وقدره

ما أقدر العبد على فعله ومذهبهم هذا إثباتٌ لمشيئة الله وقدره كما ذكر الله ذلك في كتابه فأثبت بأن له مشيئة فقال تعالى : ﴿ **وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ ، كماأن مذهبهم إثبات المشيئة للعبد والاختيار ولكن ذلك لايكون إلا بعد مشيئة الله وإرادته وقدره كما أخبر عن ذلك فى عدة آيات من القرآن قال الله تعالى : ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ وقوله : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ وقوله : ﴿ **فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

* * *

الفصل الثالث

فى أن القدر سر الله فى خلقه

وأن الله ذو الحكمة البالغة فى أقداره

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة فى القدر وأنه سر فى خلقه بمعنى أنه من الأمور الغيبية التى لايطلع عليها أحد لاملك مقرب ولا نبى مرسل كما أن من عقيدتهم عدم التعمق والنظر فى هذا الأمر الغيبى لأن ذلك قد يؤدى الى الوساوس الشيطانية التى تؤدى بالإنسان إلى الكفر والضلال فلا يجوز للإنسان التعمق فى التماس الحِكَم فى مخلوقاتَ الله وأفعاله فقد تكون الحكمة ظاهرة للإنسان فى قدر الله وقد تكون غامضة وخفية وما على العبد إلا الإيمان بقضاء الله وقدره مع الاعتقاد بأن الله لم يخلق شيئاً عبثا وأنه لابد وأن يكون هناك حكمة لله هو يعلمها كما أن أهل السنة يعتقدون أنه لايعترض على الله وأفعاله بالسؤال عن مراده من خلقه أو إيجاد أى موجود . كأن يقول الإنسان لم خلق الله كذا أو لم فعل كذا قال الله تعالى : ﴿ **لايُسأل عما يَفعل وهم يُسألون** ﴾ فمن سأل عن مراد الله بقوله لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب والسنة واعترض على الرب الخالق ذى الحكمة البالغة فى أحكامه وأفعاله . ومن رد حكم الكتاب والسنة واعترض على خالق الكون والمتصرف فيه على ما يشاء فقد كفر . وإليك حكاية ذكرها الدميرى فى كتابه حياة الحيوان عند ذكره الخنفساء قال : إن رجلاً مرت به خنفساء فقال : ماذا يريد الله من خلق هذه الدويبة قبيحة المنظر كريهة الرائحة فابتلى بجرح فى رجله ، فاشتد عليه الألم ، وطاف على الكثير من

الأطباء فلم يجد لها علاجاً حتى رغب فى قطعها من شدة الألم وفى ذات يوم سمع منادياً ينادى فى السوق من يريد علاجاً فقال أهله : أندعوه لك ليعالجك فقال : أدعوه . فلما نظر إلى الجرح أمرهم بأن يحضروا له خنفساء وكان الوقت شتاء وأكثر الحشرات ومنها الخنفساء تَكِنُّ فى جحورها فلم يجدوا له خنفساء لكن بين لهم طريق المعالجة فقال : تحرق على النار ثم تدق دقاً ناعماً فتذر على الجرح ويبرأ بإذن الله فلما جاء وقت الصيف ورأوا الخنفساء تلقاها هو وأهله بالفرح والسرور فعُمِلَ على ما وصف الطبيب فبرىء بإذن الله . إنتهى بتصرف . عندئذ آمن واعتقد بأن الله لم يخلق شيئاً إلا لحكمة وأنه لم يبتل بهذا الجرح إلا لعدم إيمانه بحكمة الله فالله هو الموجد لهذا الكون وما فيه يعز ويذل يغنى ويفقر وهو المحيى والمميت . له التصرف التام فى ملكه يخلق مايشاء ويفعل ما يريد .

قال على رضى الله عنه القدر سر الله فى خلقه فلا تكشفه وكون العبد لايؤمن بالله إلا عند ظهور الحكمة له فى خلق الله وأفعاله وأحكامه فمثل هذا لايكون مؤمناً حقا وإنما يسمى منقادا ، فمن واجب العبودية لله الإيمان بالله وبأقداره وأفعاله وبكل ما أخبر الله به أمراً أو نهياً أو إخباراً ، سواء ظهرت الحكمة للعبد أم لم تظهر مع الإيمان بأن الله قد قدّر المقادير لحكمة يعلمها فالله من أسمائه الحسنى الحكيم الذى لا تخلو أفعاله ومقاديره من حكمة .

* * *

الفصل الرابع

فى مراتب الإيمان بالقدر الأربع

تقدم لنا شيء من الإيمان بالقدر وعرفنا أن كل شيء إنما هو بقضاء الله وقدره ، لكن مما تجب معرفته أن هذا الركن العظيم من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر ، لا يكون إيماناً حقاً إلا بمعرفة وعلم هذه المراتب الأربع فمن الضرورى معرفتهن وإعتقادهن فى كل شيء مما قدره الله .

المرتبة الأولى الإيمان بعلم الله

الإيمان بعلم الله ، فيجب على العبد بأن يؤمن بأن الله بكل شيء عليم ، وأن علمه محيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات ، وأنه علِم ما كان وما يكون وما لم يكن ، لو كان كيف يكون ، وأنه عليم بخلقه وما يعملون قبل خلقهم ، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم ، وعلم شقاوتهم وسعادتهم ، وعلم بمن يكون من أهل النار وبمن يكون من أهل الجنة ، علم بذلك كله دقيقه وجليله ظاهره وباطنه علانيته وسره بمبدئه ومنتهاه كل ذلك مطلع عليه وعالم به قال الله تعالى : ﴿ **لايعزب عن علمه مثقال ذرة** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن أهتدى** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم**

من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى ﴾ وقال تعالى : ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ وقال تعالى : ﴿ أليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين ﴾ وقال للملائكة : ﴿ إنى أعلم مالا تعلمون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ .

وقد بوب البخارى رحمه الله فى كتابه الصحيح - على علم الله - فقال : باب الله أعلم بما كانوا عاملين ، وقد ساق على ذلك أحاديث ، منها ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل النبى ﷺ عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين والآيات والأحاديث كثيرة فى هذا الباب ، لكن مما يجب التنبه له أن الله مع خلقه بالعلم الكامل بائن من خلقه مع اطلاعه عليهم وهو مستو على عرشه لايخفى عليه شىء من عباده وأعمالهم وما تكن صدورهم وتبديه سواء فى علم الله لايعزب عنه شىء من ذلك .

وأننا فى هذا لانقول كما يقوله الحلوليه ، وعلى رأسهم ابن عربى ، الذين يقولون : إن الله مع خلقه فى ذاته ويقولون إنه حال فى كل شىء ، تعالى الله وتقدس عن هذا القول علواً كبيراً .

وفى هذه المناسبة فإننى أنزه علماءنا ومشايخنا عن هذا القول ومن يقول إن بعضاً من مشايخنا إنه يقول بالحلول مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ ولا أكثر الا وهو معهم ﴾ فإنه تجرأ عليه بالقول ونسب إليه قولاً لم يقله وعلى هذا الذى نسب هذا القول إلى بعض العلماء المعاصرين عليه أن يتوب إلى الله ويستغفر لمن بهته فى هذا القول ويذهب إليه ويستحله . وإننى أعلم من مشايخنا وعلمائنا سلامة القلوب وطهارتها وأنه لو ذهب إليه لسامحه واستغفر الله له .

المرتبة الثانية الإيمان بكتابة المقادير الخمسة

الإيمان بأن الله قد كتب كل التقادير الخمسة وقدرها عنده فى كتاب ، وأن

مسار الكون كله علويه وسفليه ، وما كان موجوداً وما سيوجد حركاته وسكناته ، كل ذلك مقدر ومحصى ومسطر ومكتوب ومعلوم فى الكتاب الذى عنده . والله قد أخبر عن هذا الكتاب فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وكل شىء فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر** ﴾ وقال تعالى عن موسى عليه السلام لما سأله فرعون عن القرون الأولى بقوله : ﴿ **فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب** ﴾ .

فهذا الكتاب الذى ذكره الله عام وشامل ومتضمن لجميع التقادير الآتى ذكرها إن شاء الله . والعلماء ذكروا أن التقادير التى كتبها الله وقدرها هى خمسة تقادير .

التقادير الخمسة

التقدير الأول : وهو تقدير عام شامل متضمن لكل المقادير الآتية بعد هذا التقدير ، وهذا التقدير هو الذى قد سطر فى الكتاب الذى عند الله أزلاً قبل أن يخلق السموات والأرض فأول ماخلق الله القلم أمره الله بالكتابة فجرى وكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ومن الأدلة على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها** ﴾ .

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » . قال : وعرشه على الماء . وروى أبو داود عن عبادة

ابن الصامت رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب . قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » .

التقدير الثانى : من التقادير التى قدرها الله وكتبها فى الكتاب الذى عنده الآنف الذكر ، هو أخذ الميثاق الذى أخذه الله على بنى آدم حينما أخرجهم من ظهره وهو المذكور فى قول الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** ﴾ .

قال أحمد بن حنبل : حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية بن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى قال : فقال قائل يارسول الله فعلى ماذا نعمل ؟ قال : على مواقع القدر » . وحديث عبدالرحمن هذا رجاله رجال الصحيح .

التقدير الثالث : وهو أيضاً قد سبق تقديره وكتب فى الكتاب الذى عند الله وهو أمر الله الملائكة أن تكتب ما على الإنسان وهو فى بطن أمه ، وذلك بكتابة رزقه وأجله وشقائه وسعادته ، وجميع ما يلقاه فى هذه الحياة فلا يزاد عليه ولا ينقص منه ، وهو المذكور فى قول الله تعالى : ﴿ **ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا**

يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ .

وروى البخارى ومسلم بسنديهما إلى سليمان الأعمش قال سمعت زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق ، « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة فى ذلك مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » ، وهذا اللفظ لمسلم وفى هذا الباب أحاديث كثيرة .

فإن قيل : ما دام أن الله قدر المقادير ولابد من وقوعها فلا داعى للعمل من الإنسان .

أو قيل إن سبق المقادير بالشقاوة أو السعادة يقتضى ترك العمل .

أو قيل مادام أن الله قد مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه وسبق قدره وعلمه بأن هؤلاء من ذريته إلى الجنة وهؤلاء إلى النار ، كما ذكر فى التقدير الثانى فلا داعى للعمل وما الفائدة منه .

فالجواب عن ذلك بما أجاب به رسول الله ﷺ الصحابة حينما أورد بعضهم سؤالا على النبى ﷺ يشبه ما تقدم من الإشكالات الثلاثة .

ففى الصحيحين عن علىّ بن أبى طالب قال كنا فى جنازة فى بقيع الفرقد فأتانا رسول الله ﷺ ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكث بمخصرته ، ثم قال مامنكم من أحد مامن نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة أو النار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة . فقال رجل يارسول الله أفلا نتّكل على كتابنا وندع العمل فَمَنْ كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل السعادة ومَن كان من أهل

الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال رسول الله ﷺ : إعملوا فكلٌ ميسر ، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة . ثم قرأ :﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** ﴾.

وعن جابر بن عبد الله قال جاء سراقة بن مالك فقال : يارسول الله بيِّن لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ، ففيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما يستقبل ؟ قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، قال : ففيم العمل ؟ قال : اعملوا فكلٌّ ميسر ، رواه مسلم . وعن عمران بن حصين قال : قيل يارسول الله : أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار فقال : نعم قيل : ففيم يعمل العاملون ؟ فقال : كلٌّ ميسر لما خلق له – متفق عليه .

فلا يترك الإنسان العاقل الأعمال احتجاجا بما قدره الله وكتبه وعلمه ، فإن الله قد أمر بفعل الطاعات ورتب عليها الثواب ، ونهى عن المعاصى ورتب عليها العقاب ، وقدرُ الله وعلمُه لايوجب ترك الأعمال فإن العبد ينال ويحصل على ما قدره الله له أو عليه بالسبب الذى أقدره الله على فعله وهيأه له . والله قد امتن على الإنسان بالعقل وكلف العقلاء من الخلق بالعبادات والتكاليف الشرعية ، وأبان لهم الطرق الموصلة إلى الخير والطرق الموصلة إلى ضده . ولو أن إنسانا رغب بإنجاب الولد لأمرناه بفعل السبب وهو الزواج فكذلك ، الجنة لاتحصل إلا بسبب رحمة الله . ثم بسبب الأعمال الصالحة .

وكذلك نقول لمن رغب فى أن يكون عالماً نقول له عليك بعمل الأسباب،وهى طلب العلم ، ومجالسة العلماء ، وقراءة الكتب فلو أن راغبَ إنجابِ الولد والذى يرغب أن يكون عالما رفضا فعل الأسباب لحكمنا عليهما بالجنون .

ومثل ذلك كثير فى الحياة ، فلابد للإنسان من فعل الأسباب والاجتهاد فيها ليدرك مراده بتوفيق من الله قال رسول الله ﷺ : « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الحديث » . وقال الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس

التقدير الرابع الحولى : وهو ما يكون فى ليلة القدر من كل سنة يقدر فيها كل ما يكون فى السنة إلى مثلها ، وهذا التقدير هو المعنى بقول الله تعالى :﴿ **حم والكتاب المبين إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾

قال إمام أهل التفسير مجاهد : ليلة القدر ليلة الحكم . وقال ابن عباس : يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال : يحج فلان ولا يحج فلان .

التقدير الخامس : التقدير اليومى ، والمراد به سوق المقادير التى قدرت على العبد وغيره إلى مواقيتها ومواقعها فتنفذ ، وهذا التقدير هو المذكور فى قول الله تعالى : ﴿ **يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن** ﴾ روى ابن جرير رحمه الله عن منيب بن عبد الله بن منيب الأسدى عن أبيه قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **كل يوم هو فى شأن** ﴾ فقلنا : يارسول الله وماذاك الشأن ؟ قال : أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويرفع قوماً ويضع آخرين .

وكل التقادير الأربعة الأخيرة مستمدة من التقدير الأول المكتوب عند الله فى الكتاب الذى عنده .

المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر

الإيمان بمشيئة الله النافذة

فيجب على العبد بأن يؤمن بأن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وأن

مشيئته نافذة وإرادته كائنة : فإرادة الله الكونية ومشيئته صفتان ثابتتان له ، وهما مترادفتان ولاتستلزمان الأمر بالمنهى عنه ولا الرضا به ولا المحبة له لأن الإرادة تنقسم إلى قسمين : إرادة كونية قدرية ، وإرادة دينية شرعية ، فالإرادة الكونية القدرية هى المتعلقة بالخلق وأعمالهم وهى المشيئة ولاتستلزم الأمر بالشيء ، وأما الإرادة الدينية فهى المستلزمة للفعل من العبد المتعلقة بأمره بأن يفعل الإنسان كذا وذلك كأمره بفعل الطاعات وهذه الإرادة تقتضى رضا الله ومحبته للفعل المأمور به . وقالت المعتزلة : يمتنع على الله إرادة الشرور والمعاصى ، وقالوا إنه يريد مالا يقع ويقع مالا يريد بمعنى أنهم ينفون مشيئة الله وإرادته أو بمعنى أنهم يقولون : إن مشيئة العبد غلبت مشيئة الله ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

أما أهل السنة والجماعة فيقولون :إن كل ما يقع فى الكون إنما هو بإرادة الله ومشيئته ، فإن كان مأمورا به فتلك إرادة كونية دينية ، وإن كان ما وقع منهياً عنه شرعا فإرادة كونية قدرية فما يفعله العباد فهو بإرادة الله ومشيئته . وليس معنى هذا إن العبد مسيَّر ومجبر وليس له مشيئة وإرادة على فعله من طاعة أو معصية ، فالله لما خلق الخلق من الجن والإنس وأراد تكليفهم بالتكاليف الشرعية أوجد فيهم عقولاً تدرك ما رتب الله على هذه التكاليف من الثواب والعقاب وقد جعل إليهم الاختيار بوجود هذه العقول ورتب على هذا الاختيار للعمل الثواب والعقاب . وهذا من حكمة الله وعدله إذ لو أجبرهم على فعل الشيء المذموم أو ترك الواجب شرعاً ، ثم عاقبهم لكان ذلك ظلماً والله قد نزه نفسه عن الظلم وحرَّمه على نفسه .

وملخص هذه المرتبة أن أهل السنة يؤمنون بأن الله له مشيئته وإرادته ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن مشيئة الله للشيء أو لعدمه إنما ذلك لحكمة هو بها أعلم ، كما أنهم يؤمنون بأن العبد له مشيئته وله إختيار ، وأنه يسير على

وفق ما قدره الله عليه لكنهم يقولون إن مشيئة العبد لا تأتى إلا بعد مشيئة الله، بدليل قول الله تعالى :﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما** ﴾ وقوله : ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ .

ويقول أهل السنة إن العبد مسيَّر بقضاء الله وقدره ومخير فى أفعاله وأعماله لأن الله وهبه هذا العقل الذى يميز به الغث والسمين والخير والشر وما يترتب عليه ثوابا أو عقابا . فالعقل هذا هو الأساس للتكليف ، ولذلك ورد فى الحديث الصحيح رُفِعَ القلم عن ثلاثة : الصغير حتى يبلغ ، والنائم حتى يستيقظ ، والمجنون حتى يفيق ، وإذا أمعنت النظر فى هؤلاء الثلاثة وجدت أن عدم تكليفهم هو عدم العقل أو كماله .

المرتبة الرابعة من مراتب الايمان بالقدر

هى أن يؤمن الإنسان بأن الله خالقٌ لكل شيء فهو خالق كل عامل وعمله ومتحركاً وحركته وساكناً وسكونه قال الله تعالى : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ وقوله : ﴿ **قل الله خالق كل شيء** ﴾ فالله سبحانه هو الذى خلق القوة فى الإنسان ثم أقدره على العمل إذ لولا الله سبحانه لم يستطع الإنسان أن يعمل أى عمل .

فإن قيل لماذا أقدر الله العبد على فعل المعصية .

فالجواب من وجهين :

الوجه الأول : أن الله لما قدر المقادير وهب للإنسان عقلا يميز به الحق من الباطل ، والطاعة التى يترتب عليها الثواب ، والمعصية التى يترتب عليها العقاب . ووهبه قدرة وقوة على الفعل وعدمه فهو بعقله اختار المعصية ،

وبقدرته الموهوبة فعلها ، كما أن الله لم يسلب العبد القوة والقدرة على عدم فعل المعصية ، ولم يسلبه الاختيار وهذا من العدل فى عباد الله إذ لو أن الله سلبهم الاختيار ثم عاقبهم على فعل المعصية لكان ذلك جورا وظلما . والله قد نزه نفسه عن ذلك .

الوجه الثانى : أن الله أقدر العبد على فعل المعصية مع كراهيته لها من أجل أن تتجلى آثار أسمائه الحسنى ، إذا غفر للعبد إثم معصيته التى أَلَّمَّ بها مثل : إسم الغفور والرحيم والمنان وغير ذلك من أسمائه .

تنبيه : ليس معنى قولى أن الله خلق كل شيء فهو خالق كل عامل وعمله ومتحركاً وحركته الخ – أن أفعال العباد يوصف بها الله وإنما هى من آثار خلقه فليست مشيئة العبد وإرادته وفعله هى عين مشيئة الله وإرادته وفعله ، كما أنه ليس هو إياه ، تعالى الله عن ذلك بل أن أفعال العباد المخلوقة لله قائمة بهم لائقة بهم مضافة إليه حقيقة وهى من آثار أفعال الله القائمة به اللائقة به المضافة إليه حقيقة . فالله فاعل والعبد منفعل على الحقيقة ؛ ولهذا أضاف الله سبحانه كل فعل إلى من قام به فى هذه الآية فقال تعالى : ﴿ **من يهد الله فهو المهتد** ﴾ فأضاف الهداية إلى نفسه، وأضاف الاهتداء إلى العبد . والمقصود أن هناك فرقاً بين الخلق والعمل ، فالخلق لله والعمل للإنسان ؛ فالله سبحانه هو الذى خلق الإنسان وخلق عمله وفعله . ويوضح ذلك قول الله تعالى : ﴿ **هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾ فأضاف الله الخلق إلى نفسه ، وأضاف الكفر والإيمان وهو الفعل والعمل إلى خلقه. وماذلك إلا لأنهم يعملون باختيارهم بسبب مامنحهم الله من العقل ووهبه لهم والله سبحانه هو الذى أقدرهم ومكّنهم من الفعل . فهو الخالق حقيقة لأفعالهم وأعمالهم، كما أخبر الله عن ذلك بقوله : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ .

ويوضح ذلك أكثر إذا أن الإنسان أبعد الأذى عن نفسه ، فلا يقال أبعد الله الأذى وإنما يقال ابعاد الإنسان الأذى عن نفسه هو من خلق الله وإيجاده .

الفصل الخامس

سبب انقسام الناس فى القَدَر
هو عدم التفريق بين الفعل والانفعال

انقسم الناس فى القَدَر إلى ثلاثة : وسط وإفراط وتفريط . وتقدم الإشارة إلى هذا باختصار ، وفى هذا الفصل أحب أن أبسط القول أكثر .

القسم الأول : أهل السنة والجماعة ، وهم الوسط فى القَدَر ، بين نفيه والغلو فى إثباته . فهم يثبتون القدر ، ويؤمنون به خيره وشره ، حلوه ومره ؛ لأنهم يثبتون المشيئة لله والقدرة والإرادة ، كما أنهم يثبتون للعبد ذلك ، إلا أنهم يقولون : إن مشيئة العبد وإرادته لا تأتيان إلا بعد مشيئة الله وإرادته ، كما أنهم يؤمنون بأن الله هو الخالق لأفعال العباد ، وأن الله لا يتصف ولا يوصف بها ، كما تقدم . ويقولون : إن الله فاعل والعبد منفعل . فإذا صلى العبد ركعتين فلا يقال صلى الله ركعتين ، وإنما يقال عَمِل وفَعَل العبدُ الصلاة ؛ فالفعل والعمل للإنسان ، وعمله وفعله هو من خلق الله . أى قدرته على الفعل والعمل من خلق الله .

القسم الثانى : قوم نفوا القدر وفرَّطوا فيه ويسمون القَدَرية النفاة ، وذلك بسبب عدم تفريقهم بين الفعل والانفعال من حيث النسبة ، فهم ينسبون الفعل والانفعال ويضيفونهما إلى المخلوق ويقولون : إن مشيئة العبد وإرادته وقدرته تغلبت على مشيئة الله وإرادته وقدرته ، تعالى الله عن ذلك . وأول من أحدث هذا المذهب الباطل معبد الجهنى فى آخر عصر الصحابة ، فأنكر عليه الصحابة

والتابعون هذا المعتقد ، وكفروا منتحله ، ونفوا عنه الإيمان . ثم توارث هذا المعتقد الفاسد رؤساء المعتزلة ، كواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، ومن سار على هذا المنهج . وهذا القسم انقسم إلى فرقتين :

فرقة بالغت فى هذا المذهب حتى أنكرت علم الله وكتابة المقادير . وجعلت العباد هم الخالقين لأفعالهم وقالت : إن أفعال العباد ليست مقدورة لله ولا مخلوقة له لا خيرها ولا شرها . ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة ، ويكفى هذا المذهب سذاجة أنهم يقولون : إنه يقع فى ملك الله ما لا يريده الله ويريد الله وقوع الشىء فلا يقع ، وأن إرادة المخلوق ومشيئته تغلبت على مشيئة الله وإرادته .

وفرقة أخرى قالت : الخير من أفعالهم مخلوق لله ومقدرو له . وأما الشر ، فليس عندهم مخلوقاً لله ولا مقدوراً منهم ، ينكرون الخالقية لله والقدرة على كل شىء وهم بذلك أثبتوا نصف القدر ونفوا النصف الآخر . وأثبتوا خالقين خالقاً للشر وخالقاً للخير كما يزعمون ، فهم مجوسٌ وثنويةٌ بل أعظم من الثنوية لأنهم أثبتوا أكثر من خالِقَينِ فجعلوا لكل فعل خالقاً بل جعلوا المخلوقين كلهم خالقينَ ولازم قولهم هذا هو إخراج أفعال العباد عن خلق الله عز وجل ، وأنها ليست داخلة ضمن ما تضمنت هذه الآية : ﴿ **قل الله خالق كل شىء** ﴾ التى تدل على ربوبية الله وأنه هو الخالق لكل شىء وهذه الفرقة موافقة للفرقة الأولى على أن الله يقع فى ملكه مالا يريد ويريد وقوع شىء ولا يقع . وهذا أيضاً نفى لتصرف الله فى ملكه ، كما يعتقدون أنهم أغنياء عن الله ، فلا يستعينون على طاعته ولا ترك معصيته ، ولا يعوذون به من الشرور ، ولا يستهدونه الصراط المستقيم . ويستنكرون مثل قول الله تعالى : ﴿ **من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** ﴾ .

ومن أسباب ضلال القَدَرية النفاة للقدر ، هو أنهم يقولون : لا يمكن أن تجتمع إرادة الله للشيء وبغضه له . وهذا القول مبنى على عدم التفريق بين الإرادة الكونية القدرية وبين الإرادة الكونية الدينية . وما علموا أن المراد لله نوعان مراد لنفسه ، ومراد لغيره ، فالمراد لنفسه مطلوب ومحبوب لذاته لما فيه من الخير فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد . أما المراد لغيره فلا يكون فى نفسه وذاته مقصوداً للمريد وليس فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته وإن كان وسيلة وطريقاً موصلاً إلى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته مراد له حيث أنه يؤدى ويوصل ويفضى إلى مراده المقصود فيجتمع فيه الأمران بغضه وإرادته مثل المعاصى ، فالله يريدها إرادة كونية قدرية وهى غير مقصودة فى ذاتها لأن الله يكرهها ويبغضها فى ذاتها ولكنها تؤدى إلى شيء مقصود لله مراد له فيجتمع فى هذا المراد المقصود الأمران : البغض له ، والإرادة له .

ولتوضيح أكثر أقول : إن المراد لغيره مثل المعاصى فهى مرادة لله إرادة كونية قدرية وليست المعاصى بذاتها هى المرادة حقيقة ؛ وإنما هى مرادة لغيرها ، كالاستغفار والرجوع إلى الله وإظهار الفقر له وظهور آثار أسماء الله وصفاته ، فالمعاصى من حيث هى مكروهه لله مبغضة له لكنها مرادة لغيرها إرادة كونية قدرية . أما ذلك الغير الذى أراد الله من أجله المعاصى هو الاستغفار واللجوء إلى الله . فهذا شيء محبوب لله ، ومراد مقصود فى ذاته ؛ ولذلك شواهد من الحياة . فهذا الدواء الكريه شديد الكراهية يشربه المريض وهو يبغضه ويكرهه وهو لا يريده بعينه ، وإنما غرضه الاستشفاء ، وهو المقصود . فإذا علم المريض أن فيه شفاءه تناوله . فإذاً هو مريد لتناوله ، وإن كان يكرهه . ومثل ذلك قطع العضو المتآكل ، فإذا علم المريض أن فى قطعه شفاءاً له وعدم سريان للمرض وبقاءاً لحياته ، قطع هذا العضو بإرادته . وإن كان يكره ذلك حيث أن فيه فِقداناً لذلك

العضو . وهذا التفريق فى المراد هو قول أهل السنة والجماعة فيقولون : إنه لا يمتنع أن يكره الله المعاصى ويبغضها فى ذاتها ولا ينافى ذلك إرادتها لغيرها ، وكون ذلك سبباً لأمر هو أحب إلى الله من عدمه .

ومما يحكى فى هذا الصَّدَد أن القاضى عبد الجبار الهمذانى المعتزلى دخل على الصاحب بن عباد ، وكان معتزلياً أيضاً ؛ وكان عنده أبو إسحاق الاسفراييني من أئمة أهل السنة ، ومحققى الأشاعرة فقال عبد الجبار : سبحان من تنزه عن الفحشاء . فقال أبو إسحاق على الفور ، وكان ذكياً : سبحان من لا يقع فى ملكه إلا ما شاء . فعندئذ فهم عبد الجبار أن أبا إسحاق فهم مراده . فقال عبد الجبار : أيريد ربنا أن يعصى ، فقال أبو إسحاق : أيعصى ربنا قهراً . فقال عبد الجبار : أرأيت إن منعنى الهدى وقضى علىّ بالردَّى أحسن أم أساء فقال له أبو إسحاق : إن كان منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فالله يختص برحمته من يشاء . فانصرف من كان فى هذا المجلس من الحاضرين وهم يقولون : والله ليس بعد هذا جواب . وليس عليه اعتراض وقام المعتزلى محجوجاً ، ولم يستطع الكلام بعد كلام أبى إسحاق رحمه الله تعالى .

* * *

الفصل السادس

فيما ورد عن السلف

فى ذم القدرية النفاة وذم مذهبهم

عرفنا مما تقدم أن أول من قال بنفى القَدَر هو معبد الجهنى ، ثم توارث هذا المعتقد السيء والفاسد رؤساء المعتزلة ، كواصل بن عطاء . وعمرو بن عبيد ومن سار على نهجهما . وقد قال أهل العلم أقوالاً كثيرة فى ذمهما وبطلان مذهبهما وفساده وسذاجته .

فأما عطاء فقال أهل العلم فيه : إنه يَتوقف فى عدالة أهل الجمل ويقول فيهم : إن إحدى الطائفتين فاسقة . ويقول أيضاً : لو شهدت عندى عائشة وعلى وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم .

وأما عمرو بن عبيد بن ثوبان ويقال ابن كيسان فقال فيه ابن كثير : هو شيخ القدرية والمعتزلة . وقال الإمام أحمد فيه : ليس بأهل بأن يحدَّث عنه . وقال على بن المدينى ويحيى بن معين : ليس بشيء . وزاد ابن معين : وكان رجلَ سوء ، وكان من الدهرية الذين يقولون : إنما الناس مثل الزرع . وقال الفلاس : متروكٌ وصاحبُ بدعة . وقال شعبة عن يونس بن عبيد : كان عمرو بن عبيد يكذب فى الحديث ، وقد ضعفه علماء كثيرون من أئمة الجرح والتعديل . ومما نقل عنه أنه لما روى له حديث ابن مسعود وهو قول الرسول ﷺ : « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ... الخ » قال : لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته . ولو سمعته من زيد بن وهب لما أحببته ولو سمعته من

ابن مسعود لما قبلته . ولو سمعته من رسول الله ﷺ لرددته ولو سمعت الله يقول هذا القول . لقلت له : ما على هذا أخذت علينا الميثاق . وهذا من أقبح الكفر فلعنة الله عليه ، إن كان قد قال هذه المقالة ومات عليها . وإن كانت مكذوبة عليه فعلى من كذب عليه هذه المقالة ما يستحقه من الله .

ثم إن القدرية تناقلوا هذه البدعة المكفرة . وهى القول بنفي القدر . وصاروا فيها على درجات ، فمنهم من نفى علم الله كلية كأوليهم ، ومنهم من نفى علم الله بالجزئيات . وتقدم ذلك .

القسم الثالث من الفصل الخامس

الجبرية

الجبرية : هم الذين أفرطوا وغلوا فى إثبات القدر غلواً عظيماً فهم ، يقولون : إن العبد مجبر ومقسور ومقهور على أفعاله وأعماله ، فليس له إرادة ولا مشيئة ، فهو كالريشة فى الهواء يحركها ويعلو بها ويسفل بها حيث شاء وكيف أراد . فهم بهذا القول يضيفون الفعل والانفعال إلى الله وحقيقة قولهم هذا ، أن الله قد كلف عباده بما لا يطيقون وأن قول الله تعالى : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ وقوله : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها** ﴾ وقوله : ﴿ **ما جعل الله عليكم فى الدين من حرج** ﴾ وما ماثلها من الآيات لا معنى لها ، وأن تعذيب الله على المعاصى والكفر من العبد تعذيب على فعله هو لا على فعل العبد ، فأقاموا على قولهم هذا الحجة للعباد على الله ونسبوا على قولهم هذا الظلم إلى الله إذا عذَّب عباده ، ونفوا العدل عنه ، وطعنوا بما شرعه الله فلا قيام للجهاد حينما يجب ، ولا معنى لإقامة الحدود حينما يعتدى المعتدون . ولا معنى لترتيب الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ، ولا معنى لإرسال

الرسل ولا لإنزال الكتب حتى إن قولهم معناه أن أبليس وفرعون وهامان وقارون وسائر الأمم المكذبة لرسلهم تعذيبهم وعقابهم بالخسف والصيحة والريح والإغراق ؛ إنما هو تعذيب وعقاب على فعله لا على أفعالهم بل إنهم قالوا : إنهم مطيعون لله منفذون لما أراده لأن الله أراد منهم ذلك فهم منفذون لإرادته ، والله هو الذى جبرهم ، وقضى عليهم وقدر معصيته . وهذا هو إثبات القدر عند هذه الطائفة الإبليسية .

* * *

الفصل السابع

فى ذكر ما يوضح مذهبهم من بعض أقوالهم

لهذه الطائفة الجبرية أقوال كثيرة تبيِّن وقاحة مذهبهم وسذاجة وقبح منهجهم فمن ذلك قول بعضهم ويعنى به الله .

ألقاه مكتوفاً وقال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

وقال بعضهم :

دعانى وسد الباب عنى فهل إلى   دخولى سبيل بينوالى قَضِيتى

وقال بعضهم : العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسر الله فى القدر .

وقرأ قارىء بحضرة بعض من هؤلاء الجبرية قول الله تعالى : ﴿ **قال ياإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدى** ﴾ فقال معتذراً لإبليس ومحتجاً له على الله قال : هو والله منعه . ولو قال إبليس ذلك لكان صادقاً ، لكنه أخطأ الحجة ولو كنتُ حاضراً لحاججت عنه . ولقلت : أنت الذى منعته من السجود أى أنك أجبرته على عدمه بقدرك وإرادتك .

ومر رجل آخر من هؤلاء . الجبرية بلص مقطوع اليد فقال : مسكين مظلوم أجبره ربه على السرقة حتى قطعت يده .

وقيل لبعضهم : أترى أن الله كلف عباده بما لا يطيقون ثم يعذبهم . فقال : والله لقد فعل . وكلامهم كثير فى هذا الموضوع الذى ينزه المسلم فاه عن التلفظ به .

الفصل الثامن

عودٌ إلى القسم الأول من الفصل الخامس

هذا القسم الأول من الأقسام الثلاثة التى مرت بنا ، هم أهل السنة والجماعة . وتقدم لنا أنهم يؤمنون بالقَدَر خيره وشره ، حلوه ومره . وأنهم يضيفون الفعل إلى الله والانفعال إلى العبد ، ويؤمنون بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ويؤمنون بأنه لا يقع فى ملكه إلا ما يريد ، وأنه إذا أراد وقوع شيء وقع بقوله كن فيكون على ما يريد وعلى ما يشأ ، فالله عندهم له إرادة ومشيئة ، وأن العبد كذلك له إرادة ومشيئة ؛ لكن مشيئة العبد وإرادته لا تأتيان إلا بعد إرادة الله ومشيئته ، كما يعتقدون بأنه يريد ما لا يحبه ويرضاه فلا يخرج شيء عن إرادته . ويقولون : إن الإرادة تنقسم إلى قسمين : إرادة كونية قدرية ، وإرادة شرعية دينية ويعتقدون أن العبد مخيَّر لا مُجبر على أفعاله ، وذلك لما وهبه الله من العقل وجعله مناطاً لتكليفه .ويعتقدون أيضاً أنه سائر فى أفعاله وأعماله على وفق ما قدره الله عليه .

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة فى القَدَر ، ويعتقدون أن العبد باختياره للأعمال لا يخرج عن أقدار الله وإرادته ومشيئته . قال الله تعالى : ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ .

* * *

الفصل التاسع

المكلفون بين الهداية والإضلال

إن البحث عن الهداية والإضلال . وعن المكلف بينهما لا يقل أهمية مما سبق من البحث عن واقع المكلف من حيث هو مسير يعنى مُجبَراً أو مُخيّراً ، وذلك لما يلحق بإساءة الفهم أو عدم الإدراك بهذا الشأن .

وتقدم لنا أن العبد مُخَيَّر لما منحه الله من العقل وهو مُسَيَّر لا يخرج عن قضاء الله وقدره ؛ والحق أن كثيراً من الناس يخطئون الفهم للهداية ولا يدركون المعنى الصحيح لها . ومن أجل أن تفهم الهداية وتدرك المعنى لها ، يجب أن تعرف الفرق بين الهداية والاهتداء ؛ فالهداية فى نظر بعض الناس ممن لا يؤمنون بالقَدَر ، هو عدم التفريق بينها وبين الاهتداء ؛ ولذا يجعل تبعة ضلاله وفسوقه وفجوره وكفره ملْقىً ذلك كله على الله وعلى ما قدره الله ، حتى ليوهم نفسه بأنه ناجٍ من عذاب وإن كان من أعظم الناس كفراً . أو أن الله لو عاقبه على معاصيه يكون ظالماً . وتقدم لنا أن هذا هو قول الجبرية الإبليسية .

ولكى نميز ونعرف الفرق بين الهداية والاهتداء يجدر بنا أن ننقل ما ذكره ابن القيم فى كتابه شفاء العليل عن الهداية ، فقد ذكر لها بحثاً خاصاً . وبنقله وقراءته والتمعن فيه يظهر الفرق بين الهداية والاهتداء ، فقال رحمه الله : أما مراتب الهدى – أى الهداية – فأربع :

أحدها : الهدى العام ، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها

وهذا أعم مراتبه :

الثانية : الهدى ، بمعنى البيان والإرشاد والإيضاح والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد فى معاده ، وهذا خاص بالمكلفين . وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى وأعم من الثالثة .

المرتبة الثالثة : هى هداية التوفيق ، وهى المستلزمة للإهتداء .

قلت : وهذه الهداية خاصة لله ، وهى أيضاً تستلزم الجد والعمل من العبد ، واتباع الطرق الموصلة إلى الإهتداء التى أرشد إليها كتاب ربنا وسنة نبينا عندئذ إذا قام الإنسان بما أرشد إليه الكتاب والسنة فإن الله يوفقه للهداية فيكون العبد مهتدياً موفقاً .

المرتبة الرابعة : الهداية يوم المعاد إما لطريق الجنة وإما لطريق النار .

وإليك أدلة كل هداية :

فالهداية العامة دليلها قول الله تعالى : ﴿ **قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** ﴾ ؛ فالهداية هنا عامة لكل مخلوق حيث أن الله أرشده إلى ما يصلح شأنه فى هذه الحياة وهذه الهداية هى الهداية الأولى .

ودليل الهداية التى بمعنى البيان والإرشاد والتوضيح والدلالة قول الله تعالى لنبيه : ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم** ﴾ أى تدل وتوضح وتبين وترشد إلى صراط مستقيم وهذه الهداية هى الهداية الثانية .

أما الهداية الثالثة فهى هداية التوفيق ، وهى تستلزم أمرين : أحدهما – فعل الرب وهو الهدى . والثانى – فعل العبد وهو الاهتداء فالله سبحانه هاد والعبد مهتد قال الله سبحانه : ﴿ **من يهده الله فهو المهتدى** ﴾ فمن لم يحصل له من الله الهداية لم يحصل له الاهتداء .

وللجبرية أن يقولوا مادام أن التوفيق بيد الله فإذا لم يوفقه لم يهده فإن العاصى والفاسق والكافر قد منعهم الله من توفيقه فيكون العبد مجبراً .

فالجواب أن يقال إن الله قد امتن على المكلفين بالعقل الذى يدركون به الأعمال التى رتب على فعلها الثواب والعقاب ، وأمدهم بالقوة الفعلية . فالمختار لنفسه سبيل الغى لا ينجو من عقاب الله ، والمختار لنفسه سبيل الرشاد ينجو من عقابه .

ويجاب بجواب آخر إن التوفيق إرادة الله من نفسه بأن يجعل عبده يختار العمل الذى يصلحه فيقدر عبده على فعل الأعمال التى ترضيه ويحببها إليه ويبغض إلى عبده الأعمال التى تسخطه هذا مجرد فعل من العبد ولكن الله تفضل عليه بذلك قال الله تعالى : ﴿ **ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيَّنه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمه والله عليم حكيم** ﴾ .

وهذا الجواب الأخير هو ما تضمنه جواب أبى إسحاق للمعتزلى ، حينما سأله بقوله : أرأيت إن منعنى الهدى وقضى علىَّ بالردى أحسن أم أساء ؟

فأجابه بقوله : إن كان منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فالله يختص برحمته من يشاء . ودليل هذه الهداية التى هى هداية التوفيق قول الله تعالى : ﴿ **من يهده الله فهو المهتد** ﴾ وقوله : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ وقوله : ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم** ﴾ .

ودليل الهداية إلى أحد الطريقين : طريق الجنة أو طريق النار قول الله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم** ﴾ وقوله : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم** ﴾ وهذه الهداية هى

الغاية من هداية البيان والإرشاد والتعليم وهذه هى الهداية الرابعة .

فـائـدة

قال ابن القيم رحمه الله فى فوائدة : قال الله تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ علق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا . فمن جاهد هذه الأربعة فى الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ، ومن ترك شيئاً منها فإنه من الهدى بحسب ما ترك من الجهاد .

قلت : والجهاد فى الله هو الاعتصام به من هذه الأربع التى ذكرها الشيخ ابن القيم ، وهو المراد بقول الله تعالى : ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هُدِي إلى صراط مستقيم** ﴾ .

* * *

الفصل العاشر

الأرزاق والآجال بيد الله وقدره

لقد بيَّن الله تعالى فى كتابه العزيز بأن الرزق والأجل بيده سبحانه فلا دخل لأحد فيها . وبما أن هذا الأمر له تعلق بالقضاء والقَدَر ؛ فقد رأيت أن أوضح هذا المقام بعض التوضيح فأقول :

لقد أثبتت الآيات الكريمات بالدلالة القطعية التى لا تدع مجالاً للشك لمن يؤمن بالله وكتابه أن يداخله أدنى ريب أو شك فى أن الله تعالى هو الرزاق المحيى المميت ؛ فالله سبحانه خلق الخلق وتكفَّل بما يحفظ عليهم حياتهم وذلك برزقهم وتذليل الصعوبات وتيسيرها للحصول عليه ولم يكل ذلك إلى أحد سواه . ومسألة الرزق وارتباطها بالقَدَر هى من ناحية أن الله سبحانه قدر فى علمه الأزلى فلاناً سيرزق كذا عن طريق كذا فيكون الرزق قد كتبه الله وقدره ، وهو سبحانه إلى جانب ذلك هو الرزاق الذى سهل الطريق والسبيل إلى الحصول على الرزق المقدر والمكتوب له . وهذا ما تدل عليه الآيات الكريمات قال الله تعالى : ﴿ **وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **لا نسألك رزق نحن نرزقك** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وكلوا مما رزقكم الله** ﴾ وقال : ﴿ **وكلوا من رزقه** ﴾ وقال : ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها** ﴾ وقال : ﴿ **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ .

والآيات فى هذا كثيرة ودلالتها قطعية بأن الله هو الرزاق لجميع خلقه ولا دخل لأحد فى ذلك قطعاً . ولقائل أن يقول مادام أن الله هو الرزاق ، وأنه هو

المقدر للرزق وأنه لابد أن ما قدره سيكون ويقع ويحصل فلا داعى للبحث عن الرزق والحصول عليه والسعى له .

والجواب عن ذلك أن يقال : إن الله سبحانه أمر بالسعى والمشى ، والضرب فى الأرض لتحصيل الرزق الذى قدره ، وأن السعى والمشى والسفر والتعاطى مثلاً بالتجارة والزراعة ليس هذا هو الرزق نفسه المقدور وإنما هذه أحوال من الحالات التى أمر الله بها وأرشد عباده إليها للحصول على الرزق الذى قدره الله قال الله تعالى : ﴿ **فإذا قضيتم الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾ .

فإذا عرفت أن الله أمر بالانتشار فى الأرض ابتغاءاً للرزق . والانتشار : التفرق فى أنحاء الأرض ، فالبعض يتاجر ، وآخر يحرث فى الأرض ، وآخرون يمتهنون مهناً أخرى .

وعرفت أيضاً فى الآية الثانية أن الله أمر بالمشى فى أطراف الأرض ، كل ذلك من أجل الحصول على الرزق الذى كتبه الله فإذا أن الإنسان تحصل على ما كتبه الله له من الرزق بعد أن سعى وجدَّ فى سعيه عِلِم عِلْم اليقين وأدرك أن الله هو الرزاق لأنه هو الذى وجَّهه أولاً إلى السعى . الثانى امتن عليه بالعقل والقوة الجسمانية . والثالث أن الله ذلل الصعوبات التى أمامه وسهلها لديه فنال ما كتبه الله له من الرزق .

وعلى هذا يتبين لك أنه ليس معنى الإيمان بأن الله هو الرزاق أنه هو الذى يباشر توصيل الرزق إلى الشخص ، كما يتوهمه الذين لا يفهمون الإسلام ويطعنون فيه ويعيبونه ويعيبون أهله ، ويقولون : إن الإسلام دين يدعو إلى الخلود والكسل والخمول . فلا يطلب الإسلام الكد والبحث عن الرزق ، وهم بهذا الفهم مخطئون ، وبهذا الادعاء كذابون ضالون . فإن الإسلام دين يدعو إلى

العمل والحركة والسعى والضرب فى الأرض والإنتشار والمشى فيها . وقد أمر الله بذلك فى كتابه العزيز ، كما أفادته الآيات السابقات ، وقد جاءت سنة المصطفى ﷺ بذلك . فقد ورد أنه يتعوذ من العجز والكسل وورد عنه أنه قال ﷺ : « استعن بالله ولا تعجزن » . كل ذلك من أجل الحصول على ما قدر للعبد من الرزق ، والعمل والحركة والسعى وحرث الأرض والتعاطى بالتجارة . وليست هذه أسباباً وإنما هى أحوال ؛ وذلك لأن السبب ينتج عنه المسبَّب حتماً ولا يتخلف عنه ، كالسكين مثلاً سبب للقطع ، وكالنار سبب للإحراق . فكل من القطع والإحراق لا يتخلفان عن السكين والنار ، ولا يحصلان إلا بهما وهذا هو السبب . ولو كانت هذه الأحوال أسباباً للرزق ما تخلف عنها أبداً ، ولكن إذا نظرنا وتتبعنا هذه الأحوال وجدنا أن الرزق قد يتخلف ولا يوجد معها أو بعدها فهذا التاجر تراه يسافر إلى بلاد بعيدة طلباً للرزق فتراه يخسر ولا يربح . وهذا الغواص فى أعماق البحار يغوص طلباً للآلىء مرات متكررات فيخرج بدون شيء . وغير ذلك فالسعى الذى وجه الله عباده إليه لطلب الرزق إنما هو حال من الأحوال وليس بسبب كما يظنه الكثيرون حينما يشاهدون أحوالاً كثيرة يرزق فيها أصحابها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك أمرين لابد من التفريق بينهما :

الأول : أمر إعتقادى ، وهو إعتقاد أن الله هو الرزاق .

الثانى : أمر تشريعى ، وهو السعى لطلب الرزق فيجب على المسلم أن يسعى جاداً فى طلب الرزق ممتثلاً لأمر ربه فلا يركن إلى الخلود والكسل ويخالف أمر الله . ومع هذا كله يجب عليه أن يحسن الظن بالله ، وأن الله سيرزقه بعد هذا السعى والكد والعمل .

أما مسألة الأجل وأنه بيد الله فهى كمسألة الرزق تماماً ، فكما أن الله هو الخالق

وهو الرزاق فهو المحيى والمميت فالحياة والموت بيد الله . وقد أخبرنا الله فى آيات كثيرة أن سبب الموت هو إنتهاء الأجل ، وأن الله هو الذى يميت فالموت يحصل حتماً بحصول السبب وهو إنتهاء الأجل ولا يتأخر عنه مطلقاً قال الله تعالى : ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ ، والله هو المحيى والمميت . قال الله تعالى : ﴿ **هو الذى يحييكم ثم يميتكم** ﴾ .

والآيات كثيرة فى أن كل حى يموت عند إنتهاء أجله ، وأن الله هو الذى يميته لأنه هو الذى أوجد السبب وهو إنتهاء الأجل . فيجب على المسلم أن يعتقد ويؤمن بأنه لا يموت أى مخلوق حى إلا إذا انتهى أجله ومن لم يعتقد ذلك فإنه كافر لأنه لم يؤمن بأدلة قطعية الثبوت والدلالة .

وما يحصل من حوادث القتل والانتحار والحكم بالاعدام والسقوط من شاهق وما ينتج عنها من موت فإنها حالات يحصل فيها الموت غالباً وليست هى أسباباً ؛ لأننا قلنا : أن سبب الموت هو إنتهاء الأجل الذى قدره الله على كل مخلوق . والفرق بين السبب والحالة أن السبب لا يتأخر عن مسببه بخلاف الحالة فإنها وضع أو ظرف يحصل فيه الشيء وقد يتخلف . والمتتبع بالنظر لكثير من الحالات التى قد يحصل فيها الموت غالباً يجد أنه قد يتخلف ولا يَحصل . والحالات كثيرة التى قد يحصل فيها الموت ، وقد لا يحصل منها كمرض السرطان والطاعون والضرب بالسكين أو بالسيف أو الرمى بالرصاص أو الحرق بالنار أو السقوط من شاهق وما شابه ذلك ؛ فقد يضرب شخص ضربة قاتلة بسكين ويقرر الأطباء على موته وبعد ذلك لا يموت ، كما قد يقول الأطباء : إن فلاناً لا خطر عليه من الموت وهو قد تجاوز دور الخطر من المرض الذى أَلَمَّ به ، ثم ينعكس فجأة فيموت . وما ذلك إلا لحصول السبب ووجوده وهو تمام الأجل

وانتهاؤه . ولو أن هذه الحالات أسباب لما تخلف عنها الموت فبمجرد تخلف الموت عن مثل هذه الحالات ولو فى مرة منها فإنها تدل دلالة قطعية على أنها ليست أسباباً للموت . فيجب على المسلم الإيمان بأن سبب الموت هو إنتهاء الأجل الذى قدره الله ، وأن الله هو المحيى والمميت لأنه هو الذى أوجد السبب .

* * *

الفصل الحادى عشر

وجوب التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب
وأنهما لا يتنافيان ولا ينافيان الإيمان بالقَدَر

إذا تقرر عندك أن الإيمان بالقَدَر واجب وعرفت أن الأرزاق والآجال بيد الله وبقدره . فاعلم أنه يجب على الإنسان أن يتوكل على الله فى جميع شئونه . والتوكل على الله هو الاعتماد عليه فى فعل كل أمر يرضيه أو ترك كل أمر يسخطه . ومن مستلزمات هذا التوكل أن يعتقد الإنسان أن كل شىء – حتى نفسه – عاجز عن تحقيق مراده وقصده من الخير إلا بإعانة الله له وتيسيره وتسهيله للطرق الموصلة إليه ؛ ولهذا أرشدنا النبى ﷺ إلى التوكل الكامل على الله إلى هذا الذكر « لا حول ولا قوة إلا بالله » ومعناه : لا تحول لإنسان من حال إلى حال ، كتحول من معصية الله إلى طاعته ولا قوة له على ترك معصيته أو فعل طاعة إلا بإعانة الله . ولا تحول من فقر أو مرض إلى ضدهما إلا بإعانة الله وتسهيله . والتوكل على الله فى حياة أسلافنا ذو شأن عظيم ولا أدل على ذلك من واقع المسلمين الأوائل ، حيث كانوا يفهمونه حق الفهم ويتوكلون على الله حق التوكل ؛ ولذلك نجد أنهم قاموا بعظائم الأمور ، واقتحموا أشد الصعاب بخلاف المسلمين المتأخرين اليوم حينما طغى على النفوس طغيان المادة وطغيان المدنية ؛ فإنهم بعدوا عن فهم التوكل وحقيقته وأصبحوا يفهمونه فهماً نظرياً لا واقع لهم فى حياتهم فكان نتيجة ذلك وثمرته هو انحطاط الهمم وضعف العزائم ، فضاق الأفق الواسع فى نظرهم فصاروا يحسون بالعجز والكسل وأن

قدراتهم التى منحهم الله إياها لا تستطيع أن تقوم بماهو واجب شرعاً من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والنصح للولاة ، ونشر الدعوة الإسلامية وتبليغها إلى أنحاء المعمورة ، كما فعل أسلافنا .

ومن المسلمين فى هذه الأزمنة المتأخرة أناس يركنون إلى الخلود والكسل وعدم التحمل والسعى لطلب الرزق وعدم السعى لطلب الإستشفاء بالعلاجات المباحة وقد يفرِّط الإنسان بالمحافظة على ماله أو حتى نفسه فيلقى بذلك إلى التهلكة كل ذلك بادعاء التوكل على الله والإيمان بالقدر ومن هذا المنطلق عاب غير المسلمين من جهلة الغرب والشرق الدين الإسلامى فقالوا إنه دين يدعو إلى الخلود والعجز والكسل وعدم الإستشفاء وكذا بعض المسلمين الذين نهجوا هذا المنهج وسلكوا هذا الطريق قد أخطأوا الصواب وضلوا عن طريق الحق فالإسلام لم يأمر بذلك بل أمر بسلوك أنواع الطرق المباحة لكسب العيش والحصول على الرزق من زراعة وتجارة وصناعة إلى غير ذلك من الأعمال المباحة فقد جاءت الآيات بذلك ومرت بك ومن الحديث ما ثبت عن رسول الله ﷺ ما معناه أنه قال لأن يأخذ أحدكم حبله وفأسه فيحتطب وينال به عيشاً خير له من سؤال الناس أعطوه أو منعوه . وجاء القرآن بالأمر بأخذ الحذر وأتخاذ الحيِّطة للعدو فقال الله تعالى : ﴿ **وخذوا حذركم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ ونهى القرآن عن القاء النفوس إلى الهلاك فقال تعالى : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ وأمر بالمحافظة على الأموال فقال تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** ﴾ وجاءت السنة بالأمر بالأستشفاء بالعلاجات المباحة فقال ﷺ : « تداووا ولا تتداووا بحرام » وروى الترمذى أن رجلاً قال للنبى ﷺ أعقل ناقتى أو أتكل فقال أعقلها واتكل ولهذا كان لزاماً على المسلمين الذين سلكوا هذا الطريق الذى ليس من الإسلام بل الإسلام يأمر بضده حيث أنه طريق لا يقره الإسلام فعلى أولئك أن

يصححوا عقيدتهم وأفكارهم الخاطئة ومفاهيمهم البعيدة عن ما شرعه الإسلام .

فإن الإسلام يوجب على العبد الإيمان بالقدر والتوكل على الله كما يوجب العمل والسعى والحركة والإستشفاء والبحث عن الرزق والتعلم ويوجب على الإنسان إتخاذ الحيطة والبعد عن مهاوى الهلاك وليس معنى التوكل على الله أن يترك الإنسان هذه الأشياء التى ذكرناها ويتخلى منها . فالتوكل معناه تفويض الأمور إلى الله مع الجد والإجتهاد فى العمل والتوكل من أنواع العبادة فلا يكون الإنسان مؤمناً إلا بتوكله على الله قال الله تعالى : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ .

والتوكل على الله فى حقيقته قوة وعزيمة دافعة خفية من الله لعباده ولذا كان السلف يعتمدون على الله أيما اعتماد ويفوضون جميع أعمالهم وأفعالهم إليه ، وكانوا مدركين أنهم لن يحققوا أمراً مهما كان سهلاً بقواهم البشرية وحدها لمعرفتهم التامة بأن قواهم عاجزة عن حصول أى شيء إلا بقوة من الله يهبها لعباده وكانوا مؤمنين حقاً بأن القوة التى لا تقهر والنصر الذى لا يتناهى هو الإيمان الكامل بأن الله هو القوى العزيز وأنه هو الذى يمد عباده بالقوة والنصر مؤمنين حقاً ومدركين لثمرة هذا الذكر لا حول ولا قوة إلا بالله .

وملخص القول أنه يجب التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب وتعاطيها وأن ذلك لا يتنافى مع الإيمان بالقدر ولذا ورد فى الحديث عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » فهذه الطيور تغدوا أول النهار باحثة عن الرزق وهى جائعة فترجع فى آخر النهار وبطونها ممتلئة فلا تجلس فى أوكارها ويأتيها رزقها بل أنها كانت تسعى وتبعد فى سعيها طلباً للرزق ورأى

بعض الصحابة أناساً جالسين فى المسجد فقال من هؤلاء فقيل له هؤلاء المتوكلون فقال هؤلاء المتواكلون فأخرجهم من المسجد ليبحثوا عن أرزاقهم .

* * *

المبحث الحادى عشر
فيما ينافى التوحيد أو ينافى كماله
الفصل الأول
فى الشرك الأكبر

الشرك هو ضد التوحيد وهو ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر فالأكبر تسوية غير الله به فيما هو من خصائصه فمن سوى غير الله به كمن صرف عبادة أو سواه به فى علم غيب أو غير ذلك مما هو من خصائص الله وخصائص ربوبيته فهو مشرك شرك أكبر وهذا الشرك الأكبر ينافى التوحيد بالكلية ويخرج صاحبه من الإسلام وصاحبه خالد مخلد فى النار لأن الله لا يغفره إلا بالتوبة قال الله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ فالشرك الأكبر ذنب عظيم فمآل من أشرك بالله هذا الشرك إلى النار ولا يخرج منها كما أخبر الله عمن أشرك هذا الشرك بأن مآله إلى النار وأن الله حرم عليه دخول الجنة . قال الله تعالى : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾ وفى الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار » .

وتسوية غير الله به سواء كانت فى نبى أو ملَكٍ أو رجل صالح أو عابد أو زعيم وسواء أيضاً كانت فى رجل أو امرأة أو إنسى أو جنى أو حجر أو جبل أو بقعة من الأرض أو غير ذلك فمن سوى الله بشىء من هذه الأشياء فيما هو من خصائص

الله كالخلق والرزق وشفاء الأمراض وإنجاب الأولاد فهذا هو الشرك الأكبر أو صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فهذا هو الشرك الأكبر كالدعاء والنذر والرجاء والخوف والذبح فمن صرف شيئاً من هذه لغير الله فهو مشرك شرك أكبر والإدلة على ذلك كثيرة منهاقول الله : ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين** ﴾ وقوله : ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له** ﴾ والآيات كثيرة فى هذا .

* * *

الفصل الثانى

فى الشرك الأصغر

هذا هو القسم الثانى من أقسام الشرك . وهو الشرك الأصغر وقد فسره النبى ﷺ بيسير الرياء وسمى هذا الشرك بالأصغر لأنه لا يصل إلى درجة الشرك الأكبر . فهناك فرق كبير بين الأكبر والأصغر .

فالأكبر لا يغفره الله بل لابد من تعذيب صاحبه بخلاف الأصغر فقال بعض العلماء إنه تحت مشيئة الله فقد يغفره الله لصاحبه وقال بعض العلماء إنه لا يغفره ولكن يعذبُ صاحبه بقدره وهذا هو الظاهر من النصوص ومن الفروق أيضاً أن صاحب الشرك الأكبر يكون مخلداً فى النار بخلاف صاحب الشرك الأصغر فإنه يعذب بقدره ثم يخرج صاحبه من النار ويدخل الجنة كما أن صاحب الشرك الأكبر يحكم عليه بالخروج من الإسلام إن كان مسلماً قبل شركه ويكون مرتداً بخلاف صاحب الشرك الأصغر وإن كان أصغر فهو أكبر من كبائر الذنوب فهو أكبر من الزنا وأكبر من اللواط وأكبر من شرب الخمر وعقوق الوالدين وأكل مال اليتيم إلى غير ذلك حتى إن كثيراً من العلماء قالوا إن الله لا يغفره بل لابد من تعذيب صاحبه بخلاف الكبائر التى هى تحت مشيئة الله إن شاء عذب بقدرها وإن شاء غفرها مستدلين بقول الله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ وهذا القول وجيه .

وأنواع الشرك الأصغر كثيرة منها الرياء أو السمعة وهو تحسين ما كان مشروعاً من قول أو عمل لغير الله فإذا حسَّن الإنسان العمل المشروع من أجل

غير الله فذاك هو الرياء فإن كان متلبساً به من مبدأ عمله واستمر إلى نهايته فهو محبط للعمل وإن كان الرياء قد طرأ عليه بعد الشروع فى العمل وطرده ودفعه ولم يستمر حتى نهاية عمله فإن العمل لا يحبط جميعه وإنما يحبط منه ما لم يكن خالصاً والفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء يكون فى الأعمال والسمعة تكون فى الأقوال . والأعمال والأقوال لا تكون صالحة إلا بشرطين الأول إخلاص العمل لله ، الثانى أن يكون على وفق ما شرعه الله فى كتابه أو على لسان رسوله. ودليل الشرط الأول قول الله تعالى : ﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾ ودليل الشرط الثانى قول الرسول ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وهذا الشرك الذى هو الرياء قد خاف منه النبى ﷺ على صحابته من الوقوع فيه فقال عليه الصلاة والسلام : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يارسول الله وما الشرك الأصغر فقال الرياء ويسمى الرياء بالشرك الخفى » فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال قال قلنا بلى يارسول الله قال الشرك الخفى يقوم الرجل فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل وسمى هذا الشرك بالشرك الخفى لأنه يخفى صاحبه على الناس أنه يريد بعمله غير الله فمن أراد بعمله المشروع غير الله وابتغاء ثوابه كأن يريد جاهاً أو مالاً أو مدحاً أو منصباً من مناصب الدنيا فإن كان الباعث لهذا العمل هذه الأشياء أو أحدها فإن عمله باطل وإن طرأ عليه أثناء عمله فالثواب يكون على قدر العمل الصالح الخالص لله وإن كان الباعث لعمله إرادة ثواب الله فطرأ عليه شيء من رياء أو إرادة دنيا أو جاه أو غير ذلك فكان ماطرأ عليه من أول عمله وأستمر معه إلى نهايته فإن عمله باطل أيضاً . قال الله تعالى : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف**

إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .

ومن أنواع الشرك الأصغر الحلف بغير الله فالحلف تعظيم للمحلوف به وأمثلة الحلف بغير الله كثيرة كالحلف بالنبى أو بالآباء أو بالأمهات أو بالأولاد أو بالشرف أو بالنعمة أو بحياة الإنسان أو بالكعبة أو بالأمانة أو بشىء من جسم الإنسان فالحلف بغير الله شرك أىَّ كان نوع ذلك قال النبى ﷺ : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » رواه أبو داود وذلك لأن الحالف معظم لذلك الغير بحلفه وما علم أنه بحلفه أشرك مع الله غيره فى التعظيم مع أنه لا عظيم مع الله ولا أعظم منه . ومن أنواع هذا الشرك قول الإنسان ما شاء الله وشئت أو ما شاء فلان فيعطف المتكلم مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق بالواو التى تقتضى وتفيد المساواة بين المعطوف والمعطوف عليه وتسوية غير الله به شرك أما لو عطف بثم التى تفيد التراخى والتعقيب فهذا جائز لما روى حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « قال لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » .

وأفضل من هذا أن يقول ماشاء الله وحده بدون عطف بثم لما روى ابن عباس أن رجلاً قال للنبى ﷺ ماشاء الله وشئت فقال أجعلتنى لله نداً قل ماشاء الله وحده . ومن أنواع هذا الشرك قول بعض الناس أعوذ بالله وبك ولولا الله وفلان أو لولاك أو لولا هذا الشىء ما حصل كذا أو توكلت على الله وعليك أو أنا متوكل عليك فى هذا الأمر كل هذا من الشرك الأصغر ومن اتخاذ الأنداد لله .

لما روى أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى : **﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾** قال الأنداد الشرك أخفى من دبيب النمل على

صفاة سوداء فى ظلمة الليل وهو أن يقول والله وحياتكَ يافلان وحياتى ويقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ولولا البط فى الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك .

تنبيــه : قال ابن عباس فى هذا الشرك إنه أخفى من دبيب النمل يدل على أن الكثير من الناس يقعون فيه من حيث لا يشعرون أو أنه يخفى على الناس أن هذا شرك .

* * *

المبحث الثانى عشر – فى السحر وما يتعلق به

الفصل الأول

فى تعريف السحر وحقيقته

السحر لغة هو عبارة عن ما خفى ولطف سببه وشرعاً هو رُقىً أو عُقَدٌ مع نفث وكلام يتكلم به الساحر أو كتابة يكتبها أو عمل يعمله مما تحبه الشياطين وترغبه وتمليه عليه يؤثر فى العقول والأبدان فيمرض ويقتل ويجمع ويفرق بين الأحبة بإذن الله ويرى جمهور أهل السنة أن السحر منه ما هو حقيقة ومنه ما هو تخييل ومن الأدلة على أن السحر له حقيقة قول الله تعالى : ﴿ **ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾ ووجه الدلالة من الآية أن الله أخبر فيها بأن الشياطين يعلمون الناس السحر فالسحر خاضع وقابل للتعليم والتعلم ولا يكون كذلك إلا ما كان له حقيقة ومن الأدلة أيضاً قول الله تعالى : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ إلى آخر السورة ووجه الدلالة من السورة أنه لو لم يكن للسحر حقيقة ثابتة ما أمرنا الله بالاستعاذة منه ولما وصفه بأنه عقد ينفث فيها النفاثات . ويرى عامة المعتزلة والقدرية وأبو إسحاق الإسترابإذى من علماء الشافعية وأبو بكر الرازى من الحنفية أن السحر ليس له حقيقة وإنما هو تخيل وتمويه وأن ما يقع منه خيالات باطلة وتضليل وأنه من باب الشعوذة فلا تأثير له البتة لا فى مرض ولا قتل ولا حل ولا عقد وإنما هو تخيل لعيون الناظرين ولا حقيقة له سوى ذلك والصحيح الأول لأن الواقع يكذب القول الثانى فإن له تأثير فيمرض ويقتل ويفرق ويجمع بإذن الله والنص القرآنى يدل على ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ **فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** ﴾ فدلت الآية أنه يحصل به التفريق والضرر بإذن الله .

* * *

الفصل الثانى

فى حكم تعلم السحر وتعليمه

تعلم السحر أو تعليمه كفر بدليل قول الله تعالى : ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ أى فلا تكفر بتعلمك للسحر هذا فى التعلم وأما التعليم فلقول الله تعالى : ﴿ **ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾ فدلت الآية على أن تعلم السحر أو تعليمه كفر أما تعاطيه يعنى العمل به فهو داخل تحت قول الله تعالى : ﴿ **ولقد علموا لمن أشتراه ماله فى الآخرة من خلاق** ﴾ فهذه الآية عامة لكل من يتعاطى بالسحر تعلماً أو تعليماً أو حرفة أنه ليس له فى الآخرة من نصيب وسواء تعلمه أو علمه عمل به أو لم يعمل به فإنه داخل تحت ما تتضمنه هذه الآية لأنه لا يمكن أن يتعلم إلا بالتطبيق فإذا حصل التطبيق الفعلى فإنه يكفر العالم والمتعلم ولأنه لا يتم تطبيقه بالفعل إلا إذا صرف شيئاً من أنواع العبادة للشياطين أو ترك شيئاً من القربات من أجلهم أو فعل شيئاً من المعاصى تقرباً لهم وهذا هو الكفر عينه . وهذا القول قال به مالك وأبو حنيفة وأحمد . وقال الشافعى إن كان سحره مما يوجب الكفر كفر وإن كان لا يوجبه فإنه لا يكفر كأن يكون بأدوية وتدخين وسقى شىء فإنه لا يكفر إلا إن كان يعتقد إباحته فيكفر . والذى تميل إليه النفس وتطمئن إليه هو قول الشافعى لأن تكفير المسلم شىء صعب فقد يفعل شيئاً مما يظن أنه سحر وليس كذلك وإنما هو تمويهات وشعوذة وسرعة فى الحركة فلا يكفَّر المسلم بذلك ولكن يعزر تعزيراً رادعاً له ولغيره لأن فى ذلك زعزعة للعقيدة ولأن فيه كذباً وتمويهاً على الناس

الفصل الثالث

فى عقوبة الساحر

عقوبة الساحر فى الآخرة عظيمة إذا لم يتب قبل موته توبة صادقة لقول الله تعالى : ﴿ **ولقد علموا لمن إشتراه ماله فى الآخرة من خلاق** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ولا يفلح الساحر حيث أتى** ﴾ وقال النبى ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » .

أما فى الدنيا فعقوبته القتل وبه يقول الجمهور ولا يستتاب ولو تاب فإن توبته لا تقبل وهذا هو المشهور عن أحمد وبه يقول مالك بدليل ما صح عن جندب مرفوعاً أنه قال : حدُّ الساحر ضربه بالسيف وكذا صح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها وكتب عمر إلى ولاته أن أقتلوا كل ساحر وساحرة . وفى رواية عن أحمد أنه يستتاب فإن تاب خلّي سبيله وإلا قتل وبهذه الرواية يقول الشافعى لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك والمشرك تقبل توبته ولصحة إيمان سحرة فرعون وقبول توبتهم .

والقول الأول أظهر لأن الصحابة لم يستتيبوا أحداً ممن ثبت سحره عندهم ولصراحة حديث جندب ولم يذكر فيه إستتابة الساحر . وأما الإستدلال بقياسه على المشرك فلا يصح هذا الاستدلال لأن الساحر أكثر فساداً من المشرك وأما الاستدلال بصحة إيمان سحرة فرعون فلا دليل فى ذلك لأنهم أصلاً كانوا مشركين فلما أسلموا وآمنوا لم يؤاخذوا بما فعلوه قبل إسلامهم لأن الإسلام يجب ما قبله . وقد يجاب عن ذلك أيضاً بأن قتل الساحر لم يرد إلا فى شريعتنا وأما فى شريعة

موسى فلم يرد وعلى ذلك فإيمان سحرة فرعون وتوبتهم صحيحة .

تنبيــه : ما ذكرت من الخلاف فى قتل الساحر وعدمه هذا إذا لم يَقْتُل الساحر بسحره أما إذا قتل بسحره فإنه يقتل وهذا لا خلاف فيه أما توبة الساحر فكونها مانعة لقتله فلا تكون مانعةً له لأننا لا نقبل توبته فى الدنيا وأما توبته بينه وبين ربه فلا نحكم بعدم قبولها لأن قبولها متوقف على الصدق والإخلاص فإن كانت توبة صادقة خالصة فإن الله يقبلها والتوبة تجب ما قبلها من الإثم وإن كانت غير خالصة فالله لا يقبل إلا ما كان خالصاً .

ومدار هذا الكلام فى السحر الذى يكفر به صاحبه ، من التقرب إلى الشياطين إما بترك الطاعات أو بفعل المحرمات أو صرف شيء من العبادات لهم كالذبح والصلاة والصوم وغير ذلك . أما إن كان السحر لا يوجب كفراً كاستعمال المواد الكيماوية وتفاعلها مما يموَّه به على الناس فلا يكفر به ولا يقتل ولكنه يعزر تعزيراً عنيفاً يكون رادعاً له وزاجراً لغيره لأن فيه محاولةً لإفساد عقيدة الناس بأعماله التى يظنها الناس حقيقة من أنه يستطيع أنه يحيى ويميت أو أن لديه أشياء خارقة للعادة وقيل إنه يقتل سواء إستعمل فى سحره ما يوجب الكفر أم لا لما روى البخارى فى تاريخه عن أبى عثمان النهدى قال كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا له فأعاد رأسه كما كان فجاء جندب الأزدى فقتله ورواه البيهقى فى الدلائل مطولاً وفيه فقال الناس سبحان الله يحيى الموتى ورآه رجل صالح من المهاجرين فنظر إليه فلما كان من الغد أشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه وقال : إن كان صادقاً فليحيى نفسه وذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة .

* * *

الفصل الرابع

فى ذكر أشياء من تمويهات المشعوذين

الشعوذة قال فى اللسان الشعوذة خِفة فى اليد وأخذ كالسحر يُرى الشيءُ بغير ما عليه أصله فى رأى العين ورجل مشعوذ وامرأة مشعوذة وليس من كلام البادية والشعوذة السرعة وقيل هى الخفة فى كل الأمر .

وللمشعوذ طرق وحالات تجعل عمله شبيهاً بالسحر من ذلك أنه يأتى المشعوذ بسكين حادة جداً يعطيها له أحد الحاضرين ويمررها على رقبة من أتفق معه على هذا العمل ثم يذبحه ويسيل دمه ويموت وبعد عشر دقائق يرفسه برجله فيقوم حياً من موته المزعوم . وحقيقة هذا العمل أن هذا تمويه وتلبيس على الحاضرين وسر حيلة هذا المشعوذ أنه قد وضع كيساً من جلدٍ أو بلاستك لونه كجلد الإنسان الطبيعى مملوء هذا الكيس بسائل لونه كلون الدم فإذا مر عليه بالسكين سال هذا السائل الأحمر فيتوهم الحاضرون أنه قتل إنساناً . ومن ذلك إختراق السيف أو السكين الطويلة لجسم الإنسان حتى ينفذ إلى ظهره وسر هذه الحيلة أن المشعوذ يقوم بإلباس – من أتفق معه على هذا العمل – كيس مملوء بسائل أحمر أو يكون أقل من ملئه قليلاً ويكون الكيس مربوطاً طرفاه بحبلين يلتقيان لربطهما على البطن ويكون الكيس فى جانب البطن الأيمن أو الأيسر فإذا طعنه بالسيف من الأمام نفذ إلى الخلف وسال هذا السائل فيظن المشاهدون أن هذا حقيقة وإنما هو كذب وفرية وبهتان وتغرير .

ومن ذلك أن يقول إنسان أنا أستطيع أن أوقف ساعتك إذا أشرت إليها

بالوقوف وأمرتها بذلك فيقول الإنسان لهذا المشعوذ إفعل إن كنت صادقاً فيأتى إليه ويقترب منه ويشير إلى ساعته بالوقوف ويأمرها بذلك فتقف فيظن أنه صدق فى قوله وأنه استطاع توقيف ساعته وسر هذه اللعبة أنه يكون المشعوذ حاملاً مغناطيساً فإذا أقترب من صاحب الساعة توقفت ساعته لوجود الغنطسة وليس لأمره للساعة فالساعة لا تعقل وهو أيضاً ليس له قدرة على إيقافها إلا بما ذكر .

قلت : ومثل هذه الأعمال وما ماثلها فيما أراه وأعتقده أنه لا يكفر صاحبها ولكن على ولى الأمر أن يعزر من يعمل هذه الأعمال تعزيراً بليغاً يكون رادعاً له وزاجراً لغيره لما فى هذه الأعمال من الكذب والخداع ومحاولة إفساد عقيدة المسلمين والتشبه بالسحرة المشركين .

* * *

الفصل الخامس

فى العلاج من السحر

علاج السحر من الأشياء المشروعة لأن فيه نفعاً للغير وإزالة للضرر لكن إن كان بسحر مثله فهو لايجوز إلا إذا كان هذا السحر المعالج به لا يصل إلى درجة الكفر والشرك وهذا قول للمالكية والحنفية وتوقف الإمام أحمد فى حل السحر عن المسحور بسحر وهو إلى الجواز أميل .

قلت : يحتمل توقفه أو ميله إلى الجواز إذا كان بسحر لا يصل إلى درجة الكفر والشرك والله أعلم وكره الحسن حل السحر بسحر مثله وقال لا يعلم : ذلك إلا ساحر .

قلت : والمراد بهذه الكراهية من الحسن كراهة التحريم .

وقالت الشافعية وسعيد بن المسيب ورواية عن أحمد وعامر والشعبى والزيدية والرازى وغيرهم إنه لا بأس به . أقول ولعل قول هؤلاء فى السحر الذى لا يصل إلى درجة الكفر والذى يظهر لى والله أعلم أنه إن كان السحر المعالَج به يصل إلى درجة الكفر والشرك فهذا لا يجوز لأنه مثله فهو كمن يغسل النجاسة طلباً لتطهيرها بالبول وهذا هو الذى تدل عليه النصوص منها ما روى جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال هى من عمل الشيطان ولأنه أيضاً من القواعد الشرعية أن الضرر لا يزال بالضرر . وإن كان السحر المعالَج به لا يصل إلى درجة الكفر فأجازه كثير من أهل العلم . وإن كان علاج السحر وحله وإزالته بآيات قرآنية أو أدعية شرعية أو أدوية مباحة

فلا بأس به بل إنه مشروع لأن فى ذلك إصلاحاً للمسحور وإبعاداً للأذى عنه .

وقد ذكر بعض العلماء هذا الموضوع وسماه النشرة إستناداً إلى لفظ الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة . والمراد بها علاج السحر أو حل السحر عن المسحور وقد ذكر ابن القيم أن النشرة نوعان حل بسحر مثله وهو الذى من عمل الشيطان والثانى النشرة بالرقية والتعوذات الشرعية والأدوية المباحة وهذا جائز .

ومن العلماء من منع النشرة وحلَّ السحر عن المسحور لأنها من عمل الشيطان ولعل مرادهم إذا كان ذلك بسحر .

ومنهم من أجازها لأن المراد منها الإصلاح ويحمل قولهم بالجواز إما أن يكون بسحر لا يصل إلى درجة الكفر وإما أن يكون برقى وتعاويذ شرعية أو أدوية مباحة . والله أعلم .

* * *

الفصل السادس

فى ذكر أنواع من السحر

من أنواع السحر التنجيم وهو العلم بالنجوم وينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : معرفة النجوم للإستدلال بها على الجهات ومعرفة الأوقات وهذا مشروع ولو قيل بوجوبه لكان لذلك وجه لأنه يعرف به جهة القبلة التى هى واجبة معرفتها وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ومثل ذلك الوقت فيجب تعلم علم النجوم مايوصل إلى ذلك قال الله تعالى : ﴿ **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** ﴾. فالله خلق هذه النجوم لأمور ثلاثة **الأول** : زينة للسماء قال الله تعالى : ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح** ﴾ **الأمر الثانى** : خلقها رجوما للشياطين قال الله تعالى : ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين** ﴾ **الأمر الثالث** : خلقها الله للإستدلال بها والإهتداء على معرفة الجهات والطرق والأوقات قال الله تعالى : ﴿ **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** ﴾ وقد روى عن عمر أنه قال : تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا . **القسم الثانى** : الإستدلال بالنجوم على الحوادث الأرضية مما يدعيه أهل التنجيم من معرفة الحوادث التى لم تقع وربما تقع فى المستقبل مثل إخبارهم بهبوب الرياح ونزول الأمطار وحصول الثلوج وإرتفاع فى حرارة الجو وبرودته وتغير الأسعار وغير ذلك ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب وإجتماعها وافتراقها وهذا محرم ولا يشك فى تحريمه إلا معاند لأن هذا من علم الغيب وكم من قائل غداً ينزل مطر على كذا ولم ينزل وغداً تكون الحرارة كذا فى بلد

كذا فتكون بخلافه وهذا شيء مشاهد ومحسوس وعلم التنجيم المحرم على أضرب كثيرة وأعظمها شركاً ما يفعله عبدة الكواكب ويعتقدونه فى الكواكب السبعة السيارة وغيرها فقد بنوا لها بيوتاً يعبودونها فيها وصوروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم وجعلوا لها مناسك وشرائع يعبدونها بكيفيات خاصة وكانوا يلبسون لها لباساً خاصاً وينحرون لها أجناساً خاصة من الأنعام وجعلوا لكل كوكب عبادة خاصة فى وقت خاص وأعتقدوا فيها أن التصرفات الفلكية ترجع إليها وهذا هو المعروف عند قوم إبراهيم عليه السلام فقد حكى الله عنهم فى كتابه فقال : ﴿**وكذلك نرى إبراهيم**﴾ إلى قوله ﴿**إننى برىء مما تشركون**﴾ ومنها مايفعله من يكتب أبا جاد ويجعل لكل حرف منها قدراً من العدد معلوماً ويجرى على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة ولأمكنة وغيرها ويجمع جمعاً خاصاً معروفاً لديه ويثبت إثباتاً خاصاً وينسبه إلى الأبراج الإثنى عشر عند أهل هذا الفن ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس والخير أو الشر وغير ذلك مما يوحيه الشياطين إلى أوليائهم وكثير من الناس من يغير إسمه لأجل ذلك أو يفرق بينه وبين زوجته فى المنزل لإعتقاده أنه لو اجتمع معها ببيت أنهما لا يعيشان أو لا يعيش أحدهما كما يدعيه هذا المنجم . والحق الواضح البين أن إدعاء المنجم هذه الإدعاءات باطل وإدعاء لعلم هو أجهل به من الحيوان لأن هذا من علم الغيب الذى لايعلمه إلا الله فكم من مخبر بمثل هذه الأشياء ولاتقع إلا على خلاف قوله فيخبر بأن هذا الحمل ذكر فيكون أنثى ويخبر بأنه سيكون غنياً فيكون فقيراً ويخبر بأن هذا الحمل سيكون سعيداً ويكون بخلافه .وما علم المسكين المقول له هذا القول أنه كذبٌ وإفتراءٌ وتضليل وتوهيم لأن إخبار المنجم بذلك يعتبر من علم الغيب الذى لايطلع عليه إلا الله فهذا الملك مع قربه من الجنين وهو فى بطن أمه يسأل ربه يقول أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد والله هو الذى يخبره بذلك ويأمره بكتابة رزقه وأجله وعمله وشقائه وسعادته فلا يليق بإنسان

عاقل يصدق قول هذا الأفاك الأثيم المفترى على الله وعلى خلقه فهذا الملك مع قربه من الله وطاعته له وقربه من الجنين لايعلم شيئاً عنه وهذا الكذاب يزعم أنه يعلم ما استأثر الله بعلمه ويدعى أنه يدرك هذا بصناعة إختلقها وأكاذيب موَّهَهَا ولفقها وهذا من أعظم الشرك فى الربوبية لادعائه علم الغيب الذى هو من خصائص الرب فعلم الغيب من خصائص الربوبية كالإحياء والإماتة . وهذا الفعل موجود بكثرة ومنتشر فى صحف ومجلات بعض البلدان الإسلامية ويقرأها القراءُ كل صباح ومساء ولا من منكر وياليت الحكومات الإسلامية تمنع ذلك فتفوز بالثواب وتسلم من تبعة أولئك المفسدين لعقائد المسلمين والذين يأكلون أموال الناس بالباطل **قلت** : والغرض من نشر كلام المنجمين فى الصحف هو ترويجها وترغيب المواطنين بقراءتها ومنها النظر فى الأفلاك وحركاتها ودورانها وطلوعها وغروبها وإقترانها وإفتراقها معتقدين أن لكل نجم تأثير فى حركاته منفرداً وله تأثيرات أخرى عند أقترانه بغيره فى غلاء الأسعار ونزولها وهبوب الرياح وسكونها ووقوع الكائنات والحوادث وقد ينسبون ذلك إلى النجم الفلانى وهذا كفر لما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « قال الله تعالى أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بنوء كذا فذاك كافر بى مؤمن بالكواكب وأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب » **ومنها** : النظر فى منازل القمر الثمانية والعشرين مع إعتقاد التأثيرات عند اقتران القمر بكل منها أو مفارقته لها وأن فى ذلك نحوساً أو سعوداً أو تأليفاً أو تفريقاً وغير ذلك وكل هذه الاعتقادات باطلة ليس منها شيء حق وكلها أبطلها الإسلام وهو رجم بالغيب وادعاء لعلمه والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى قال الله تعالى : ﴿**قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾ وقال : ﴿**لو كنت أعلم الغيبَ لاستكثرتَ من الخير**﴾ وقال : ﴿**قل إنما الغيب لله**﴾ والآيات الدالة على اختصاص الله بالغيب كثيرة فادعاء علمه كفر وتصديق مدّعيه كائناً من كان كفر

كذلك لأنه تصديق للكذب وتكذيب لله وكفر بشرعه وتنزيله واتباع لزخارف وتضليلات شيطانية لم ينزل الله بها من سلطان .وقد جهل المنجم الكذاب الأفاك الأثيم أن النجم مخلوق مربوب مسخر مدبر كائن بعد أن لم يكن متصرف فيه وأنه ليس له تأثير فى حركة الكون وسكونه ولا حتى فى نفسه قال الله تعالى : ﴿ **أن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر** ﴾ فمن اعتقد أن النجوم لغير الحكم الثلاث المذكورةَ آنفاً من أنها زينة للسماء ورجوم للشياطين وعلامات يهتدى بها فاعتقد أن لها تأثيراً فى إرتفاعها وأضوائها وأشكالها وأن لها شيئاً من التصرف فى تدبير الكون وأنها تحدث فيه ما تحدث فإنه يكفر بهذه الآية وما أشبهها ومن كفر بشيء من القرآن فإنه كافر ويكون بذلك أيضاً مشركاً حيث جعل مع الله متصرفاً ومدَبِّراً آخر فى ملكه ومن صَدّق من أخبره بشيء مما يعتقده المنجم فى النجوم من التأثيرات فى الكون فإنه مكذب لله ورسوله ومكذب بكتابه لتصديقه من يدعى علم الغيب الذى قال الله فيه : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد** ﴾ وقوله : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ .

وإن أناساً غرضهم أكل أموال الناس بالباطل ويعلمون كذب أنفسهم فيما يخبرون به الناس فيقولون من تزوج بنجم كذا أو سافر بنجم كذا حصل له كذا وكذا وهم يعلمون حتى من أخبروهم لا يجهلون أنه يولد فى النجم الذى يقوله المَنجمون ويذكرونه أولاد كثيرون متباينون ومتفاوتون فى الشّقاء والسعادة والخير والشر والحياة والموت والسواد والبياض والجمال والدّمامة ومثل ذلك يحصل فى المتزوجين والمسافرين والمتاجرين فى نفس النجم الذى يذكرونه وما بقى إلا أن نقول هؤلاء المنجمون كذابون مفترون خدّاعون محتالون على أكل أموال الناس بالباطل مريدون إفساد عقائد المسلمين مع الطمع والجشع بما فى أيديهم .

وهاك ياأخى المسلم دليلاً عقلياً قاطعاً على كذب أولئك . وهو أنه لو كان أحد يعلم الغيب لكان أغنى ممن على وجه الأرض لعلمه بما يزيد ماله ولاتجده محتاجاً لأحد من الناس وهذا الدليل هو ما تضمنته هذه الآية الكريمة : ﴿ **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء** ﴾ فكيف بك تصدق هذه الأقوال الكاذبة وأنت ترى قائلها من أحوج الناس إلى ما فى أيديهم وتراه يصيبه السوء بنفسه وماله من حيث لايشعر فتصيبه الأمراض والمصائب من الحرق فى النار وقطع السكين وإنقلاب السيارة وإصطدامها به كل ذلك واقع مشاهد . ومن أنواع السحر التكَهّن والكِهانة ومنه العِرافة وهى إدعاء لعلم الغيب فيدعى الكاهن أو العراف معرفة وعلم الأمور والأحوال المستقبليه أو يدعيان معرفة الأسرار والكهانة والعرافة من أمور الجاهلية التى أبطلها الإسلام فقد روى أبو هريرة مرفوعاً : «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» أى أن من أتى إلى الكاهن أو العراف وسألهما فصدقهما بما يقولان فقد كفر بما أنزل على محمد وهو القرآن وذلك لأن المصدق لخبرهما قد صدقهما بما يدعيانه من علم الغيب الذى لا يطلع عليه إلا الله وعلم الغيب من الأشياء التى إختص الله بها نفسه فمن اعتقد أن أحداً يعلم الغيب فقد كفر وجحد بما أثبته الله لنفسه فى كتابه ونفاه عن غيره . وهذا يدل على أن الكهانة والعرافة كفر لايقرّهما الإسلام لأنه إذا كان هذا الحكم ثابتاً لمن جاء إلى العراف والكاهن وصدقهما بما يقولانه فمن باب أولى أن يكون هذا الحكم متعدِّياً إلى الكاهن والعراف وثابتاً لهما . قال أبو العباس أحمد بن تيميه : العراف إسم للكاهن والمنجم والرَّمّال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق **قلت** ومثل ذلك من يضرب بالحصى أو الرمل أو يخط فى الأرض أو يقرأ الكف أو الفنجال ويزعمون أنهم يعلمون الغيب فيخبرون بشىء منه وقد يتفرسون فى الإنسان ويسألونه من أى بلد وهم يعرفون الأسماء الشائعة والمشهورة

فى ذلك البلد فيذكر الواحد منهم أسماءاً من أسمائها واحداً واحداً ويقول : ماقرابتك به ومن اسمه كذا ماقرابته بك ويكذبون ويدجلون وماعندهم والله من علم الغيب شيئاً ولكنهم يريدون كسب الأموال من الناس بالباطل فالغيب لا يعلمه إلا الله يقول الله لنبيه مع أنه أحب الناس إليه وأعلاهم قدراً وأرفعهم منزلة عنده مع هذا كله يقول له : ﴿ **قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب** ﴾ . ولانتشار هذا المرض الفتاك والإجرام العظيم من ادعاء علم الغيب وأكل أموال الناس بالباطل على العلماء والحكام أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من منع هذا الفساد والمنكر وأن يكونوا حصناً منيعاً من أن تُدَنَّس عقائد المسلمين أو تفسد بشىء من دجل وافتراء هؤلاء الذين يعيثون فى الأرض فساداً ويسلبون أموال الناس ظلماً وعدواناً بهذه الحيل الكاذبة ومثل هؤلاء قد شاهدتهم وسمعت بهم فى كثير من البلدان الإسلامية وقد يكون الشخص من هؤلاء مشتهراً شهرة عظيمة ومع ذلك لايعاقب ولا يمنع وأنت معى فى قولى هذا لو أن لصاً يقوم بكسر الأبواب وتسور الحيطان فيسرق الأموال الكثيرة فإن الحكومات تعاقبه العقوبات المختلفة من سجن وضرب وقطع يد كل حكومة بحسب ما تحكم به لكن المسَّلم فيه أن كل الحكومات تعاقبه .

وهؤلاء المدَّعون لعلم الغيب الكذابون على الله وعلى خلقه الأكَّالون لأموال الناس بالباطل لاتجد فى الحكومات المنتشر عندهم مثل هؤلاء من يقوم بعقابهم وردعهم مع أن هؤلاء يأكلون أموال الناس بالباطل فهم أمثال اللصوص الذين يعاقبون إلا أن هؤلاء يزيدون عليهم بما هو أعظم من ذلك إنه الإدعاء لعلم الغيب والكذب على الله والكذب على خلقه والإدعاء بأنهم أفضل من الملائكة والرسل وإفسادهم لعقيدة المسلمين . وهذه الأشياء أعظم من نهب الأموال وسرقتها وأكل أموال الناس بالباطل . أرجو من الله العلى القدير أن يبعث لدينه ناصراً وأن يهدى ولاة المسلمين ويعينهم على نشر الفضيلة وقمع الرذيلة . ومن

أنواع السحر التطير بأى شيء . وأصل التطير فى الطيور ولكن يدخل فيه كل ما يتشاءم به من الضباء والمنازل والمركوبات وغير ذلك وهو من عادات الجاهلية التى أبطلها الإسلام . قال رسول الله ﷺ : «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت والطيرة والتطير والتشاؤم بمعنى واحد فكانت الجاهلية يتطيرون بأصوات الطيور والضباء وممرها وأشكالها وألوانها وبما يجيء من جهة اليمين وبما يجيء من جهة الشمال وما يجيء ناطحاً وما يجيء بعكسه . والناس فى هذا يختلفون فبعضهم يتشائم بالمركوب ولونه وهيأته والبعض الآخر فى المسكن وفى عدد الحجرات التى فيه أو عدد الأخشاب أو النوافذ أو غير ذلك والحق أن كل شيء من ذلك لا يجوز أن يتشاءم به فإن تشاءم به وصده عن حاجته سفراً كانت أو تجارة أو سكنى منزل أو شراء شيء أو بيعه فهذا هو التشاؤم الممنوع والمحرم والذى هو من الجبت والشرك لأنه بذلك يعتقد أن الضرر أو ما يصيب الإنسان من أذى إنما هو من ذاك الذى يتشاءم به والحق أن الله هو الضار وهو النافع والنفع والضر والخير والشر بيد الله لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا خير إلا خيره ولا طير إلا طيره ، ولا إله غيره . لكن الصحابة رضى الله عنهم قالوا : وما منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل ومعناه أن كل مسلم قد يقع فى قلبه شيء من التطير والتشاؤم ولكن يذهب الله ذلك ويزيله بسبب التوكل عليه أما إذا رده التطير والتشاؤم عن بعض حاجاته فإنه قد أصاب نوعاً من السحر وأصاب نوعاً من الشرك لحديث إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت وحديث من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك . أما إذا قويت عزيمة الإنسان فلم يرده ذلك عن مقاصده فإنه يسلم من السحر ويسلم من الشرك .

ومن أنواعه التى لاتصل إليه فى الحكم بكونه شركاً ولكن تصل إليه فى اللغة والتحريم والإفساد النميمة وذلك لأن فيها التفريق بين الأحبة كما يحصل هذا بالسحر قال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم ما العضه هى النميمة القالة بين الناس رواه مسلم فالنميمة

محرمة وكبيرة من كبائر الذنوب فهى كالسحر فى الإفساد وإن لم تكن مثله فى الشرك ومن أنواعه فى اللغة البيان والفصاحة فى الكلام وهو ينقسم إلى قسمين :

الأول : ما يكون محرَّماً ولكن لايصل إلى درجة الكفر والشرك وقد يصل إلى ذلك كإظهار الباطل فى صورة الحق وعكسه قال رسول الله ﷺ : « إن من البيان لسحرا » ومعناه إن من الكلام البليغ الفصيح مايأخذ بقلوب الناس ويستميلها ويؤثر فيها كتأثير السحر . **الثانى** مايكون مشروعاً وممدوحاً ومستحسناً كنصرة الحق والدعوة إليه أو إبطال الباطل والنهى عنه والابتعاد عنه ويكون من البيان السحرى الممدوح الحسن .

* * *

المبحث الثالث عشر – فى الرقى والتمائم –

الفصل الأول

فى الرقى وما يشترط لجوازها

الرقى جمع رقية وهى القراءة والإعاذة على المريض وتسمى العزائم وهى ما يعزم بها على المريض ونحوه مما يصاب به الإنسان من لدغ ذوات السموم أو من إصابة العائن غيره ويشترط فى جوازها ما يأتى :

الأول : أن تكون الرقية من الوحيين الكتاب أو السنة .

الثانى : أن تكون بلسان عربى مفهوم المعنى .

الثالث : أن يعتقد الراقى والمرقى أن الشفاء بيد الله وأن الرقية غير مؤثرة بنفسها .هذه الشروط الثلاثة هى ماذكرها أهل العلم المحققون .

قلت : ولو زيد شرط رابع وهو أن تكون الرقية على هيأة مأثورة شرعاً لكان هذا الشرط حسناً . فلو صارت القراءة من القرآن وبلسان عربى واعتقد أنها غير مؤثرة بنفسها وكانت على غير هيئة مأثورة ومشروعة كمن قرأ الفاتحة منكسة فجعل آخرها أولها فهذه لا تجوز وتكون محرمة لأن فى ذلك تلاعباً فى القرآن ولم تكن مأثورة عن الرسول ﷺ والصحابة والدليل على جوازها إذا توفرت الشروط قول النبى ﷺ : « لا رقية إلا من عين أو حمة » ولما روى البخارى عن عائشة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان ينفث على نفسه فى مرضه الذى قبض فيه بالمعوذات قالت عائشة فلما ثقل كنت أنفث عليه فأمسح بيد نفسه على جسده لبركتها – هذا اللفظ للبخارى . وروى البخارى رحمه الله حديث أنس بن مالك رضى الله عنه إذ قال لثابت : ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ قال : بلى قال : اللهم رب الناس مذهب البأس أشف أنت الشافى لا شافى إلا أنت شفاءاً لا يغادر سقماً .

وقال النبى ﷺ : « لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شركاً » رواه مسلم وغيره .

هذه الأدلة كلها محمولة على الرقية التى تتوفر فيها الشروط المذكورة .

* * *

الفصل الثانى

فى إنتفاء شروط الرقية أو بعضها

إذا اختل شرط أو أكثر من الشروط المذكورة سابقاً فإن الرقية تكون ممنوعة ولا تجوز وتكون محرمة . لأنها إذا لم تكن من الوحيين الكتاب أو السنة تكون غير مشروعة وما لم يشرع فإنه لا يجوز التعبد والدعاء به . وإذا كانت بغير لسان عربى مفهوم المعانى فإن الرقية تكون ممنوعة لأن المعنى غير مفهوم وقد تكون دعاءاً للشياطين أو للملائكة وهذا لا يجوز لأنه شرك وإن كان الراقى أو المرقى عليه يعتقد أن الشفاء من الرقية وأنها مؤثرة بنفسها فهذا إعتقاد باطل وشرك لأن الضر والنفع والشفاء والمرض بيد الله . وإن كانت الرقية على هيئة غير مأثورة كمن ينكس آية أو سورة فهذا لايجوز والرقية به كذلك لاتجوز ومحرمة لانه تلاعب فى القرآن وتهاون به وقراءة القرآن على ترتيبه المعروف هو الواجب والقراءة على خلاف ترتيبه محرمة وترتيب الآيات توقيفى لا يجوز قراءته إلا على هذا الترتيب المعروف .

قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمى فى كتابه معارج القبول . ولعمر الله لقد انهمك غالب الناس فى هذه البلوى غاية الانهماك واستعملوه على أضرب كثيرة وأنواع مختلفة فمنه ما يدَّعون أنه من القرآن أو من السنة أو من أسماء الله المثبته وأنهم ترجموه هم من عند أنفسهم بالسريانية أو العبرانية أو غيرها وأخرجوه عن اللغة العربية ولا أدرى إن صدقناهم فى دعواهم أهم يعتقدون أنه لا ينفع إذا كان باللغة العربية التى نزل بها القرآن وتكلم بها النبى ﷺ بالسنة حتى

يترجموه بالأعجمية أو أنهم يعتقدون أنه بالأعجمية أنفعَ منه بالعربية وأنه ينفع بالعربية بشيء وبالأعجمية لغيره ولا تصلح إحداهما لما تصلح فيه الأخرى أم ماذا زين الشيطان لهم وسولت لهم أنفسهم أم ماذا كانوا يفترون ومما يزعمون أنه من أسماء الله التى ليست فى كتاب الله ولا سنة رسوله وأنهم علموها من غيرهما فمنهم الذين يدَّعون أنه دعا بها آدم عليه السلام أو نوح أو هود أو غيرهم من الأنبياء ومنهم من يقول إنه ليس إلا فى أم الكتاب ومنهم من يقول إنه مكتوب فى البيت المعمور ومنهم من يقول أنه مكتوب على جناح جبريل عليه السلام أو جناح إسرافيل أو غيرهما من الملائكة أو على باب الجنة أو غير ذلك وليت شعرى متى طالعوا اللوح المحفوظ فاستنسخوه ومتى رقوا إلى البيت المعمور فقرأوه ومتى نشرت لهم الملائكة أجنحتهم فرأوه ومتى اطلعوا إلى باب الجنة فشاهدوه كلما شعوذ مشعوذ وتحذلق متحذلق وأراد الدَّجَل على الناس والاحتيال لكسب أموال الناس بالباطل طلب السبل إلى وجه تلك الحيلة ورام أصلالها ترجع إليه فإن وجد شبه شبهة تروج على ضعفاء العقول وأعمياء البصائر وإلا كذب لهم كذباً محضاً وقاسمهم بالله أنه لهم لمن الناصحين فيصدقونه لحسن ظنهم به . ومنه أسماء يدعونها تارة ويدَّعون أنها من أسماء الملائكة وتارة يزعمون أنها أسماء شياطين واعتقادهم فى هذه الأسماء أنها تخدم هذه السورة أو هذه الآية أو هذا الاسم من أسماء الله تعالى فيقولون ياخدام سورة كذا أو آية كذا أو اسم كذا يافلان بن فلان ويا فلان بن فلان أجيبوا أجيبوا العجل العجل ونحو ذلك وما من سورة من القرآن ولا آية ولا اسم من أسماء الله يعرفونه إلا وقد انتحلوا له خداماً ودعوهم له ساء ما يفترون وتارة يكتبون السورة أو الآية ويكررونها مرات عديدة بهيئات مختلفة حتى يجعلوا أولها آخرها وآخرها أولها وأوسطها أولها فى موضع وآخرها فى موضع أولها وأولها فى موضع وتارة يكتبونها بحروف مقطعة كل حرف على حدته ويزعمون أن لها بهذه الهيئة

خصوصية ليست لغيرها من الهيئات ولا أدرى من أين أخذوها وعمن نقلوها ما هى إلا وساوس شيطانية زخرفوها وخرافات مضللة ألفوها وأكاذيب مختلفة لفقوها لم ينزل الله بها من سلطان ولا يعرف لها أصل فى سنة ولا قرآن ولم تنقل من أحد من أهل الدين والإيمان إنْ هؤلاء إلا كذابون أفاكون مفترون وسيجزون بما كانوا يعملون وتارة يكتبون رموزاً من الأعداد المعروفة من آحاد وعشرات ومئات وألوف وغيرها ويزعمون أنها رموز إلى حروف آية أو سورة أو اسم أو شيء مما قدمنا بحساب الحروف الأبجدية المعروفة عند العرب وغير ذلك من الخرافات الباطلة وغالبها مأخوذ عن الأمة الغضْبية الذين أخذوا السحر من الشياطين وتعلموه منهم ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام بصفة أنه من القرآن أو السنة أو أسماء الله تعالى وأنهم إنما غيروا ألفاظه وترجموه بغير العربية لمقاصد لا تتم بزعمهم إلا بذلك ومنها ما هو من عباد الملائكة والشياطين ونحوهم يأخذون أسماءهم ويقولون للجهال هى أسماء الله ليروِّجوا الشرك بذلك عليهم فيدعون غير الله من دونه وهذه مكيدة لم يقدر عليها أبليس إلا بواسطة هؤلاء المضلين وهو : ﴿ **إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ والله تعالى يقول : ﴿ **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إنَّ فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور** ﴾ إنتهى كلامه رحمه الله ببعض التصرف .

* * *

الفصل الثالث

فيما يتعلق بالتمائم

التمائم جمع تميمة وهى ما يعلق على الصبيان ونحوهم من الدواب والمراكب درءاً للمضار من عين حاسد أو غيره فإن كانت التمائم المعلقة من القرآن أو الأدعية الشرعية ففى جوازها خلاف والأظهر دليلاً المنع وعدم الجواز وهذا القول قال به أكثر الصحابة منهم عبد الله بن عكيم وعبد الله بن عمرو وعقبة ابن عامر وعبد الله بن مسعود وقال بهذا القول كثير من التابعين منهم الأسود وعلقمة وإبراهيم النخعى ولاشك أن منع ذلك هو الذى تطمئن إليه النفس لقول النبى ﷺ : «من تعلق شيئاً وكل إليه ولقوله إن الرقى والتمائم والتولة شرك» ولأن فى ذلك سداً لذريعة الشرك فقد يعلق ما ليس بقرآن مع الزعم أنه قرآن وما يدرينا إذا كان المعلق مغلفاً إنه قرآن ثم إن رسول الله ﷺ لم يفعله ولكراهية أكثر الصحابة ووقتهم الذى قد امتلأت القلوب فيه بالإيمان فكراهيته ومنعه فى وقتنا الحاضر الذى أطبقت الفتن والمحن فيه على كثير من المجتمعات الإسلامية والناس فيه قد ضعفت قلوبهم وقل إيمانهم وكثر فيهم الإلتفات إلى غير الله . والناس فى هذا الوقت لو رُخِّص لهم فى هذا لتوصلوا بهذه الرخصة إلى الشرك المحض وجعلوا ذلك حيلة ووسيلة إليه وقد عرف ذلك منهم فهم يكتبون آية أو سورة أو بسملة ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من أطلع على كتبهم القذرة . وأنهم بهذا يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله عزوجل إلى ما يعلق عليهم من التمائم . وإن كثيراً ممن يفعل هذه الأفاعيل

يرجفون بها خفاف العقول وضعفاء الإيمان فيأتى أحدهم إلى من أراد أن يحتال عليه بأخذ ماله فيوهمه بإيهامات كثيرة فيقول له إن فيك كذا وفى أحد أقاربك كذا ويقول إن لك قريباً إسمه كذا لمعرفته بالأسماء الشائعة فى بلد ذلك الشخص ويقول فلانة التى اسمها كذا ماصلتها بك فيذكر الأسماء المتداولة فى بلد ذلك الشخص ليطمئن إليه كل ذلك من أجل أن يلقى بنفسه وماله إليه ويرغبه فى عمل ما يريد أن يعمله لأخذ المال أو يقول له إن فيك نظرة من نظرات الجن فيدخل فى نفس ذلك الشخص الوساوس الشيطانية من أجل نجاح مهمته فإذا امتلأ قلب هذا الغبى الجاهل بتصديقه واطمأن إليه حينئذ أعرض عن ربه وأقبل على ذلك الدجال الذى يريد أكل أموال الناس بالباطل والتجأ إليه فيقول له ذلك الجاهل فما المخرج مما وصفت وما العلاج لما ذكرت كأنما بيده الضر والنفع فعند ذلك تتحقق آمال ذلك الدجال الخبيث الذى قد يتظاهر بالتدين والورع والزهد ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذله فيقول له إن أعطيتنى كذا كتبت لك حجاباً مانعاً من الشرور والآفات طوله كذا وعرضه كذا فهذا الحجاب يمنع عنك كيت وكيت من الأمراض ويمنع عنك نظرات الجن والإنس أو يجلب لك المودة من الناس فيا ترى ما حكم هذا الاعتقاد ؟ إنه ولاشك شرك أكبر لأنه تأله لغير الله وتوكل على غيره والتجاءٌ إلى من سواه وركون إلى أفعال المخلوقين وسلب لهم من دينهم وتصديق لما يدعونه من علم الغيب ومن النفع والضر وأنهم باستطاعتهم تحقيق ذلك ثم إن ما يكتب لو خلا من ذلك كله ولم يكتب إلا آيات بينات وعلقت فى الأعناق أو العضود فإن معلقه ينام عليه ويدخل فيه الأماكن القذرة فوالله ما أستهين بكتاب الله مثل هذه الاستهانة التى فعلها هؤلاء المدعون للإسلام ووالله ثم والله إن القرآن لم ينزل لتعليقه فى الأعناق ولا العضود والدخول به فى الأماكن القذرة الوسخة والنوم عليه وقت النوم والله وبالله وتالله إن القرآن لم ينزل لهذا وإنما نزل للتلاوة والتعبد والتشريع

واتباع أوامره واجتناب نواهيه وتصديق خبره والوقوف عند حدوده والإعتبار بأمثاله والإتعاظ بقصصه والإيمان به وهؤلاء الذين امتهنوا هذه المهنة وصاروا يكتبون للناس آيات من القرآن لتُعَلَّق في الرقاب وهؤلاء المعلّقون لهذه الآيات المكتوبة قد عطلوا ذلك كله فهم لم يعملوا بالقرآن فيما أنزله الله من أجله ولم يحفظوا إلا رسمه لكى يتأكلوا ويكتسبوا به كسائر الأسباب التى يتوصلون بها إلى أكل الحرام . ولو أن ملكاً أو رئيساً أرسل كتاباً إلى من تحت ولايته وفيه أن أعمل كذا وأترك كذا ومر من حولك من الناس بفعل كذا فأخذ هذا المأمور هذا الكتاب وجعله على رأسه أو فى عنقه أو عضده ولم يلتفت إلى شيء مما فيه ولم ينفذ منه شيئاً فهل يكون هذا المأمور مؤتمراً وعاملاً بما فى الكتاب ؟ وهل يكون هذا المأمور مستحقاً للثواب أو العقاب ؟ والجواب إنه لم يكن المأمور عاملاً بما فى الكتاب وإنه بفعله ذلك يستحق العقاب . فكيف بكتاب جبار السموات والأرض الذى له المثل الأعلى فى السموات والأرض . فالحقيقة أن هؤلاء الجهلة المشركين لم يعملوا بكتاب ربهم ولم يبالوا باستهانته ولم يفكروا من أين اكتسبوا الأموال أمن طريقٍ حلال مباح أم محرم ممنوع وهم بفعلهم ذلك قد صرفوا الناس إلى التوكل على غير الله كما صرفوهم إلى رجاء النفع ودفع الضر إلى من سوى الله فياويلهم من عقاب الله وأليم عذابه .

القول الثانى فى حكم التمائم إذا كانت من القرآن . جوز ذلك بعضٌ من السلف وهو قول مرجوح للأدلة المتقدمة .

أما إذا كانت التمائم من غير القرآن كالطلاسم والحروف المقطعة أو الرسومات المختلفة كرسم الأسُود أو أى رسم أو كانت خَرَزاً أو وَدَعاً أو خيوطاً أو أوتاراً أو حِلقاً أو شيئاً يقصد منه جلب نفع أو دفع ضر فإن ذلك شرك لأنها ليست من الأسباب المباحة أو الأدوية المركبة المعروفة فصار تعليقها

شركاً لاعتقاد معلقيها جلب النفع أو دفع الضر بها وهذا كاعتقاد أهل الشرك فى أوثانهم وأصنامهم ولو قال معلقوها إنها سبب نقول لهم إن الله لم يبح شيئاً فيه شرك فهى أسباب غير مباحة . هذا وأسأل الله الكريم أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعل عملى خالصاً لوجهه الكريم . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

* * *

الفهـــرس

الموضــوع	صفحة

الموضوع	صفحة
المبحث الرابع	
الفصل الأول : من هو المسلم ؟	٧٥
الفصل الثاني : نواقض الإسلام	٧٩
الفصل الثالث : فى تعريف الكبيرة وبيان القول الحق فى حكم المسلم إذا ارتكبها	٨٣
المبحث الخامس – فى الإيمان	
الفصل الأول : فى تعريف الإيمان عند أهل السنة	٨٦
الفصل الثاني : فى معتقد أهل الضلال فى الإيمان	٨٨
الفصل الثالث : الإسلام والإيمان هل هما شيء واحد أم شيئآن	٩٠
المبحث السادس – فى أركان الإيمان	
الفصل الأول : الإيمان بالله	٩٣
الفصل الثاني : الإيمان بالملائكة	٩٦
الفصل الثالث : فى جنس الملائكة وعددهم وهل هم ذكور أم إناث	٩٨
الفصل الرابع : فى اختلاف أعمال الملائكة	١٠٠
الفصل الخامس : فى إعانة الملائكة للعباد	١٠٢
الفصل السادس : فى إختلاف قدرات الملائكة وأوصافهم	١٠٤
الفصل السابع : فى الإيمان بالكتب المنزلة	١٠٧
الفصل الثامن : الإيمان برسل الله وأنبيائه	١٠٩
المبحث السابع – الإيمان باليوم الآخر	١١٢
الفصل الأول : فى فتنة القبر وعذابه أو نعيمه	١١٢
الفصل الثاني : النفخات الثلاث	١١٥

الموضــوع صفحة

الموضوع	صفحة

* * *